

بهجة الطائفة وصوم القلب

ضياء الدين أبي ياسر عمار بن محمد البدليسي

محقق: ادوارد بدين



بسم الله الرحمن الرحیم

کتابخانه‌ی

مرکز پژوهشی

دائرة المعارف علوم عقلی اسلامی

سال ۱۳۸۵

تركّز سلسلة «نصوص ودراسات بيروتية» (BTS) جُلّ اهتمامها على منطقة شرق المتوسط المعروفة بـ (المشرق). وهي تُعتبر منبرًا للحوار العلمي الملتزم، منفتحًا على سائر العلوم التي تهتم بالمنطقة من النواحي الثقافية والاجتماعية، مع الأخذ بعين الاعتبار الخلفية الحضارية والتاريخية لها.

لم يصلنا من مؤلفات عمار البدليسي (ت. في نهاية القرن ٦ هـ/ نهاية ١٢م) سوى كتاب «بهجة الطائفة بالله العارفة» وكتاب «صوم القلب». حيث يهدف البدليسي في الكتابين إلى تربية المريد [illegible] في الدرجة الأولى، والالتزام [illegible] وذلك بأساليب [illegible] العبارة والإشارة والرمز.

إدوارد بدين

ولد إدوارد بدين في مدينة الناصرة من أعمال فلسطين سنة ١٩٤٤. درس الأدب العربي والأدب الإنجليزي والعلوم الإسلامية واللغات السامية وعلم اللاهوت في بيت المقدس وبازل. [illegible] في جامعة بازل في العلوم الإسلامية [illegible] في ترجمة العديد من نصوص الأدب العربي [illegible] إلى الألمانية [illegible] وعمار البدليسي [illegible] حسين. كما حقق كتاب «الدرة البهية في أخبار الأمم القديمة» وهو الجزء الثاني من كتاب «كنز الدرر وجامع الغرر» لابن أيبك الدواداري.

إدوارد بدين

بهجة الطائفة وصوم القلب

نصوص ودراسات بيروتية

سلسلة تصدرها
مديرة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت
أنجليكا نويفيرت

٦٨

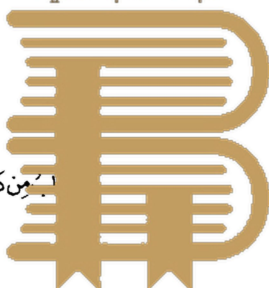
بهجة الطائفة وصوم القلب

تأليف

ضياء الدين أبي ياسر عمار بن محمد البدليسي

حققه وقدم له

إدوارد بدين



بطبعة دار النشر فرانتس شتاينر شتوتكارت

بيروت ١٩٩٩

الطبعة الأولى
١٩٩٩

طُبع على نفقة وزارة الثقافة والأبحاث العلمية التابعة لألمانيا الاتحادية
بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقيّة في بيروت
في مطبعة الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت ـــ لبنان

مقدّمــة

عمّار البدليسيّ:

١ ــ اسمــه:

هو ضياء الدين أبو ياسر[1] عمّار بن محمّد بن عمّار بن ياسر بن مَطَر بن سَحاب[2]: الشَّيْبانيّ البِدْلِيسِيّ[3]، والبدليسيّ نسبةً إلى بِدْلِيس أو بِتْلِيس، وهي عاصمة ولاية بدليس في شرقيّ الأناضول[4].

---

(١) أبو ياسر: ورد في شذرات الذهب لابن العماد ٥: ٧٩ «أبو ناصر».

(٢) هكذا ورد اسمه في «الإجازة» المكتوبة في أوّل مخطوطة بهجة الطائفة: ١آ، وكذلك في الإجازة المذكورة في آخر مخطوطة صوم القلب: ١٢٣آ، أمّا في كتاب فضل الطريقة لعلاء الدولة السِّمْنانيّ (ت. ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٦ م) ١٠٠آ، فقد جاء اسمه هكذا: عمّار بن ياسر بن عمّار بن مطر بن سحاب؛ وفي كتاب تذكرة المشايخ، المكتوب باللغة الفارسيّة، وهو للسمناني أيضاً، فقد ورد اسمه: أبو ياسر عمّار بن محمّد بن مُطَهّر البدليسيّ؛ وفي رسالة بلا عنوان لنجم الدين الكُبْرَى (وهو أحد أشهر مريديه، استشهد سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١ م) جاء اسمه كما يلي: عمّار بن محمّد بن عمّار بن ياسر بن مُطَرِّف بن سحاب البدليسيّ؛ وفي مرآة الجَنان لعفيف الدين اليافعيّ (ت. ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٧ م) ورد اسمه: أبو ياسر عمّار بن محمّد البدليسيّ.

(٣) البدليسيّ: الأندلسي، صوم القلب، ١آ، إلا أنّ الصيغة الصحيحة وردت في أوّل صفحة من بهجة الطائفة (بهجة ١ب سطر ٢): «أبو ياسر عمّار بن محمّد البدليسي».

(٤) والأرمن يسمّونها: بَكَش أو بَكَش، وللمزيد من التفاصيل عن بدليس: انظر دائرة المعارف الإسلاميّة، الطبعة الجَديدة، تحت «بدليس»؛ أمّا بالنسبة لاسمه وحياته =

٢ ــ مولده وحياته ووفاته:

إنّ سنة ولادة عمّار البدليسيّ وسنة وفاته مجهولتان. ولكن يمكننا أن نقدّر بأن سنة وفاته يجب أن تكون ما بين سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤ م وسنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧ م، وذلك لأنّنا نقرأ في الإجازتين المكتوبتين بخط الشيخ أبي النجيب محمود بن محمّد بن أبي عليّ اللُّرّيّ (؟) الوَجيهيّ التافثيّ (؟)، الأولى في أوّل بهجة الطائفة، والثانية في آخر صوم القلب، نقرأ أنّه كتبهما في نهاية صفر سنة ٦٠٤ هـ/ أيلول ١٢٠٧ م في مدينة خلاط. ثمّ إنّه يقول بأنّه سمع من المصنّف ــ أي من عمّار سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤ م؛ وبما أنه يقول بعد ذكر اسم عمّار البدليسيّ: «نوّر الله مضجعَه»: إذن فإنّ عمّاراً البدليسيّ كان حين كُتِبَت الإجازة ــ أي سنة ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧ م. ــ متوفّى. وهذا يعني أنه تُوُفِّيَ بين هاتين السنتين: ٥٩٠ هـ/ ١١٩٤ م و٦٠٤ هـ/ ١٢٠٧ م[1].

أمّا مكان ولادة عمّار البدليسيّ ومكان إقامته ونشاطه فكان بدليس[2] حيث ماتَ ودُفِنَ فيها[3].

= فقارن بما أورده الأستاذ فرِتس ماير في المقدّمة الألمانيّة لكتاب فوائح الجمال لنجم الدين الكبرى، ص ١٨ ــ ٢٣.

(١) ورد في كتاب خزينة الأصفياء (كُتِبَ سنة ١٢٨٠ ــ ١٢٨١ هـ/١٨٦٣ ــ ١٨٦٥ م) لغلام سَرْوَر لاهَوْري ٢: ١٢، وفي كتاب طرائق الحقائق لمعصوم علي شاه ٢: ٥١، أنّ سنة وفاة عمّار البدليسيّ هي ٥٨٢ هـ/١١٨٦ ــ ١١٨٧ م، ولقد أشار الأستاذ ماير إلى هذا الخطأ، انظر: فوائح، المقدّمة الألمانيّة ص ٢٠.

(٢) انظر كتاب شرفنامه لشرف بدليسي ١: ٣٤٢، والاقتباس عن ماير، فوائح، المقدّمة الألمانيّة ص ٢٠.

(٣) «شيخ عمّار بدليسي مدفونست در بدليس»= الشيخ عمّار البدليسيّ مدفون في بدليس، تذكرة المشايخ ٢٣٤آ/ ١٤.

٣ ــ سلسلة مشايخه:

لا تبوح لنا المصادر بالكثير عن عمّار البدليسيّ، إلا أنّنا نستشفّ من بعضها أن سلسلة مشايخة تُذْكَر بفرعين؛ والفرعان يتّفقان على أنّ شيخَ عمّار المباشر هو أبو النجيب السُّهْرَوَرْديّ المتوفّى سنة ٥٦٣ هـ/١١٦٨ م. ثمّ إنّ الفرع الأوّل يكمّل السلسلة بعد ذلك مروراً بأحمد الغزّاليّ[١] فأبي بكر النَّسّاج[٢] فأبي القاسم الكُرّكانيّ[٣] فأبي عثمان المغربيّ[٤] فأبي عليّ الكاتب[٥] فأبي عليّ الرُّودَبارِيّ[٦] فأبي القاسم الجُنَيْد البغداديّ[٧] فشيخه وخاله سَرِيّ السَّقَطيّ[٨] فمعروف الكَرْخيّ[٩] فداود

(١) المتوفّى سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م، وهو أخو محمّد الغزّاليّ صاحب كتاب إحياء علوم الدين، المتوفّى سنة ٥٠٥ هـ/١١١١ م، وعن أحمد انظر نفحات الأنس ٥٧٤.

(٢) هو أبو بكر بن عبد الله الطوسيّ النسّاج المتوفّى سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م.

(٣) واسمه عليّ، ويعرف بالجرجانيّ، المتوفّى سنة ٤٦٩ هـ/ ١٠٧٦ ــ ١٠٧٧ م.

(٤) هو سعيد بن سلاّم المتوفّى سنة ٣٧٣ هـ/ ٩٨٣ ــ ٩٨٤ م، انظر طبقات الصوفيّة، تحقيق شريبة، ٤٧٩ ــ ٤٨٣ والمصادر المذكورة هناك.

(٥) هو أبو عليّ بن الكاتب المتوفّى بعد سنة ٣٤٠ هـ/ ٩٥١ ــ ٩٥٢ م، انظر طبقات الصوفيّة، تحقيق شريبة، ٣٨٦ ــ ٣٨٨ والمصادر المذكورة هناك.

(٦) هو أبو عليّ أحمد بن محمّد بن القاسم بن منصور بن شَهْرِيار بن مِهْرْفاذار بن فَرْغد بن كسرى المتوفّى سنة ٣٢٢ هـ/ ٩٣٤ م، انظر حلية الأولياء ١٠ : ٣٥٦، وقارن بطبقات الصوفيّة، تحقيق شريبة، ٣٥٤ ــ ٣٦٠ والمصادر المذكورة هناك.

(٧) هو الجُنَيد بن محمّد الخزّاز القواريريّ المتوفّى سنة ٢٩٧ هـ/ ٩٠٩ ــ ٩١٠ م، انظر طبقات الصوفيّة، تحقيق شريبة، ١٥٥ ــ ١٦٣ والمصادر المذكورة هناك.

(٨) هو أبو الحسن سريّ بن المُغَلِّس المتوفّى سنة ٢٥١ هـ/ ٨٦٥ م، انظر طبقات الصوفية، تحقيق شريبة، ٤٨ ــ ٥٥ والمصادر المذكورة هناك.

(٩) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز أو محفوظ، المتوفّى سنة ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ ــ ٨١٦ م، انظر تاريخ بغداد ١٣ : ٢٠٨ طبقات الصوفيّة، تحقيق =

الطائيّ[١] فحبيب العَجَميّ[٢] فالحسن البصريّ[٣] فـ«سيّد الأولياء وسَنَد الأصفياء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه» فـ«سيّد المرسلين وخاتم الأنبياء
٣ محمّد بن عبد الله بن عبد المُطَّلِب القرشيّ، ﷺ[٤]». أمّا الفرع الثاني فيذكر بعد شيخه أبي النجيب السُّهْرَوَرْديّ، عُمَرَ بنَ محمّد السهروردي، وهو عمّ أبي النجيب، ثمّ يأتي محمّد بن عمّويه، وهو جدّ أبي النجيب، ثمّ أحمد بن سياه،
٦ ثمّ مِمْشاد الدينَوَريّ[٥]، ثمّ الجنيد، ثم تستمرّ بنفس ترتيب السلسلة السابقة[٦].

٤ ــ مؤلّفـاتـه:

ترك لنا البدليسيّ مؤلّفين في التصوّف باللّغة العربيّة هما: «بهجة
٩ الطائفة بالله العارفة» و«صوم القلب»، وكلتا المخطوطتين محفوظتان في مكتبة برلين، آهلڤارت، رقم ٢٨٤٢ و٣١٣٣، كما وذكرهما أيضاً بروكلمان في تاريخ الأدب العربيّ، الطبعة الألمانيّة الثانية ١ :٥٦٧، حيث ورد لديه
١٢ اسم المؤلَّف الثاني: «صوم القلوب» بدل «صوم القلب».

وعلى صفحة ١آ من صوم القلب نقرأ تحت اسم المؤلّف جملةً باهتةً،

= شريبة، ٨٣ ــ ٩٠ والمصادر المذكورة هناك.

(١) هو أبو سليمان داود بن نُصَيْر الطائيّ الكوفيّ المتوفّى سنة ١٦٥ هـ/ ٧٨١ ــ ٧٨٢ م، انظر حلية الأولياء٧: ٣٤٧.

(٢) هو أبو محمّد حبيب بن محمّد المتوفّى سنة ١٥٦ هـ/ ٧٧٢ م، انظر ميزان الاعتدال ١ : ٤٥٧.

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار المتوفّى سنة ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م، انظر قوت القلوب ٢: ٦٩.

(٤) انظر مخطوط فضل الطريقة لعلاء الدولة السمنانيّ ٩٩ب/ ١١ ــ ١٠٠آ / ٣؛ ومخطوط رسالة بلا عنوان لِعليّ همداني ٣٧٦ آ.

(٥) المتوفّى سنة ٢٩٩ هـ/ ٩١١ ــ ٩١٢ م، انظر ترجمته في حلية الأولياء ١٠: ٣٥٣ وانظر طبقات الصوفيّة، تحقيق شريبة، ٣١٦ ــ ٣١٨ والمصادر المذكورة هناك.

(٦) انظر فوائح، المقدّمة الألمانيّة ص ١٩ ــ ٢٠.

ربّما بسبب وصول الرطوبة إليها، هذا نصُّها: «أملَى هذا الكتاب المرحوم الشيخ أمين بن الشيخ خليل الفنّان (؟ الفتّان) على طلبة العلم في دمشق الشام سنة ١٢٢٦». وهذا يعني أنّ كلا الكتابين كانا مُتداوَلَيْن في تدريس التصوّف في دمشق الشام حتّى سنة ١٢٢٦ هـ/ ١٨١١ م على الأقلّ. ٣

تتألّف مخطوطة بهجة الطائفة من ٤٦ ورقة، ومخطوطة صوم القلب من ٢٣ ورقة، وفي كلّ صفحة من المخطوطتين نجد ٢٢ سطراً، ما عدا الصفحات التالية من صوم القلب: ١آ و١٠آ اللتان تحتوي كلٌّ واحدة منهما على ٢٠ سطراً فقط، و١٠ب التي تحتوي على ٢٤ سطراً. وهذه الصفحات الثلاث مكتوبة بخطّ أنحفَ وأجمل وأوضح من ذلك الذي كُتِبَ فيه باقي المخطوطتين. وهذا الباقي كُتِبَ بخطّ مضغوط نوعاً ما، إلاّ أنّه مقروء. ويحتوي كلُّ سطر على ٩ إلى ١٢ كلمة. ومع أنّ المَخطوطتين مشكولتان جزئيّاً، إلا أنّ كثيراً من الحروف عارية من النقط. ولقد وضعت النقط الناقصة على الحروف دون تعليق، إلا نادراً. أمّا خطّ الإجازتين[1] فإنّه مُعلَّق وغير واضح ويكاد أن يكون بدون نقط. ٦ ٩ ١٢

ثمّ إنّنا نلاحظ في كلتي المخطوطتين وجودَ الظواهر التالية: ١٥

(أ) كتابة بعض الكلمات بدون الألف، مثلاً «القيمة» بدل: القيامة، «السلم» بدل: السلام، وما شابه ذلك.

(ب) كثيراً ما تكتب الهمزة على صورة الياء، مثلاً: «فايدة» بدل فائدة، «شيا» بدل: شيئاً، أو تهمل تماماً، مثل: «فقضا» بدل: فقضاء، أو تكتب مثل الفارسيّة، مثلاً: «جزو» أو جزوا» بدل: جزء أو جزءاً. وأداة المَدّ تُهمل في غالب الأحيان أيضاً، مثلاً «وافاتها» بدل: وآفاتها، أو أنّ الهمزة الممدودة تكتب بشكل ١٨ ٢١

---

(١) بهجة ١آ وصوم ٢٣ آ.

مدّة، مثل: «صفاً» بدل: صفاء.

(ج) إنّنا نجد كلمة «الكن» مكتوبة بالإملاء الفارسيّ «ليكن» في معظم الحالات.

٣

معظم ما ورد تحت (أ) و(ب) و(ج) سيُطبع في النصّ حسب قواعد الإملاء الحديثة دون الإشارة إلى ذلك في الهوامش.

٦

(د) بعض أخطاء الصرف والنحو، مثلاً: «يشاهدون أهلُ المسكنة» (بهجة ١٢آ سطر ٦) بدل: يشاهدُ أهلُ المسكنة؛ «يجدونه العارفين الناظرين» (بهجة ١٢ ب سطر ٩) بدل: يجده العارفون الناظرون.

٩

أوردتُ بعضَ هذه الأخطاء كما هي حيث لا تؤثّر على المعنى.

(هـ) بعض الأخطاء الإملائيّة، مثل: «سوا» بدل: سوى؛ «يبدوا لك» بدل: يبدو لك.

١٢

(و) في نهاية كلّ ورقة ــ وليس في نهاية كلّ صفحة ــ يذكر الكلمة الأولى من الصفحة التالية، ما عدا ص ١٦ب من بهجة الطائفة، حيث يكتب كلمة «تخطى»، وهي الكلمة الثانية وليست الأولى على ص ١٧آ. وفي آخر ص ١٩ب يكتب كلمة: «للملوك»، وهي ليست أول كلمة على الصفحة التالية، بل هي آخر كلمة على ص ١٩ب.

١٥

١٨

(ز) على هامش بعض الصفحات نجد أحياناً تصحيحاتٍ أو إضافات زيدَتْ فيما بعد، ولكن بنفس الخطّ.

٢١

(ح) كل ما يرد بين قوسين مروّسين هو إضافة من المحقق. أما الإشارات التوضيحية وأرقام صفحات المخطوطة فتأتي بين قوسين( ). وما ورد في النصّ زائداً وُضِعَ بين معقوفتين [ ].

بهجة الطائفة

بالله العارفة

بسم الله الرحمن الرحيم

(١آ) بهجـة الطائفـة

لأبي ياسر عمّار بن ياسر البدليسيّ[١].

< إجـازة > :

قرأ عليّ كتاب بهجة[٢] الطائفة بالله العارفة، الولد الأعزّ الأكرم، شمس الدين، جمال الإسلام، مجد الفقهاء، زين الطائفة والطالبين، أبو إبراهيم إسحاق بن محمّد بن أبي لكويه البُرُوجِرْدِيّ نفعه الله بالعلم[٣] والعمل، وسماعي من مصنّفه الشيخ المُقْتَدَى < به >، شيخ الشيوخ الكبير، الصوفيّ ابن الوقت، ضياء الدين، مرشد السالكين[٤]، أبي ياسر عمّار بن محمّد بن عمّار بن مَطَر بن سَحاب الشيبانيّ البدليسيّ، نوّر الله مضجعه، في تاريخ سنة تسعين وخمسمائة، وأَجَزْتُ[٥] له رواية ذلك بشرط صحّته، وسمع معه ولدي ظهير الدين أبو الفتح محمّد، في خانقاه النهاية، في مدينة خلاط، حماهُ الله تعالى، وقتَ العصر، يومَ الخميس من سلخ صفر، سنة أربع وستّمائة، وأحمد الله وحده. وهذا خطّي كتبه أبو النّجيب محمود بن محمّد بن أبي عليّ[٦] الوجيهيّ اللُّرّيّ اليافثي[٧] و< صلّى الله > على سيّدنا محمّد وآله أجمعين.

---

(١) لأبي . . . البدليسيّ، ورد في الأصل: للمحقّق محيى الدين بن العربيّ الحاتميّ الطائيّ الأندلسيّ نفعنا الله ببركته، وهو خطأ.

(٢) بهجة، في الأصل: البهجة.

(٣) بالعلم، في الأصل: با العلم.

(٤) ضياء . . . السالكين: أضيفت في الهامش.

(٥) وأجزت، في الأصل: واجزة.

(٦) عليّ: مطموسة في الأصل، والتكملة من إجازة صوم القلب ص ٥٨/ ١٦ ـــ ٥٩/ ١.

(٧) اليافثيّ: في الأصل بدون تنقيط، والتنقيط غير أكيد وأُضيف عشوائياً.

(١ب) بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ سهّل ولا تعسّر

٣ الحمد لله الفرد القديم، الواحد الصمد، وصلّى الله على محمّد النبيّ الكريم، المخصوص بالخُلق[١] العظيم، وعلى آله وأصحابه الداعين إلى المنهج القويم، والصراط المستقيم، وسلّم تسليماً.

٦ أمّا بعد، فهذه بهجة الطائفة بالله العارفة، وبذلك وسمتها، وبها سمّيتها.

قال الشيخ المعلّم والصوفيّ الراجي لعفو الله: وذلك لمّا أن عزمتُ ٩ على تحرير هذا الكتاب، بإشارة بعض الأصحاب، فلما شرعت في تأليفه، مستعيناً بفضل الله وتعريفه، رأيت في الواقعة بعضَ الصالحين، وقد دفع إليّ كتاباً عريضاً، لا على قاعدة هذه الكتب في التجليد، فلمّا أن فتحتها[٢] ١٢ لأعلم ما نعتها، وإذ هي موسومة: بهجة الطائفة، فزدت من عندي «بالله العارفة». فلقّبتُ الكتابَ بها تبرّكاً وتيمّناً بوقوع الواقعة.

فصل < ١: في الواقعة والفتوح والمريد والوقت >

١٥ فإن قيل: ما الواقعة؟

قيل: هي حادث الغيب، بلا ريب، حفظها رقيب الكشف والذوق عن تصرّف النقل والعقل، فهي مرآة الاستبصار بين الأعمال والأحوال، بها ١٨ يحصل الفرق بين صفاء الأعمال وصفاء الأحوال؛ قال الله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/٨).

---

(١) بالخلق، في الأصل: با الخلق.

(٢) فتحتها، كذا في الأصل.

وسئل الجنيد[١] رحمه الله: هل القرآن[٢] ممّا يستدلّ به على فُتوح[٣] المُريد؟[٤]

فقال: نعم؛ ثمّ تلا قولَه عزّ وجلّ: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجاءَكَ في هذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (القرآن الكَريم ١١/ ١٢٠). ٣

فالواقعة من ذكر القلوب، بالتبصُّر بأحوال الغيوب، لمؤمن آمن بما غاب عن الأبصار، بأنوار الاستبصار، ممّا يحصل للقلب من الربّ، إمّا من طريق العرفان، أو طريق الإيمان. ٦

قيل: فما الفتوح؟ ٩

قال: هديّة الربّ إلى القلب؛ وتختلف (؟) باختلاف القلب.

قيل: فمن المريد؟

قال: هو الحافظ لوقته، المصغي لخواطره، المقيَّد بذكره مع ربّه. ١٢

قيل: فما الوقت؟

قال: ما جمعك إليه، وألزمك لأداء حقّه، واستعملك به، ولم يشغلك بغيره؛ وهو الوقت بين الوقتين، يعني الماضي والمستقبل، لا مع الماضي ولا مع المستقبل؛ وهو عند أهله: عند السوانح، من مزيد اللوائح، من تأثير شواهد شاهد الربّ إلى القلب. ١٥

---

(١) الجنيد: هو أبو القاسم الجنيد بن محمّد الخزّاز القواريري المتوفّى سنة ٢٩٧ هـ/ ٩١٠ م، انظر طبقات الصوفيّة للسُّلَميّ، تحقيق شريبة ص ١٥٥ وما يليها والمصادر المذكورة هناك.

(٢) القرآن، في الأصل: الفرالـ.

(٣) فتوح: هنا بمعنى الواقعة.

(٤) قارن بصوم القلب ١٦/ ١٠ ــ ١٢.

فصل < ٢: في عيد القلب والتعبَدات وثمراتها وباب القلب والإنابة وباب الرَبّ والمراقبة والاستقامة والرجل المستقيم وأنواع الاستقامة >

قيل[١]: فما عيد القلب؟

قال: وجدان مزيد القرب من الربّ، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/١٦).

قالَ: كلّ يوم لم يُعْصَ الله فيه فهو عيد، وعلى المرء سعد جديد.

وعيد القلوب مزيد مواعيد التقرّب إلى الشهود، ومحق أثر خطر مغبّة[٢] بقيّة الوجود. لأنّ فتوح السابقين، من خزانة ربّ العالمين، يلمع من وراء أستار اجتهاد المجتهدين، وتنتشر وتشرق أشعّة أنوار القربِ والدنوّ والتمكين، من وراء مرآة صدق الصادقين، تحقيقاً لسرّ قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (القرآن الكريم ٢٩/٦٩).

ولمّا أن جعل الله في التعبُدات واجبات، لذلك جعل فيها أسرار < اً > وثمراتٍ. فجعل الواجبات أفعالاً، والثمرات أحوالاً. والأفعالُ تكليف الخاصّ والعامّ، والأحوالُ تشريفُ أهل الإلهام والإنعام. فأهل التكاليف والأفعال في فضل الثواب، وخوف العذاب. وأهل التشريف والأحوال في فضل الاقتراب، وخوف الحِجاب، بعد فتح الباب، ورفع الحجاب، وسماع الخطاب، وقطع الوسائط والأسباب، وحصول المنى

---

(١) قيل... الوريد: في الأصل وردت هذه الجملة في آخر الفصل السابق، إلاّ أنّها هنا أفضل.

(٢) مغبّة، في الأصل: معه.

والمآب. فلهم في العبادات البدنيّة مشاهدات قلبيّة، ولذّات علويّة ذوقيّة. ولقلوبهم مع الله أحوال غيبيّة، وكلمات إلْهاميّة. ولهذا قال سيّد المرسلين، في (٢ب) حقّ ثمرات أعمال المحقّقين: «الجمعة حجُّ المساكين». فلأن نلمس من غرائب هذا الخبر، على شرط غَوْص الطالبين المحقّقين، في طلب استخراج أسرار كلمات رسول ربّ العالمين، بطريق وقوف الذهن على باب القلب، ووقوف القلب على باب الربّ.

قيل: فما باب القلب؟

قال: عزل تصرّف الحواسّ، عند حصول الالتماس، لنيل وارد الاستئناس، في مقام الإنابة، بالتكلّف والتلطّف، إلى أن يصير الحسّ قلبياً.

• وقال أيضاً: باب القلب وجدان لذّة الذِّكر.

قيل: فما الإنابة؟

قال: صحّة الإصابة، وسرعة الإجابة، لثمرة التوبة، بِصحّة الرجعة، إلى إجابة من دَعاهُ بالهيبة والمهابة، والذلّة والكآبة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (القرآن الكريم ٨/ ٢٤).

والناس في الإنابة والاستجابة ثلاثة، كما ذكرهم الله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (القرآن الكريم ٣٥/ ٣٢). فالظالم مَن يُبْطِل الإرَادة بالمَشْعَرَة. إذ ليس لأهل الإرادة مشعرة، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ٥٩)[١]. والمقتصد من يجعل الإرادة بحدّ القوّة. والسابق من أجاب من غير تدبّر ولا تفكُّر لداعي الله ورسوله، فسبق أهل التدبير في كلّ أَمْر ونَهْيٍ وتَرْكٍ، وفعْلٍ. فليس لداعي الله ورسوله إلاّ الانقياد، وصحّة الاعتماد.

---

(١) فإذا، في الأصل: وإذا.

ولمن كان واقفاً على باب قلبه، قد يعلم دعوة داعي الله في قلبه. ولأجله لم يتقدّم ولم يتأخر، ولم يتردّد ولم يتشكّك. ولهذا قال عزّ وجلّ:
٣ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (القرآن الكريم ٣٧/٥٠) الآية.
وإنّما معنى قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (القرآن الكريم ١٥٩/٣) إذا كان رأياً، لا وحياً.

٦ والداعي إلى الله هو الله تعالى بواسطة كتابه، وعلى لسان نبيّه، عليه السلام، بقوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ (القرآن الكريم ٨/ ٢٤)، ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ (القرآن الكريم ٢٤/ ٣١ و٦٦/٨).

٩ فمن استجاب لله، وتاب إلى الله، بواسطة الكتاب والرسول، أخذ المعرفة بواسطة المعاملة، (١٣آ) فأحياه الله بحياة أوّل المعرفة، وهي المعرفة العقليّة. ومن استجاب للكتاب[1] والرسول، بواسطة الله تعالى، أخذ
١٢ المعاملة بواسطة المعرفة، فأحياه الله[2] بحياة أعلى المعرفة، وهي المعرفة القلبيّة، فصار من العارفين. لأنّه أوقف القلب على باب الربّ، فعرفه، ثمّ عبده.

١٥ قيل: فما باب الربّ؟

قال: باب الربّ لزوم الاستقامة[3] في مقام المراقبة، كما قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (القرآن الكريم ٤١/ ٣٠؛
١٨ ٤٦/ ١٣).

قيل: ما كيفيّة المراقبة ثمّ الاستقامة؟

---

(١) للكتاب، في الأصل: الكتاب.
(٢) الله، في الأصل: لله.
(٣) الاستقامة: قارن ما يلي بما ورد عن الاستقامة في صوم القلب، فصل ٨، ص ٢٤/٧ وما يليها.

قال: المراقبة ضبط النظر عن النظر على العِبَر، وحفظ الفِكْر عن الفِكَر، على ما سَنَحَ في القلب وخَطَر.

والاستقامة تطهير الباطن من الخَطَرات النفسانيّة، حتّى لا يسنح في باطنه إلاّ الخواطر الربّانيّة.

قيل: فما شرط الرجل المستقيم؟

قال: شرطُهُ معرفة الفرق بين ما يتجدّد في الباطن من خاطر النفس، وخاطر القلب، وخاطر الربّ، وإلقاء المَلَك؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ (القرآن الكريم ٤١/٣٠). < فَمَنْ > لم يعرف الفرق بين المَلك والشيطان [فمن] لم يفرّق بين معرفة الشيء وضدّه، ومن لم يفرّق بين الشيء وضدّه فليس بمستقيم. وأيضاً من علامة المستقيم أن يطيعه وينقاد لإشارته كلُّ شيء، حتى السهل والجبل والبرّ والبحر. قال بعض الكبار[١]: من أطاع اللّهَ أطاعه البرُّ والبحر.

حكي[٢] عن إبراهيم بن أدهم[٣] أنّه سئل عن وصف الرجل المستقيم، وكان قاعداً في الحرم، فقال: أن ينقاد لإشارته هذا الجبل، وأشار إلى أبي قُبَيْس[٤]، فتحرّك الجبل، فقال: اسكنْ، ما لك أعني[٥].

وللأحوال بداية، وللبداية علوم، وللعلوم شرط وغاية ونهاية. وقد

---

(١) الكبار: مشوّشة في الأصل.

(٢) حكي، في الأصل: حلي.

(٣) إبراهيم بن أدهم: هو أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور المتوفّى سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٨ م، انظر طبقات الصوفيّة، تحقيق شريبة، ٢٧ وما بعدها والمصادر المذكورة هناك.

(٤) أبو قبيس: هو جبل شرقيّ مكّة.

(٥) قارن بما ورد في صوم القلب، الفصل ٩، ص ٢٧/ ١٠ ــ ١٣.

قال، عليه السلام: «الاستقامة[١] إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه»[٢]. شرّط في الخبر، عليه السلام، استقامة الإيمان
٣ باستقامة القلب، واستقامة القلب باستقامة (٣ب) اللسان.

فاستقامة الإيمان على موجب العلم، هو التحفّظ بالموافقات على المخالفات. وقد قال، عليه السلام: «الإيمان عريان ولباسه التقوى». وقال
٦ أيضاً: «الإيمانُ قيَّد الفَتْك»[٣].

وعلى موجب الحقيقة، فاستقامة الإيمان هو كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
٩ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (القرآن الكريم ٨/ ٢) ﴿أُولائِكَ هُمُ الْمُؤْمِنونَ حَقّاً﴾ (القرآن الكريم ٨/ ٤). جعلَ توكُّلَهم على الله بموجب الحقيقة، من حقيقة الإيمان. فصار علامةُ استقامة الإيمان للمستقيم إيمانه: أن لا يعتصم
١٢ بأحد سوى الله عزّ وجلّ، لقوّة قلبه بالله ومن الله. فلا يخاف غيره، ولا يرجو[٤] سواه. وقد قال، عليه السلام: «من خاف الله، خافَهُ كلُّ شيء، ومن خاف من غير الله خوّفَه اللّه من كلّ شيء». قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذٰلِكُمُ
١٥ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ١٧٥)[٥].

ومن جملة استقامة الإيمان أن يكون[٦] العبد بالله غنيّاً، وإليه فقيراً،
١٨ كما ورد في الخبر عن الله عزّ وجلّ، أنّه قال: «ما من مخلوق يعتصم

---

(١) الاستقامة: كذا في الأصل، والأصحّ: لا يستقيم.

(٢) انظر المعجم المفهرس ٥: ٤٩٧، تحت: قوم، (وإحياء علوم الدين ٣: ١٠٩/ ـ ٦) وانظر الحديث أيضاً في صوم القلب فصل ٧، ص٢٤/ ٤ ـ ٥.

(٣) انظر المعجم المفهرس ١: ١٠٩، تحت: إيمان و٥: ٥٧، تحت: فتك.

(٤) يرجو، في الأصل: يرجوا.

(٥) وخافون، في الأصل: وخافوني.

(٦) يكون، في الأصل: يلون.

بمخلوقٍ دوني إلّا قطعتُ[١] أسباب السماوات دونه: إن سألَني لم أُعطه، وإن دعاني لم أُجِبْه، وإن استغفرني لم أغفر له، وما من مخلوق يعتصم بي دون خلقي إلّا ضَمِنَتِ السماواتُ والأرضُ رزقَه، فإن سألني أعطيتُه، وإن دعاني أجبتُهُ، وإن استغفرَني غفرتُ له». وقال، عليه السلام: «لا يؤمن أحدكم حتّى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به». وهذا استقامة الإيمان بموجب العلم والعمل والذّوق والكشف.

وأمّا استقامة القلب، فعلى موجب العلم: هو متابعة الأمر والنهي، والمحافظة على الكتاب والسُّنّة، كما ورد في الخبر أنّه قال، عليه السلام: «إنّ لِلّه أوانيَ في الأرض ألا وهي القلوب. فأحبُّها إلى الله أرقُّها وأصفاها وأصلبها»[٢]. فأرقُّها على الإخوان، وأصفاها من الذنوب، وأصلبها في ذات الله. فهذه الأشياء الثلاثة < هي > (٤ آ) شروط استقامة القلب على موجب الحقيقة والترقّي في الأحوال. < و > هو أن يصير[٣] له الوعد نقداً، والغيب عيناً. لأنّ فائدة الرقّة للقلب شيئان: ظهور الرحمة والشفقة على جميع خلق الله، وبذلك نطقت[٤] السُّنّة، بقوله: «لا يكمل إيمان عبد حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه»[٥].

وإذا كمل الإيمان استقام القلب. وظهور الآيات[٦] والعلامات

---

(١) قطعت، في الأصل: قطت.

(٢) انظر هذا الحديث أيضاً في صوم القلب، فصل ١٣ ص٣٣/ ١٠ ــ ١٢.

(٣) يصير، في الأصل كلمة غير مقروءة.

(٤) نطقت، في الأصل: نطق.

(٥) قارن بما ورد في المعجم المفهرس ١ :٤٠٦ تحت: حبّ وصحيح البخاري تحقيق البُغا، إيمان، رقم ١٣، وصحيح مسلم، تحقيق عبد الباقي، ١ :٦٧، رقم ٤٥، وسنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن عثمان، صفة القيامة رقم ٢٦٣٤.

(٦) الآيات، في الأصل: الات.

والكرامات والحالات[١]، كما قال بعضهم: إنّ ابن عبّاس[٢] استرق الغيب من وراء ستر رقيق، يعني القلب. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾، الآية (القرآن الكريم ٥٠/ ٢٧). ٣

وأمّا فائدة صفاء القلب، فهو أن يدرك عِلْماً باطناً، ويشاهد حالاً مغيّباً، وذلك للقلب بمثابة السمع والبصر. وقد قال، عليه السلام: «إنّ للقلب عينين وأذنين، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح عينيه اللتين[٣] في القلبِ». ٦ وقد روي من طريق آخر «ما من عبد إلاّ وفي قلبه عينان غيبان ليدرك بهما الغيب، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عيني قلبه». فعلِمَ أنّ استقامة القلب بأن يصير سميعاً بصيراً، يسمع وحياً ويشاهد غيباً. ٩

فعلى موجب الخبرين ظهر أنّ استقامة القلب نوعان: نوع ظاهر علميّ، ونوع باطن ذوقيّ حاليّ كشفيّ. والنوع العلميّ هو الصلابة والرقّة والصفاء، والنوع الذوقيّ هو السمع والبصر الغيبيّ. وإنّما وصل القلب إلى ١٢ هذه[٤] المرتبة بالتربية والمعاملات: فرقّ بأنس الوَجْد، وصفا بأنس الذِّكْر، وصلُبَ بأُنس الله. ولمّا[٥] انفتح لقلبه عين وأذن[٦] أبصر غيباً[٧] وسمع غيباً. معناه: يرى[٨] على البُعد، ويسمع من الأبعد، وذلك لأنه يرى بالله ١٥

---

(١) والحالات، في الأصل: والحلات.

(٢) ابن عبّاس: هو أبو العبّاس عبد الله بن عبّاس بن عبد المُطَّلب، ابن عمّ الرسول ﷺ، ومن أشهر المحدّثين؛ توفّيَ سنة ٦٨ هـ/ ٦٨٧ ـ ٦٨٨ م، انظر الإصابة ٢ : ٣٣٠؛ تذكرة الحفّاظ ١ : ٤٠ ـ ٤١.

(٣) اللتين، في الأصل: اللذين.

(٤) هذه، في الأصل: هذا.

(٥) ولمّا، في الأصل: ولمى.

(٦) عين وأذن، في الأصل: عيناً أذناً.

(٧) غيباً، في الأصل: عيناً.

(٨) يرى، في الأصل: يرا.

ويسمع بالله من الله. وإنّما حصلت لذلك بالتربية: فتنوّر بنور اليقظة من ظلمة الغفلة. وقد ورد عنه، عليه السلام، في شأن القلب وتربيته، بقوله، عليه السلام: «إنّ القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد». قيل: فما جلاؤها؟ ٣ قال: «ذكر الموت وتلاوة القرآن». (٤ ب) ولا كلّ تلاوة من كلّ أحد ولا كلّ ذكر الموت من كلّ أحد يجلوان القلب فينجع[١]، وإنّما يجلو[٢] ذكر الموت وتلاوة القرآن القلبَ[٣] عند حصول اليقظة، وانكشاف البصيرة، ٦ وتطهير السريرة. فحينئذ ينجع فيه تلاوة القرآن وذكر الموت، فعندها يحصل له الطهارة، ويصل إلى الاستقامة.

أمّا استقامة اللسان، فعلى موجب العلم: فهو النطق بما يعنيه، ٩ والسكوت عمّا لا يعنيه. ومعناه: أي لا يسأل إلاّ عمّا أهمّه وألمّه. وهذه الصفة حال المُريد في قدم الزِّيادة والمزيد. فإنّه لا ينطق إلاّ عند حاجته، أو يسأل إلاّ من واقعته، وذلك لأجل ما حصل له من ثمرة السكوت، < و > ١٢ وجود الإنعام، فاختار السكوت وترك الكلام. وبَيان الإلهام في القلب أوجب قطع نطق اللسان، ولهذا السبب قال، عليه السلام: «الصمت حكم وقليل فاعله»[٤]. إذ عند انغلاق بيان اللسان انطلاق بيان لسان القلب في ١٥ مقام العرفان والإحسان. فمن أسكَتَ لأجل الله لسانَه، أُنطِقَ عن الله قلبُه، فدقَّ بيانُه، وحقَّ عرفانُه. وقد قال، عليه السلام: «من صمت نجا»[٥]، أَيْ: من صمت عن الباطل، لم يكن للوِزْر حامل. ١٨

وأمّا على موجب الحقيقة: فهو أن لا ينطق إلاّ بالأمر والإذن، كما

---

(١) القلب فينجع: أضيفتا فوق السطر.

(٢) يجلو: في الأصل: يجلوان.

(٣) القلب، في الأصل: للقلب.

(٤) انظر الغزالي، إحياء علوم الدين ٣: ١٠٨/آخر سطر هامش ٢ هناك.

(٥) المعجم المفهرس ٣: ٤١٦ تحت: صمت، وانظر هذا الحديث أيضاً في صوم القلب، فصل ١٦ ص ٤٦/٩ ــ ١٠.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾(القرآن الكريم ٥٣/٣)، بل بوحيٍ يقال له: بلِّغ. فإذا نطق، نطق بالوَحي، وهذا دليل إذن النبوّة.

٣ وأمّا دليل إذن الولاية فإنّ فضلَها من أجَلّ الفضائل، ودليلَها من أوضح الدلائل، وأعلى المنازل، قوله، عليه السلام: «إنّ الله عند لسان كلّ قائل»[1].

٦ فضَبَطَ ألْسُنَ قوم بالعلم، فأَمَروا بالمعروف ونَهَوْا عن المنكر، وضبطَ ألْسنَ قوم بالعمل والمعاملة، فصار لأنفسهم في أنفسهم شغلاً شاغلاً، فاستقام اللسان بالإنصات، فحصلوا[2] من أهل النجاة. وقَبَضَ على ألْسُن
٩ قوم بالمعرفة والحكمة والعظمة والهيبة، فاستقام (٥ آ) اللسان حتّى < أصبح > لا ينطق إلاّ بالله. وهذا[3] حتّى لا ينطق بهواه، بل بمولاه. فلسانٌ أسكتَتْه[4] المعرفة أنطقته الحكمة.

١٢ فحصول[5] استقامة اللسان يختلف باختلاف الأحوال. فلسان استقامته بالعلم حتّى لا ينطق بغيره. ولسانٌ استقامته باستقامة القلب، فلا ينطق إلاّ بإذنه. ولسانٌ استقامتُه بالمعاملة حتّى لا ينطق إلاّ عن حاله، إذ لا حكم عليه لغيره:
١٥ لا للنَّفْس ولا للطمع ولا للعدوّ. ولسان استقامته بالمعرفة، فصمته لأجْلها.

وقد قيل: أربع أعلى الناس، عالمٌ مستعمل لعلمه، وعارفٌ ينطق عن حقيقة فعله، ورجلٌ قائم لله < بـ >ـلا سبب، ومريدٌ ذاهب عن الطمع.

١٨ فمن استقام لسانُه حقيقةً، فهو الصامتُ لسانُه، الناطقُ بمعرفة الله

---

(١) انظر إحياء ٣: ١١٠/ـ ٦.

(٢) فحصلوا، هنا بمعنى: فصاروا.

(٣) حتّى . . . وهذا: أضيفت فوق السطر.

(٤) أسكتته، في الأصل: اسلته، فيمكن أن تُقرأ: أَسَلَّتْهُ.

(٥) فحصول، في الأصل: فحصل.

بجنانه. لأنّه كما تعرّف بالمعرفة قلبُ العارف، تعرّف أيضاً كلُّ جزءٍ منه. لأنّ المعرفة تحيي القلب، ويحياته حياة[١] جميع الجسد. وكلّ حيّ ناطق بحُسن نطقه. فمن استولت[٢] عليه حِكَم المعرفة والحقيقة، حُفِظَ من خلط[٣] الطبيعة. فنطقه بلسانه عند ورود الوارد في القلب. فلا ينطق بعادة بل بفائدة وحكمة، كما ورد في الخبر: «إذا زهد أحدكم في دنياه فاقتربوا منه فإنّه بلغ الحِكمة»[٤]. وهذا معنى الخبر الثاني «الصمت حُكْم» أي سبب للحكمة «وقليل فاعله».

فعند الاستقامة لأهل الصَّفْوَة لا فرق بين ألسنتهم وقلوبهم، إذ لهم من الله أمر وإذن ووحي بواسطة رسول الإلهام إلى القلب من الربّ. فمتى استقام اللسان في الحقيقة نطق عن القلب، كما قال الله تعالى في حَقّه، عليه السلام: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ (القرآن الكريم ٥٣/٣ ــ ٤).

فمتى استقام اللسان والقلب في الشريعة نطق بالعلم والعمل. ومتى استقام القلب في الحقيقة نطق بالحكمة والمعرفة. فكما ينطق لسان العالم بإذن العلم، كذلك ينطق لسان الوليّ (٥ ب) عن إذن قلبه، وقلبُه بإذن ربّه. فمهما كان القلب في التربية والسَّيْر، < كذلك > كان الغيب على القلب حاكماً، والقلب على اللسان حاكماً. فإذْنُ القلب من الغيب، وإذن اللسان من القلب.

---

(١) حياة، في الأصل: حيات.
(٢) استولت، في الأصل: استوله.
(٣) خلط، في الأصل: حلم.
(٤) قارن بالحديث الذي انفرد به ابن ماجه: «إذا رأيتمُ الرجلَ قد أُعطي زهداً في الدنيا وقِلّةَ منطقٍ فاقتربوا منه فإنه يُلقي الحِكمة» سنن ابن ماجة، تحقيق عبد الباقي، زهد، حديث رقم ٤١٠١، والمعجم المفهرس ١: ٤٩١ تحت: حكم.

فإذا استقام القلب، فإذنه من الربّ، فلا حكم[١] عليه للغيب، لأنّه صار غيباً، لا حكم عليه للحَفَظة[٢]. فإذا ازدادت الاستقامة له فلا حكمَ عليه له، أي لا يعلم القلب بما القلب فيه، < إذ > ثبت عليه نظر[٣] وحكم الحاكم الفرد، فوقع في الاسترسال. فلا ينفرد له بحالِه وصفتِه، بل شعوره لله. فهو غُيوب من عند الله، جعله الله خزانة أسراره ونظرِه وحكمتِه ومعرفتِه وولايتِه. فلا حكم عليه لغير الله، فإذنه من الله. والغيب يجب حكمه: فمهمَا أطلقَ القلب، أطلق الغيب.

فجعل باستقامة القلب بالله اللسانَ مستقيماً. فتارة يسمع اللسان من القلب، وتارة يسمع القلب من اللسان. قال بعض الكبار: وبقيت ثلاثين سنةً يسمع لساني من قلبي، ثمّ بقيت ثلاثين سنة يسمع قلبي من لساني. وفي المثل يقال: لسانُ العاقل في قلبه، وقلبُ الأحمق من وراء لسانه.

ومعنى استقامة اللسان هو متابعة القلب. ومعنى استقامة القلب < هو > متابعة الربّ. وعلى قدر مدد الربّ في القلب من الوحي متابعة القلب للربّ. فكما شُرِّفَ الوحي بالموحى منه < كذلك > شُرِّفَ الموحى إليه بكرامة الله، وبه شُرِّفت الاستقامة. ولهذا قال، عليه السلام: «إنّ في جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب»[٤].

وكما أنّ القلوب بصلاحها متفاوتة[٥] و < بـ > ـفسادها متفاوتة، كذلك استقامة القلوب على درك الغيوب متفاوتة. < و > كذلك الوحي

---

(١) حكم،ا في الأصل: حلم.

(٢) للحفظة، في الأصل بدون تنقيط، ولعلّ الأصحّ: لليقظة.

(٣) نظر، في الأصل: نصبر، وهو تصحيف.

(٤) قارن بالمعجم المفهرس ٦: ٢٣٥، تحت: مضغ، وانظر صوم القلب، فصل ١٠، ص ٢٩/٤ ــ ٥.

(٥) بصلاحها متفاوتة، في الأصل: صلاح القلوب متفاوتة.

إلى القلوب على قدر الاستقامة متفاوتة[١].

فصل < ٣: في استقامة الأنبياء والأولياء >

كما أنّ وحي الأنبياء أفضل من وحي الأولياء (٦ آ) كذلك استقامتهم ٣
أكمل وأشرف وأعلى، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصُوا»[٢]. والله عزّ وجلّ يقول له: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (القرآن الكريم ١١/ ١١٢) لأنّي قوّيتك ثمّ أمرتك. ٦

فاستقامة الأنبياء بحدّ الأصالة، واستقامة الأولياء < بـ > حدّ التبعيّة. فأيّ [ذلك] من الاستقامتين أوجدت الكمالَ، وأوصلتْ إلى النهاية، وجُعِلَتْ صفةً لازمةً للقلب، والتصقت[٣] < بـ > القلب بلطافتها؟ ٩

فصارت استقامة القلب وحياً واستقامة اللسان حكمةً، لإفاضة أنوار القلب على القالب، حتّى صار البصر بصفة البصيرة، والقالب بصفة لطافة القلب، حتّى كأنّه ﴿مِشْكَاةٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصباحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ (القرآن الكريم ١٢
٢٤/ ٣٥) الوجودِ اللطيفة الصّافية المطهّرة المنوّرة بنور مشاهدة القلب.

ففي مشكاة القلب أنوارُ الربّ، وفي مشكاة القالب أنوارُ القلب «كأنّها» بالنورِ واللطافة ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ الذوق ١٥
والكشف ﴿لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ أي لا علميّة تعلّمية، ولا عمليّة كسبيّة، بل فضليّة وطوليّة وفيضيّة ﴿يكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ (القرآن الكريم ٢٤/ ٣٥): أي يكاد قوّة الاستقامة للأصفياء والأولياء يعُمُّ[٤] جميع الخلائق، وذلك لكثرة ١٨
أنوار الاستقامة في أهل الولاية. كما ورد في الخبر: «لو قُسِمَ نوره على العالم لوسعهم». ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ (القرآنِ الكريم

---

(١) متفاوتة: كذا.

(٢) انظر المعجم المفهرس ٥: ٤٩٧، تحت: قوم.

(٣) والتصقت، في الأصل: ولتصفت.

(٤) يعمّ، في الأصل: ـعم.

٢٤/ ٣٥): أي وإن لم يوافقها تكلُّف[١] عمل العبد، فإنّ تفضُّلَ الربّ في القلب مَدَدٌ على مَدَد. فازدادَ نورُ القلب ضياءً بوُرود نور الربّ. ونور
٣ الشريعة امتزجت بنور الحقيقة، وأنوار العبادات البدنيّة اجتمعت مع أنوار المعاملات القلبيّة، ونور المجاهدات أوصَلَت إلى نور المشاهدات، ونور البداية (٦ ب) < وا > لرواية والدراية أوصلت إلى نور الهداية والرعاية
٦ والولاية والنهاية. ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ (القرآن الكريم ٢٤/ ٣٥) الاستقامة معه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ (القرآن الكريم ٢٤/ ٣٥) من عِبادِه الّذين اختارهم من بين الخلائق لأجله وجعلهم من حزبه[٢] حتّى يكونوا[٣] له، فلا يكونوا لغيره:
٩ لا بخطرةٍ ولا بنظرةٍ ولا بكلمةٍ ولا بحركةٍ. فبالله نطقهم وبالله سماعهم وبالله نظرهم. كما ورد في الخبر: «من بدو البداية إلى نهاية الاستقامة، لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه وبصرَه، فبي
١٢ يسمع وبي يبصر وبي ينطق»[٤].

وإنّما هذا وصف قوم استقاموا بالله مع الله، فأحيا الله قلوبَهم، وأمات شهوات نفوسهم، وأفنى حظوظَهم، وأبقى حقوقَهم. فلهم من الله ومع الله
١٥ بعد الأنفاس، سوانح واستئناس، قرّب الله أوقاتهم بالفتوح، وحالاتهم بالوضوح. فجُعلت عاداتهم عبادات، ونومُهم مطايا الاتّصال إلى المشاهدات. قال بعضهم: نوم العارفين مطيّة الاتّصال. لأنّهم يخرجون
١٨ بواسطة النوم من عالم الصور إلى عالم الصفات، ومن معدن[٥] الأشباح إلى

---

(١) تكلّف، في الأصل: ـكلف.

(٢) من حزبه، إشارة إلى القرآن الكريم ٥٨/ ٢٢: «رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله».

(٣) يكونوا، في الأصل: ـلو ـوا.

(٤) قارن بالمعجم المفهرس ٦: ٥٢٩، تحت: نفل، وقارن أيضاً بصوم القلب فصل ٨، ص ٢٦/ ١١.

(٥) معدن، في الأصل: معين، بدون تنقيط.

وطن الأرواح. ومثل هذا عندهم كخروجٍ من بيت ودخولٍ في بيت. وإنّما نال[١] أهل الاستقامة هذه الفضيلة بصدق المتابعة، وأخذوا[٢] الثمرة من حالته، صلوات الله عليه، بقوله: «تنام عينايَ ولا ينام قلبي»[٣]. وقد ورد في الخبر: «حبّذا نوم الأكياس وفطرهم[٤] خير من سهر الحُمُق واجتهادهم». ٣

فصل <٤>: في حقيقة المسكنة

فلمن له من الحقيقة ذوق، وفي عنق عبوديّته من العناية والرعاية طوق، صَفَتْ سريرته، وظهرت علانيّته، واتّحد[٥] نظرُه بالملكوت <و> ارتبطت بالواردات الحقّيّة خواطره، وخلصـ <ـت> من إلقاء وسواس العدوّ حقيقتُه، وانفتح للبصر من مادّة أنوار البصيرة شُهود الشّواهد في الهياكل[٦]، فصدقَتْ (٧ آ) فراستُه، فتحقّق في معرفة الصفات بالسِّمات، وذلك بوجدان القلب لذّة حقيقة المؤانسة، أوَان وُرود النَّفَحات[٧] من مهد روح الزيادات. كما ورد: «إنّ لربّكم في أيّام دهركم لنفحات»[٨]، فحصل للقلب مع الربّ، جلّ وعلا، بهذه الحالات، سكون لأهل[٩] الصَّفاء، أشدّ سكوناً من سكون السمكة مع الماء. ٦ ٩ ١٢

فهذه صفة أهل المسكنة الموسومين بالمحنة، المخصوصين بالمحبّة، ١٥

---

(١) نال، في الأصل: نالوا.
(٢) أخذوا، في الأصل: أخذ.
(٣) انظر المعجم المفهرس ٧: ٤٨، تحت: نوم.
(٤) فطرهم، كذا، ولعلّ الأصح: فطرتهم، أو: نظرهم.
(٥) واتّحد، في الأصل: واتحدت.
(٦) الهياكل، هنا بمعنى: الأجساد.
(٧) النفحات، في الأصل: النفاحات.
(٨) قارن بصوم القلب فصل ١١، ص ٣٠/٢ ــ ٣.
(٩) لأهل: مطموسة في الأصل.

المتوّجين بتاجِ القُرْبة والمِنّة. وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾
٣ (القرآن الكريم ١٨/٢٨): أي أدم النظر إليهم ليُنْزِل خِلعَهُ. والمقصود: بواسطة نظرك عليهم، لأنّ نظرَك في القلوب يبذر بذر الغيوب. وقال أيضاً: ولاحظهم بنظرك، حاصرهم بفكرك، وفتّشهم بمعرفتك، فإنّهم إن صلُحوا
٦ لنظر تصرّف معرفتك محلاً، صلُحوا لولايتي خِلاًّ، فأنت طبيب الأديان، وعندك مرهم تصرّف العرفان، مع نظرك سرُّ جذب اليقظة ودَفع الغفلة؛ فأنت أمين أمانتي، ونظرك محكُّ بضاعة أهلِ إرادتي، فأوصل الأمانات إلى أهل
٩ الإرادات، بطريق نظرك وهمّتك ونطقك. وهؤلاء نُدماء الذَّوْق، وحلفاء الشوق، وأسراء الإرادة، وقرناء المجاهدة، وهُرّاب الفراق، وطلاّب التَّلاق[1]، ومساكين القرب، ومجانين الشرب، فلا ﴿تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾
١٢ (القرآن الكريم ١٨/٢٨) فإنّك محلّ سرّي ووحيي، وفي نظرك تأثير[2] سرّ نظري، فإذا نظرت بي إليهم خَلَعْتُ بِرّي وسرّي عليهم، فانظر إليهم بنظرة النبوّة وسرّ العزّة، وازرع في قلوبهم بذر سرّ الولاية والهداية، فأنت
١٥ المخصوص بتصرّفي، وفي صحبتك تصحّ الولاية لأهل ولايتي، فإنّك دليل من قصدني، وفي مجالستك سرٌّ من مؤانستي، فعليك (٧ ب) مجالسة قوم أُنسهم بي ومعي، واسترواحهم بذكري، وحركاتهم لي وفيّ ولأجلي. فإنّك
١٨ إن مَنَعْتَ منك قربَهم، كَدَّرْتَ عليهم شربَهم، فإليك حوالتهم وعليك دلالتهم، وعلى يديك صلتهم ومواصلتهم، فلا تطردهم من بابك، ولا تبعدهم من جنابك؛ فإنّما نصّبتك لأسراري ورسالاتي واسطة بيني وبين
٢١ عبادي، لأنّك أمين أمانة عبادي، وخازن أسرار الربوبيّة لأوليائي، جعلتك الدليل إليّ، وأعطيتك إذن الدّلالة منّي عليّ، فمن أطاعك أطاعني، ومن

---

(١) التلاق: كذا، للسجع.
(٢) تأثير، في الأصل: سايثر.

عرفك عرفني، فأكرم شأن قوم قطعوا العلائق لأجلي، وأرادوا بعلمهم وجهي، واقرأ السلام على قوم جاؤوك، ولأجلنا قصدوك، لأنّك باب الوصول: فمن دخلك وصل، ومن أخطأك انفصل؛ بأن[1] تعرّفت إليهم وخلعتَ بمعرفتي عليهم. فكُنْ أنت الطالب لمن أردته، والراغب فيمن أهديته، والمحبّ لمن أحببته، ودع الميل والتقرُّب إلى أهل النسب والأقربين، واجعل التحبُّب[2] والتقرّب إلى أهل السبب والمساكين.

فعندها قال ﷺ، من أجل الشرف[3] والتمكين: «اللّهمَّ أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»[4].

فصل < ٥: في مسكنة النبوّة ومسكنة الولاية >

لمّا كوشفَ بحدّ نور النبوّة شرفُ ما للفقر والمسكنة عند العِزّة من السيادة سأل[5] من الله، عليه السلام، الزيادة؛ إذ لا يُطَّلَعُ على شرف المسكنة إلاّ بنور النبوّة والولاية. فللنّبوّة مسكنة، وللولاية مسكنة.

فمسكنة النبوّة شرّفها الله بشرف العزّة. فإنّ النبوّة غصن من شجرة العزّة، إذ سكون النبوّة إلى العزّة، بقوله عزّ وجلّ: «السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته».

ومسكنة الولاية شرّفها الله بشرف النبوّة، لأنّ الولاية غصن من شجرة النبوّة، إذ سكون الولاية إلى النبوّة، بقوله، عليه السلام: «علينا وعلى عباد الله الصالحين»[6].

(٨ آ) فكما أنّ مسكنة النبوّة محتاجة مفتقرة إلى شرف العزّة. فالولاية

---

(١) بأن، كذا، ولعلّ الأصح: فإنّك.

(٢) التحبّب، في الأصل: التحـ.

(٣) الشرف، في الأصل: السرف.

(٤) انظر المعجم المفهرس ٦ : ٢٢٦، تحت: سكن.

(٥) سأل، في الأصل: سئال.

(٦) انظر المعجم المفهرس ٢ : ٥٣١، تحت: سلم.

كذلك[١] مفتقرة محتاجة إلى شرف النبوّة، لأنّ الله جعل العزّة ملجأ للنبوّة. فقد ألجأ النبيُّ، عليه السلام، ظهرَه في التحقيق، إلى ركنٍ وثيق. ولهذا قال الله تعالى لنبيّه، عليه السلام: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (القرآن الكريم ٥٢/٤٨)، وذلك لسكون قلبك إلينا ووقوفك معنا ولدينا. فهذه ثمرة مسكنة النبوّة والأنبياء.

فشرف مسكنة النبوّة من العزّة، بقوله: «لي مع الله وقت لا يطّلع عليه مَلَك مقرّب ولا نبيّ مرسل»[٢]، من قوله: «إنّي أظلّ عند ربّي فيطعمني ويسقيني»[٣]، وقوله: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي».

فصار معنى المسكنة على الحقيقة السكون إلى الله على الحقيقة، ولا يقدر على السكون إلى الله على الحقيقة إلاّ الأنبياء.

وأمّا ثمرة مسكنة الولاية فبصحّة النسبة إلى النبوّة، وإنّما يُثْبِتُ لهم صحّة النسبة بذكره إيّاهم في خلوته مع الحقّ عزّ وجلّ، حين سلّم عليه الملِكُ العلاّم، فأدخل الأمّة في ذلك السلام، فحصل من السلام، ثبوت وحي الإلهام، فلأجله صار في أمّته عارفين ومحقّقين وأولياء ومكاشفين[٤]، وذلك لبركة قوله عند ربّ العالمين: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

والمسكنة عبارة عن حقيقة الافتقار إلى الله. وبمقتضى الحكم بالأحوال: كلّ من افتقر إلى الله، سكن إلى الله. ومن سكن إلى الله، استغنى بالله عمّا سوى الله. فاستأنس بالله وحده، واستوحش عن جميع ما سوى الله.

---

(١) فالولاية كذلك: مطموسة في الأصل.

(٢) انظر أيضاً هنا فصل ١٨، ص ١٢/٧٩ ـ ١٣ وصوم القلب، فصل ١٣، ص ١/٣٤ ـ ٢ حيث يختلف النصّ في بعض الكلمات.

(٣) انظر المعجم المفهرس ٣: ٥٤٧، تحت: طعم.

(٤) عارفين ومحقّقين... ومكاشفين: كذا، والأصح: عارفون ومحقّقون... ومكاشفون.

فهو يعبد الله لأجل الله، ولم يطلب من الله سوى الله. فهو المسكين عند الخلق لعدم ماله، ذو التمكين عند الحقّ لوجود حاله. فهذه علامة من تحقّق في مسكنة الولاية، وذاق من شجرة مثمرة مسكنة النهاية[١]. ٣

فمسكنة أهل البداية ثقل ومجاهدة، لأنّها خُصَّت بثمرات الأعمال. ومسكنة أهل النهاية نُزْلٌ[٢] (٨ ب) ومشاهدة، لأنّها خُصّت بثمرات الأحوال. فمن تحمّل في البداية ثِقْلَ المسكنة مع لذّة الذوق في الأعمال، وصل إلى ٦ مسكنة النهاية والكمال، بوجدان لذّة ذوق التحقيق في الأحوال. فمسكنة أهل النهاية والمشاهدة والأحوال تحقُّقاً في التصاريف، ورفعاً للكُلف من التكاليف. فخدمته بالراحة والاستراحة وعبادته بالمعاينة والزيادة. ٩

وذو المسكنة والأحوال محمول، فلأجله هو حَمول، لا عجول. إذ كلّما حمل من التكليف، قوبل بالتَّخْفيف، لأنّه قوي بالأفضال، فكُفِيَ عن وجدان ثِقَل تحمُّل الأثقال، فورث من المسكنة والاستكانة، غاية الرفعة ١٢ والقُرْبة والمكانة. فثمرة مسكنته من شدةِ عَرَتِهُ[٣] أن يجد من الله عزّ وجلّ دلائل تخصيص العنديّة، كما قال الله تعالى: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»[٤]. لأنّ حقيقة التمسكن هو غاية الانكسار، وثمرة الانكسار على ١٥ الحقيقة: العِنْدِيّة.

فهذه[٥] شرف مسكنة الأولياء، لأنّ شرف مسكنتهم من شرف مسكنة الأنبياء، إذ تخصيص مسكنة النبوّة من العزّة ظاهر بقوله عزّ وجلّ: ﴿سُبْحَانَ ١٨

---

(١) شجرة... النهاية، كذا، ولعلّ الأصحّ: من ثمرة شجرة مسكنة النهاية.

(٢) النُّزْل والنَّزَل هو ريعُ ما يُزْرَع، أي زكاؤه وبركتُه؛ انظر لسان العرب، دار صادر ودار بيروت، ١١ : ٦٥٩، مادّة: نزل.

(٣) من شدّة عرته، أو: من شدّة عزّته.

(٤) قارن بصوم القلب، فصل ١٢، ص ١٩/٣٠.

(٥) فهذه، يعني: العنديّة.

الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ (القرآن الكريم ١٧/ ١)، أسراهُ ليلاً، وحيّاهُ نَيْلاً، وسمّاهُ عبداً لاستكماله في العبوديّة، ولأنّ العبوديّة تقتضي المسكنة.

٣ فلمّا عرف ما سوى مسكنة النبوّة عند العزّة سأل ربّه جلّ وعلا أن يحشره في زُمْرة المساكين من الأنبياء والمرسلين، والالتحاق بهم وبمسكنتهم، وقوله: «أحيني مسكيناً» كقول سليمان < بن داود >، عليهما

٦ السلام: «مسكين جالس مسكيناً»، فأظهر من نفسه شرط المتابعة، كما قيل له: ﴿وَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (القرآن الكريم ٤٦/ ٣٥). وصبرُ أولي[1] العزم من شدّة التمسّكن والانكسار لله تعالى، فكأنّه قال ذلك:

٩ أي أجبني على سنّة مسكنة الأنبياء. لأنّ مسكنة الولاية لأمّته، ولم يكن له أن يسأل من الله ما هو دون مقامه ومرتبته إلاّ لأجل التواضع.

المعنى (٩ آ) الثاني: قال ذلك على سبيل الإشارة، واللفظ يقتضي

١٢ الاحتراز من فتنة الأنانيّة. فلو قال: «احشرْهُم في زُمرتي» لكان ذلك قول الآمن، لا قول الخائف، والعصمة حافظ له من قول الآمنين، من مكْر الله. فقوله قول الخائفين، وقد قال: «أنا أعرفكم بالله وأشدّكم له خوفاً»[2].

١٥ والمراد له من ذلك حشر الأُمة في زمرته، فأخرج اللّفظ على سبيل إظهار التواضع بين أصحابه ليسترشدوا ويهتدوا فيعرفوا ما مقدار المسكنة عند الله تعالى، وليكونوا في القدرة بصفة المقتدي ولينزل المنتهي بطريق

١٨ التفهيم والتعليم إلى درجة المبتدئ. وإذ كان هو، صلوات الله عليه، شفيعاً للأمة هادياً لهم رؤوفاً رحيماً بهم في الدنيا والآخرة لم يجز أن يكون[3] هو، عليه السلام، في زمرتهم، بل هم كلّهم في زُمرته، حتّى الأنبياء والمرسلين،

---

(١) أولي، في الأصل: أولوا.

(٢) انظر أيضاً صوم القلب، فصل ١٣، ص ٣٣/ ٣.

(٣) لم يجز أن يكون، في الأصل: لم سحران سلون.

كما ورد: «لو كان موسى وعيسى حيّاً[١] لما وسعهم < ـا > إلاّ اتّباعي»[٢]. وقال أيضاً: «حتّى إبراهيم الخليل يحتاج إليّ في ذلك اليوم» أي في القيامة. وإنّما قال ذلك مطيّباً لقلوب الفقراء من جماعته وأهل صفوته من صُفّته ليزدادوا طيب عيش في فقرهم ومسكنتهم. كما ورد أنّه، عليه السلام، وقف يوماً على أصحاب الصفّة فرأى فقرهم وجهدهم وطيبَ قلوبهم، فقال: «أبشروا يا أهل الصّفّة، فمن بقي من أمّتي على النعت التي[٣] أنتم عليه فإنّه من رفاقي في الجنّة».

وليكن ذلك عزاءً وشرفاً لفقراء أمّته إلى القيامة ممّن أكرمهم الله بمعرفته، ومنحهم بكرامة ولايته، وسقاهم من بحر معرفته، وخصّهم من بين البريّة بمحبّته. فلعزّتهم[٤] عنده وكرامتهم عليه، عظّمَ عندهم شأنَ الفقر، وعرّفهم بالفقر، وكشف لهم عن معرفته سرَّ الفقر، فصار الفقر شعارَهم ودثارَهم.

فصل < ٦: في الفقر والغِنَى >

(٩ ب) الفقر في الحقيقة سرّ الغنى. فمن استغنى عمّا سوى الله، افتقر إلى الله، ومن افتقر إلى الله لم يفتقر إلى شيء سوى الله، ولم يستغني[٥] بشيء ممّا سوى[٦] الله إلاّ بالله. وما داموا مفتقرين إلى الله، استغنوْا عن الخلق، واستنكفوا أن يسألوا من الحقّ غير الحقّ. إذ[٧] لا يجوز لمن هو في

---

(١) حيّاً: كذا في الأصل.

(٢) قارن بما ورد في سنن الدارمي، تحقيق عبد الله هاشم يماني مدني، ١: ٩٥، حديث رقم ٤٤١.

(٣) التي: كذا في الأصل.

(٤) فلعزّتهم، بمعنى: فلمَعَزَّتهم.

(٥) يستغني، كذا في الأصل.

(٦) سوى، في الأصل: سوا.

(٧) إذ، في الأصل: إذا.

مقام الافتقار إلى الله، أن يسأل من الله غير الله. إذ < إنّ > ذاك السؤال للغنيّ[١] بالله.

فالغنيّ بالله جائز أن يسأل من الله غيرَ الله، لوجود الإذن في مصالح الخلق.

أمّا المفتقر إلى الله، إن سأل من الله غيرَ الله، فقد خرج من طلب ما يعنيه إلى طلب ما لا يعنيه، وبذلك يوشك أن يُطْرَد ويُمْقَت ويُحْجَب. إذ في حكم الحقيقة: كلّ من سأل من الله غيرَ الله، وهو مفتقر إلى الله، فقد أشرك، لأنّ في نظره ليس إلاّ الله، وفي خاطره لا يقع إلاّ الله، وعلى لسانه لا يجري إلاّ اسم الله، وفي قلبه لا يوجد إلاّ حُبّ الله، والقلب مستغرق في الله. فكيف يعلم أنّ في الوجود غير الله، وقد أنساه الله جميع ما سوى الله؟ فهو الناسي لما سوى الله، الفاني في الله أينما كان. فهو مع الله، وهو لا يغيّر عن الطلب لله. لأنّ مقام افتقاره هو الشرب من شواهد الله. فهو في مقام الشرب، لا في مقام القرب. والشواهد من وراء أستار البهجة. فهو السائر إلى الله، الواصل إلى مقامات تجلّي الصفات. ومُقامه في تجلّي الصفات، مقامُ الافتقار إلى الموصوف، المستغني عن جميع الشواهد والكشوف. فهو حقيقة الافتقار إلى الله.

ومعنى حقيقة الافتقار إلى الله هو أن يستغني عن وجود الناس. وأمّا معنى الاستغناء بالله على الحقيقة، فهو أن يُغني الناس بهِمَّته ودُعائه. وقد قال بعض الكبار: «إذا تمّ الفقر فهو الله». وهو انتهاء قدم الافتقار إلى الله، في طريق الله، ممّا سوى الله، إلى الله، ليصبح الاستغناء بالله.

فالفقر التامّ (١٠ آ) هو أن يصل المفتقر إلى الله من طريق السلوك والذوق، إلى أن لا يعجبه ولا يعوقه، ولا يلذّه ولا يحجبه جميع الأحوال

(١) للغنيّ، في الأصل: الغني.

والمشاهدات، لأنّه وجد من مقام افتقاره إلى الله لذّة معرفة الله، فاستغرق فيه حتّى فني فيه. فإذا لم يبق منه بقيّة، اتّصف بصفة البقاء، فيبقى به، فأخبر عنه. وإذا أخبر عنه، فقد تمّ الفقر، لأنّه أخبر نفسَه بنفسِه عن الله تعالى. لأنّه أخبر عن الله بالله. وإذا أخبر عن الله بالله، فقد أوصله الفقر إلى الله، لأنّ ثمرة الافتقار إلى الله هو الوصول إلى الله. ومن وصل إلى الله أخبر عن الله تعالى. وإذا أخبر عن الله فقد تمّ الفقر بالله.

وتمام الفقر بالله أن لا يبقى افتقار. ومن لا افتقار له في كل حال فهو الله. فليس هذا من صفات الخلق، لأن صفة الخلق دوام الافتقار إلى الله.

فالمفتقر إلى الله عمّا سوى الله، هو المستغني بالله عمّا سوى الله. فلا حاجة لهم إلاّ إلى الله، وذلك لعلوّ هممهم، وصفاء قلوبهم، وطهارة أسرارهم. تركوا الدنيا فعوّضهم الله ذخائر الآخرة، فلم يشتغلوا بها ولم يلتفتوا إليها، فعوّضهم عنها دوام الأُنس به، ودوام النظر إليه، ودوام الوقوف معه. وليس أنسهم مع الله، إنّما أنسهم مع الحال الذي لهم مع الله. وليس نظرهم إلى الله، وإنّما نظرهم إلى شاهد الله؛ وليس وقوفهم مع الله، إنما وقوفهم مع أمر الله[1]. فهؤلاء في طلب الطلب لله إلى أن يصيروا من حزب الله[2] وفقراء الله، الذين قال، عليه السلام، في حقّهم: «ربّ أشعث

(١) قارن بختم الأولياء ص ١١٧ حيث يقول: «والأولياء عندنا على صنفين: صنف أولياء حق الله، وصنف أولياء الله، وكلاهما يحسبان أنّهما أولياء الله»؛ وأيضا بسيرة الأولياء ص ٢/ ٤ ــ ٥ باختلاف بسيط.

(٢) حزب الله: قارن بالآيتين الكريمتين التاليتين: «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»، القرآن الكريم ٥/ ٥٦؛ «لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولاَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولاَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ =

أغبر ذي طِمرَيْن لا يُؤْبَهُ له، لو أقْسَمَ على الله لأبَرّه»[١].

وقوم على الفقر وهم[٢] في مقام طلب الفقر. وقوم في الفقر وهم في
٣ مقام علم الفقر. وقوم للفقر وهم أغنياء رموز كنوز الفقر وهم أهل البذل
والإيثار، كما قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ﴾ (القرآن الكريم ٩/٥٩). (١٠ ب) وقوم بالفقر، وقد زهدوا فيما
٦ سوى الله، وهم أهل التوكّل والكمال. قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ
أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (القرآن الكريم ٢/٢٧٣). وقوم مع الفقر، قد تحمّلوا
شدائد الفقر لعلمهم بمنزلة الفقر عندَ الله، وهم أهل الصَّبْر[٣]، كما قال،
٩ عليه السلام: «الفقراء الصُّبَّر هم جلساء الله يوم القيامة». وقوم عرفوا الفقر
< و > وصلوا إلى نهاية الفقر، فأغناهم الفقر بالفقر عمّا سوى الفقر.
وها هنا سيَفْتَحُ لهم بابَ الحقيقة العلمُ، بشرف الفقر، ويذوقوا[٤] من لذّة
١٢ ثمرة سرّ الفقر، وهم أهل الافتقار بالفقر، كما قال، عليه السلام: «الفقر
فخري». ومن هذا المقام سيدخل[٥] أهل الاختيار والافتخار من الفقر إلى
مقامات الترقّي في الأحوال، إلى أن يصلوا[٦] بالسير إلى قطع ما سوى الله.

١٥ فهم في مقام التجلّي: بين تجلّي صفات الذات، ومقام تجلّي صفات
الأفعال، وبين تجلّي صفات الأسماء. مرخىّ دونهم حُجُب البهجة، فإن
قطعوها وصلوا إلى صفة تجلّي ما سيظهر في الآخرة، وهو حقيقة التجلّي.

= الْمُفْلِحُونَ»، القرآن الكريم ٥٨/ ٢٢.

(١) المعجم المفهرس ١: ١٥٩، تحت: أبرّ، و٣: ٣٤، تحت: أشعث.

(٢) على الفقر وهم: أضيفت في الهامش.

(٣) الصبر، ورد في الأصل: البصر، وهو تصحيف.

(٤) ويذوقوا، كذا، والصحيح: ويذوقون.

(٥) سيدخل، في الأصل: سيدخلون.

(٦) يصلوا، في الأصل: يصلون.

وإلاّ فهم أسراء ما سيظهر من وراء حجاب البهجة. وإنّما حجاب البهجة في مقام تجلّي صفات الأسماء والأفعال. ومقام المُفْتَقِر إلى الله لا يشفيه أحوال[(١)] تجلّي صفات الأسماء والأفعال. لأنّ في مقام افتقاره إلى الله أضاء له شمس أعلى[(٢)] معرفة الله. ولا شفاء له من غيره حتّى يبرز عليه شمس تجلّي صفات الذات. فهذا لافتقاره تماماً[(٣)] إلى الله.

وعلامة من عرف الله، أن تصير عاداتُه عبادات، وعباداتُه إشارات، وحركاتُه حالات، وإرادتُه واردات، ومقالاتُه مناجيات[(٤)]، ومعاملاتُه[(٥)] مشاهدات، وساعاتُه منازلات، وخطراتُه محدّثيات، وغضبُه مهلكات، ورضاه مُنْجِيات.

فلمّا عرف، ﷺ، ما في الفقر من غايات، (١١ آ) امْتَدَح، فقال، عليه السلام: «لي فرحتان، من أحبّهما فقد أحبّني: الفقر والجهاد». وأمّا صفة فقره، عليه السلام، < فهو > الافتقار عمّا سوى الله والاستغناء بالله، كما قال، عليه السلام: «إنّي أبيت عند ربّي فيطعمني ويسقيني»[(٦)].

---

(١) أحوال: أضيفت في الهامش.

(٢) أعلى، في الأصل: أعل.

(٣) تماماً، في الأصل: تمام.

(٤) مناجيات، في الأصل: مناجات.

(٥) ومعاملاته، في الأصل: ومعاملا.

(٦) يَنْسُبُ هذا الحديث إلى الرسول الكريم أبو بكر دُلف بن جحْدر الشِّبْلي المتوفّى سنة ٣٣٤ هـ/ ٩٤٦ م، انظر طبقات الصوفيّة للسُّلَمي تحقيق شربية ٣٣٩، ولواقح الأنوار للشعراني ٢: ٨٩/ ١٣؛ أبيت: أظلّ؛ وانظر أيضاً صوم القلب، الفصل ١٣، ص ٣٤/ ١٧، حيث يبدأ الحديث بـ: «لست كأحدكم...»، ثم قارن بما ورد في المعجم المفهرس ١: ٢٣٥ تحت: بيت، وصحيح البخاري، د. البغا، صوم، رقم ١٨٦٠ ـ ١٨٦٦، وصحيح مسلم، عبد الباقي، صيام. رقم ١١٠٣.

وأمّا صفة حال الغنيّ بالله، < فهو > المُنفق[١] ـ بقانون القدرة مع عدم الشيء ـ من خزائن الله في السماوات والأرض. قيل في وصفهم:
٣ يمنعهم علوّ هممهم عن رفع حوائجهم إلاّ إلى مولاهم. ومع ذلك لا يسألون من الله إلاّ بالله، أي بإذن الله. لأنّ الهمّة رسولهم من الله إليهم. فهم أغنياء بالله في جميع الأحوال. أصحاهم وأبقاهم لأجل خلقه. وكُشِف لهم في
٦ الأحوال عن مراد الله: فتارة يحوِّجُهم، ومراد الله أن يسألوه[٢]، فلأجل مراد الله منهم يسألونه، وتارةً يحوِّجُهم. ومراد الله أن يسألوا[٣] الناس لا إلحاحاً. بل إسعافاً[٤]، فيصرفون الهمّة نحو الخلق. فهناك الخلق
٩ يقصدونهم فيعرفونهم بسيماء[٥] الاحتياج، فيقضون حوائجَهم. فيُعطَوْنَ على ذلك من السعادات والحالات والمعاملات بسببهم.

فأغنياء الدنيا هم الفقراء إلى دُعاء الفقراء، وفقراءُ الدنيا هم الأغنياء
١٢ بأحوالهم، لأنّ بهم قوام الدنيا، وبهم صلاح الخلق، وبهم يوجد النفع ويعْدَمُ الضّرّ، لأنّ الله أفقرهم لأجل افتقار الخلق إلى دعائهم وبركتهم. إذ هم من شأن الخلق وأجلهم، لأنّهم غياث الخلق. كما قال < ﷺ > : «هم
١٥ القوم لا يشقى بهم جليسهم، لأنّهم من جلساء الله»[٦]. ومن جالس جليسَ الله، شَمَّ من معرفة الله، فوصل إلى الله. وقد قيل: «للجنّة قوم، وللنار قوم، وللمجالسة قوم آخرون»[٧].

---

(١) المنفق، في الأصل: المتفق.

(٢) يسألوه، في الأصل: يسألونه.

(٣) يسألوا، في الأصل: يسألون.

(٤) إسعافاً، في الهامش: استعفاً.

(٥) بسيماء، في الأصل: بسما.

(٦) انظر المعجم المفهرس ٣: ١٦٣، تحت: شقي.

(٧) انظر أيضاً هنا فصل ٩، ص ١٤/٥٢ وقارن بصوم القلب، فصل ١٦، ص ١٨/٤٤، حيث جاء: وقد ورد: «للدنيا قوم، وللآخرة قوم، وللمجالسة قوم =

ولأهل المجالسة في العبادات والمعاملات البدنيّة، زيادات وقُرُبات قلبيّة، فوق الثواب، في دار المُنْقَلب والمناب، بل في (١١ ب) هذه الحياة الدنيا في العاجل قبل الآجل من فوائد الاقتراب، من ربّ الأرباب. كما ورد في الخبر: «من تقرّب منّي شبراً تقرّبت منه ذراعاً، ومن تقرّب منّي ذراعاً تقرّبت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[1]. ومعنى الخبر: من صدق في قصده إليّ، أنلته من كرامتي أكثر من صدقه، حتّى إذا بالغ في صدقه وقصده، بالغتُ في كرامته حتّى جذبته إلى مكاشفته في بدء[2] أمره وطلبه، لصدقه. وإنّما هذا لأنّ باب السلوك في العاجل قبل الآجل، ولهذا قال سيد المرسلين، ورسول ربّ العالمين، ﷺ: «الجمعة حجّ المساكين». عُدْنا إلى نشر أسرار المسكنة لمساكين عُدموا المسكنة إلى زيارة الكعبة، وجعل الله قصدهم إلى الجمعة كقصد القاصدين إلى الكعبة، وذلك لقرب قلوبهم من الله، واجتماعهم بالله، وشهودهم الله، صار حجّهم الجمعة.

فصل < ٧: في > القول فيما يتعلّق بالحقيقة من أسرار الجمعة

< الجمعة > فيها معانٍ، الأوّل: أنّ فيها ساعة الإجابة، فمن ظفر بساعة الإجابة، استجاب الله دعاءه[3]، فحجّ في جمعته، فله في كلّ جمعة حجّ.

= آخرون»، ثمّ قارن ببهجة الطائفة، فصل ٢٤، ص ٩٨/٣ ـ ٤، حيث لُخّصَ القولان بقول واحدٍ: «خلق الله للدنيا قوماً، وللآخرة قوماً، وللجنّة قوماً، وللنار قوماً وللمجالسة قوماً وللمشاهدة قوماً، وذلك بإضافة «للمشاهدة قوماً».

(١) هرولة، في الأصل: هرول؛ انظر المعجم المفهرس ٥: ٣٥٤، تحت: قرب.

(٢) بدء، في الأصل: بدو.

(٣) دعاءه، في الأصل: دعاؤه؛ ويوجد حديث بهذا المعنى، انظر المعجم المفهرس ١: ٣٦٩، تحت: جمعة.

الثاني: أنّ الظافر بساعة الإجابة، فمقامه تلك الساعة عند الله مقام حَجِّه، فمن ظفر بها كان في الثواب بمثابة حجّة لمن لا استطاعة له. لأنّ
٣ الدعاء فيها مستجاب، كما أنّ الدعاء في الحجّ مستجاب. ومن استجيب[١] دُعاؤه إنّما [أن] يُطْوى له الأرض، فيسير إلى الكعبة بمقدار طرفة عين ليزورها؛ أو تسير إليه الكعبة لتزورَهُ[٢].

٦ الثالث: أنّ في الجمعة سرّ تعبّد قلبيّة[٣] وسرّ تعبّد بدنيّة[٤]، كذلك الحجّ، فمن صحّت مسكنته، فالجمعة حجّة، لأنّ فيها (١٢ آ) سقوط الحجّ وإيجاب الجمعة، وهذا لوجود[٥] المسكنة صحيحة في الشريعة والحقيقة.

٩ فمن حيث الشريعةُ صارت الجمعة حجَّهم، < وذلك > لعجزهم وفقرهم وقلّة مالهم.

ومن حيث الحقيقة، صارت حجَّهم لأنّها يوم المزيد[٦]، وفيها الفوائد
١٢ لأهل المسكنة والتجريد. لأنّ المساكين من أبناء الآخرة، ويوم الجمعة من أيّام الآخرة. وفي الآخرة، يشاهد[٧] أهل المسكنة ما في الآخرة، لأنّه بين الجمعة والحج، بالاجتماع فيهما، مُناسبةٌ، ويومٌ جَمَعَ القيمَةَ، في نظر
١٥ المساكين من أهل الحقيقة.

وحقيقة المسكنة إنّما هو سكون قلوبهم إلى الله، والاستيحاش عمّا سوى الله.

---

(١) استجيب، في الأصل: استجاب.
(٢) قارن بماير، أبو سعيد بن أبي الخير، ٦٣.
(٣) قلبيّة: كذا.
(٤) بدنيّة: كذا.
(٥) لوجود، في الأصل: الوجود.
(٦) المزيد، في الأصل: المرند.
(٧) يشاهد، في الأصل: يشاهدون.

ولهذا المعنى جُعِلَ الجمعةُ حجَّهم. لأنّ ظاهر الشروط من الحجّ ساقطة عنهم، وباطن حقيقة الحجّ موجود لهم، مشهود عندهم، بوجود شرف المسكنة التي اختارها، عليه السلام، لنفسه، فقال: «أَحْيِني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»[1].

المعنى الرابع: في أنّ الجمعة حجّ المساكين، لأنّها موسومـ < ـة بـ > ـإعطاء خلعة المساكين للمساكين. ولهذا تسمّى في الجنّة: يومَ المزيد[2]. وفيها نزول الملائكة. وإنّما نزولهنّ بأنواع الفوائد. فـ < ـإنّـ > ـما لأهل المعاملات القلبيّة إعطاءُ كشفٍ إلى كشفهم، ومشاهدة إلى مشاهدتهم، وأُنساً إلى أُنسهم. لأنّ الجمعة، بمعرفة سر الإجابة، جامعة بين كلّ طالبٍ ومطلوبِه، وقاصدٍ ومَقصودِه. وذلك لزيادة فَضله تخصيصاً عند الله، على سائر الأيّام، وزيادة فضل أهلها على سائر الأنام. كما قال رسول الله، ﷺ: «سيّد الأيّام يوم الجمعة»[3].

كذلك الصلاة في يوم الجمعة سيّد (١٢ ب) الصلوات، وذلك لما ينزل فيها من عند الله لأوليائه من التُّحف والمنح والهدايا إلى قلوبهم وأسرارهم، لأنّها مخصوصة برفع الحجاب، لأهل المجالسة والاقتراب. ولذلك سمّى رسول الله، ﷺ، ليلة الجمعة بـ«الليلة الغراء»[4]، ويومَ الجمعة بـ«اليوم الأزْهَر»، وذلك لنزول الملائكة والأنوار والأسرار إلى قلوب المقرّبين، والأبرار، والسابقين، والأخيار.

وسُمّيَ جمعةً في اصطلاح الطائفتين من أهل الشريعة والحقيقة، لأنّها تجمع الخلق، وكما هي جامعة للآدميّين، فكذلك هي أيضاً جامعة

---

(١) انظر المعجم المفهرس ٦: ٢٢٦، تحت: مسكن.

(٢) المزيد، في الأصل: المريد.

(٣) انظر المعجم المفهرس ٣: ١٧، تحت: سود.

(٤) «ليلة الجمعة غرّاء ويومها أزهر»، المعجم المفهرس ٤: ٤٧٠، تحت: غرّ.

للروحانيّين. فمن شاهد بركة ساعة الإجابة، شاهد بركة فوائد ما يجده العارفون، الناظرون[١] بعين قلوبهم إلى أهل علّيين[٢] من نزول الملائكة.

٣ فحجّ القلوب، إلى علاّم الغيوب، وحجّ الأجسام، إلى البيت الحرام. ألا ترى كيف خصّ حجّ الجمعة بالمساكين، دون العالمين. لأنّ المساكين، هم أهل الوصول والتمكين، وحجّاجُ الكعبةِ سائرُ المسلمين.

٦ فبين الناس في معرفة الجمعة تفاوت: فقوم خرجوا من الجمعة بالثّواب، وعليهم خوف الحساب. وقوم خرجوا بالثواب[٣]، وقد صادف دعاؤهم ساعة الإجابة، فحصل لهم الثواب والإجابة. فمن صادف ساعة ٩ الإجابة، ربّما قُضيتْ حاجتُه، واستجيب دعاؤه، وهو عن معرفة الساعة جاهل. فهو من أهل الصلوات لا من أهل الصّلات[٤] والمجالسات.

وقوم عرفوا ساعةَ الإجابة، وعرفوا إجابةَ الدعوة، وأُعْطوا مقامَ ١٢ استجابة الدُّعاء. فصارت جميعُ أوقاتهم ساعة إجابة. إذ سرُّ ما كان في الساعة خالط أسرارهم[٥]، والتَصَقَ بقلوبهم. فالسرّ حالهم ووصفهم، وتصرُّف السرّ سفيرهم ورسولهم إلى الله (١٣ آ) عزّ وجلّ. فإذا أرادوا بأمر ١٥ قُضي من قبل أن يدعوا[٦]، فتلك الساعة حجّهم، وعند الله محجّهم.

فصل < ٨ >: في الذكر

الذكر على الحقيقة ذكر القلب لا ذكر اللسان. وذكر القلب عند النهاية

---

(١) يجده...، في الأصل: يجدونه العارفين الناظرين.
(٢) أهل علّيين: فيه إشارة إلى القرآن الكريم ٨٣/ ١٨ ـــ ٢٦.
(٣) عليهم... بالثواب، أضيفت في الهامش الأيمن.
(٤) الصلات، في الأصل: الصلاة.
(٥) أسرارهم، في الأصل: لأسرارهم.
(٦) يدعوا، في الأصل: يدعو.

يقتضي رفع الحجاب. والذاكر على الحقيقة من هو مذكور الحقّ. كما قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (القرآن الكريم ٢/ ١٥٢)[١]. ومذكور الحقّ بشرط الحقيقة والرّضى هو الذي نسي ما سوى الله، بذكر الله. كما قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (القرآن الكريم ١٨/ ٢٤)، أي: إذا ذكرتني ذكراً، أنساك ذكري ذكرَ ما سواي، فقد ذكرتني، ومعنى قوله: ﴿فَاذْكُرونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (القرآن الكريم ٢/ ١٥٢)[٢] أي: أُذْكروني ذِكراً يستوجب منّي الذكْر لكم[٣]. وذلك الذكر هو ذكر القلب، لأ < نّ > القلب إذا ذَكَرَ ذُكِرَ.

ومعنى ذكر الحقّ للعبد نظرُه إليه، وإقبالُه عليه، وقربُه منه. وهذا ذكره في نفسه، كما قال: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم»[٤]. ولهذا في الحقيقة شرح يطول، أي «اذكروني».

وذكر القلب نوعان: نوع استئناس ونوع استغراق[٥]. فنوع الاستئناس في مقام اللطائف، ونوع الاستغراق في مقام مشاهدة ذكر الحقّ إيّاهُ. فهو مذكور الحقّ، لأنّ مشاهدة سَطْوَة ذكر الحقّ إيّاه، سَلبه عن الذكر إلى الشهود. فصار الذاكر جليس الحقّ، وقد قال الله تعالى: «أنا جليس من ذكرني».

والمذكور مُجالسٌ ومؤانس. لأنّ الله يذكُرُه في نفسه. فإن ذكره بين

---

(١) فاذكروني، في الأصل: اذكروني.

(٢) فاذكروني، في الأصل: اذكروني.

(٣) وليس كما يقول ماير، انظر فوائح، المقدّمة الألمانيّة، ملحق النصوص، ص ٢٩٧.

(٤) انظر المعجم المفهرس ٢: ١٧٩، تحت: ذكر.

(٥) استغراق: قارن بماير، فوائح، ملحق النصوص، ص ٢٩٧ هامش ٢.

ملأٍ، أثنى عليه بين[١] ملأ الملائكة. كما ورد: «يناجي[٢] اللهُ ملائكتَه»،
والمراد منه الذكر الدائم. وإنّما يحصل ذلك بقطع الأوقات في الخلوات
٣ ليَصْفوَ[٣] الباطنُ في الأوّل من الكدورات والمذمومات ثمّ يتنوّر[٤]
بالمحمودات والمعاملات. فيظهر منه حسن الأخلاق، وجميل الأحوال،
وصفاء الأعمال إلى أن (١٣ ب) يقع في التَّرقّي والزيادات، في الدرجات.
٦ ثمَ يترقّى إلى سوانح سواطع الوقائع والواردات. ثمّ ينتقل إلى علم الفتوح،
في محض الوضوح، من المحدَّثيّات، وهو الفيض الربّاني. ثمّ ينتقل إلى
الأحوال والمشاهدات، فتتجلّى له حقائق الصفات.

٩ وإنّما فائدتهم من هذه المطالعات، والمواصلات، والمنازلات، أن
تتصف قلوبهم بصفة الكلمة. وإذا اتصف، محتْ صفةُ الكلمة وجودَهم،
حينَ وَرَدَ في قلوبهم وُفودُ عساكر حقائق الكلم[٥] فأغاروا على كلّ محصول
١٢ وموجود لهم من بقيّة وجودهم ومحسوساتهم. فهناك يشهد العبد كأن لم
يكن، والحقّ كما لم يزل يشهد نفسه[٦]. فحين توحّدت الكلمة في الباطن
من الأغيار سقطت من حقيقة الكلمة في القلب أسرارها، ولمعت[٧] من

---

(١) ملأ. . بين: هذه الإضافة وردت في الهامش.
(٢) يناجي، في النصّ بدون تنقيط، ولعلّ القصد: يباهي.
(٣) ليصفو، في الأصل: ليصفوا.
(٤) يتنوّر، في الأصل: يتثور.
(٥) وفود. . . الكلم: قارن بـ «هجوم عساكر الآيات عليه»، فوائح، فقرة ١٨٢ ص ٤/٩٠ وبـ «هجمَتْ عليه جنود الذكر»، فوائح، فقرة ١١٦، ص ١٥/٥٥.
(٦) قارن بما ورد في اللُّمَع للسرّاج ص ٣٠، حيث يقول السرّاج معلّقاً على تعريف الجنيد للتوحيد: «وهذا غاية حقيقة التوحيد للواحد أن يكون العبد كما لم يكن ويبقى الله تعالى كما لم يزل».
(٧) لمعت، في الأصل: لمعة.

صفوها وصفائها أنوارُها. فعندها شاهدوا الكلمة عاريةً عن الحروف، في
لباس إشراق أنوارِ الوصف من الموصوف. فاستغرق الذاكر في الذكر حتّى
فني، وبقي الذكر بصفة المذكور، حين أُبينَ نعتُ العدم عن نعت الحَدث، ٣
فقام من الذكر مقام الذاكر. فاستُلِبَ القلب من النِّير، وذهل عن كلّ تغيير،
وغُيِّرَ، فصارتِ الكلمةُ قلباً والقلبُ كلمةً.

فكلّ ذرّة منه ذاكرٌ: امتزجـ < ـت > الحقيقةُ بلحمه ودمه وشعره ٦
وبشرته[1]. وصار الذكرُ للذاكر إلْفاً، والذاكرُ منه إلفاً إلفاً. فبهذا تفرَّغَت[2]
منهم لله الهمَمُ، وصفتْ لهم مع الله المقاصدُ والأحوالُ بنعت القدم،
فأخلصوا اللهَ النيّاتِ، ووجدوا من العزم الصحيح مع الله بالثبات، فاختُصُّوا ٩
بمقام التربية، وصلحوا للقدوة والدعوة في إبقاء الحقوق وإفناء الحظوظ،
وجذب الخلق إلى الحقّ ببذل المحمود، في تحصيل المقصود، من الواحد
المعبود. ١٢

فعند ذلك سهُل على (١٤آ) المريدين الطالبين بصحبتهم وخدمتهم تَرْكُ
المألوفات، فخرجوا من كلّ ما سوى الله بالاختيار، من قبلِ أن تُخرجَهمُ
المنيّةُ بالاضطرار. فلا جرم أن ظفِروا بالنِّعَم، في أوّل قَدَم، وأُوتوا بالمزيد، ١٥
عند بدء التجريد.

فلمّا وصلوا إلى النهاية، ووجدوا من حالِهمُ الغايةَ، حُمِلَ عنهم أثقالُ
كُلْفَة التكاليف، فعبدوا اللهَ على وجه الترويح والتخفيف، ورؤية الفضل ١٨
والتشريف، لأنّ كلمة الذكر ــ بظهور حقيقتها وفائدتها وتصرّفها ــ أفنتهم[3]
عن طباعهم وأوصافهم وعاداتهم ورُسومهم، وأبقتهم[4] بنعت صفائها

---

(١) وبشرته، في الأصل: وبشره.

(٢) تفرّغت، في الأصل: تفرت.

(٣) أفنتهم، في الأصل: أفناهم.

(٤) وأبقتهم، في الأصل: أبقاهم.

وطهارتها ونزاهتها، فأُبْدِلوا عن صفاتهم بصفات الأحوال، مثل: التِّيه والحَيْرَة والوَلَه والدهشة، حتّى ذاقوا لَذّةَ حلاوة الخروج من الوجود، وبذلك
٣ صلُحوا محلاً لحقائق الذكر والشهود، فظهر من التِّيه دوامُ الأُنس، ومن الحيرة دوامُ المجالسة، ومن الوَلَهِ دوامُ الاسترسال، مع نعوت الجلال والجمال، وسائر أنواع النوال والإفْضال والأحوال، ومن الدهشة دوام
٦ الحضور. وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ (القرآن الكريم ٣٣/ ٤١)، والكثيرُ يحتاج إلى الدوام حتّى يستغرقَ جميعَ الأوقات في الذكر، فلا يفْتُر من الذكر ساعةً، وإن فتَرَ، فبلسانه لا بقلبه.

٩ وليس هذا من شأن ذكر اللسان، لأنّه يفتر عن الذكر بالانشغال بقضاء أوطار الجسد، مثل: النوم والأكل والكلام ــ وسائر الجسد مضطرّ إليه من العادات ــ فلا يصحّ منه الذكر الدائم.

١٢ وإنّما الذكر الدائم من شأن القلب، إذ ليس له من الموانع كما للّسان. فمن هذا الوجه كان الذكر الدائم على القلب واجباً في جميع الأحيان والزمان، وعلى اللسان في بعض الأحيان. فثبت بالدليل العقليّ والنَّقْليّ أنّ
١٥ (١٤ب) الذكرَ الدائمَ صفةُ ذكر القلب. فإنّه إذا دام في الذكر اتّصف بصفاء الذكر. وإذا اتّصف بصفاء الذكر صار القلب غيباً، فوقعت الكلمة في الغيب. وإذا وقعت الكلمة في الغيب فالقلب في الغيب غائب. وهذا من جملة العلم
١٨ الذي يذاق منه، ولا يقال عنه، حتّى يصير علم المريد غيباً لا تعليمياً. إذ ليس للعلم والعقل إليه طريق، إلاّ بالذَّوْق فقط[1]. فحصل الذكر غيبيّاً، والغيب قلبيّاً. فصار القلب ذاكراً في كلّ حال، إذ لا مانعَ للقلب من الذكر
٢١ إلاّ غلبةُ النفس. فإذا تخلّص منها، عاد القلب إلى عادته. إذ غِذاؤه[2] الذِّكْرُ، وحياتُه بالذكر. فلا صبر له عن الذكر، ولا ملال له من الذكر. لأنّ

(١) قارن بماير، فوائح، المقدّمة الألمانيّة ص ١٠١.
(٢) غذاؤه، في الأصل: غذاه.

الجائع لا ملال له من الطعام وهو جائع، والعطشان لا ملال له من الماء وهو عطشان. كذلك القلب لا ملال له من الذكر ما دام هو للذكر طالب، وعلى الذكر عاشق. مثاله السمكةُ في وسط الماء ولا أحوج منهـ< ـا > إلى ٣ الماء، إذ بسببه حياتها[١] وبعدمه موتها.

وقد قال النبيّ ﷺ: «سيروا. سَبَقَ المُفَرِّدون»[٢]، قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «المستهترون». وقيل: «المهترون بذكر الله»، وضعَ الذكرُ ٦ عنهم أوزارَهم، فوردوا القيامةَ خفافاً.

فالاستهتار بالذكر صفةُ القلب لا صفة اللسان، كما أنّ الاستهتار بالطعام صفة الجسد لا صفة القلب. لأنّ حقيقة الذكر تجلّت[٣] للقلب، ٩ فصار القلب مستهتراً به، عاشقاً عليه، مستغرقاً فيه. وقد كان هذا من عادة رسول الله، ﷺ، في بدء تخلّيه وتعبُّده: أَكْثَرَ من الذكر لحدّ حتّى قالوا العرب[٤]: إنّ محمّداً عشق ربّه، لما كان يَظهر منه، عليه السلام، من دوام ١٢ الذكر.

< فـ > حين اتّصف القلب به، فلا صبر له عنه[٥]، إذ ذلك غذاؤه وحياته. فصار القلب بدوام الذكر بصفة الملائكة. ألا ترى أنّ الملائكة لمّا ١٥ لم يكونوا (١٥آ) من أجناس الآدميّين بل روحانيّين، لم يقطعهم عن الذكر لا طعامٌ ولا شراب ولا نوم ولا غير ذلك، ذكرهم الله عزّ وجلّ بدوامِ الذكر، فقال: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ (القرآن الكريم ٢١/ ٢٠)، ١٨

---

(١) حياتها، في الأصل: حيوتها.

(٢) ... المفردون: قارن بغولدتسيهر، المجموعة الكاملة ٥: ٤١٢، وقارن أيضاً بالمعجم المفهرس ٧: ٦١، تحت: هتر.

(٣) تجلّت، في الأصل: تجلى.

(٤) لحد حتّى قالوا العرب، كذا، ولعلّ الأصحّ: إلى حدّ أن قالت العرب.

(٥) قارن بماير، فواتح، المقدّمة الألمانيّة ٢٨٤.

فكذا[١] القلب، إذا طهّره الذكرُ وأخرجه من سجن عبادات صفات النفس إلى صفاته الروحانيّة، من صفات عالم الأمر، التي طُبِعَ عليها: من الطهارة
٣ واللطافة والرقّة والصفاء. فإذا استغرق بوجود صفاته في الذكر، صار القلب والملائكةَ في هذه القاعدة سواء. فانظر إلى صفة عبدٍ وقلبُهُ بمثابة الملائكة، كما كان في الأزل، قبل مجاورة الأجسام، ما شأنُه عند الله، وما شأنُ علوّ
٦ حاله في الأحوال. وهيهات، ما لم يعدْ قلب العبد بصفته في الأزل، أن يصل إلى شيء من الأحوال.

قال له قائل: ما علامةُ عبد اتّصفَ قلبُه بصفة الملائكة؟

٩ قال: إذا كان قلب العبد مالكاً لتصرّف مملكة ظاهره وباطنه، فصورتُه صورةُ الآدميّين وفعلُه وحركاتُه وسكناتُه من فعل الملائكة المقرّبين.

قال له: قائل: كيف يكون مالكاً لمصالح[٢] باطنه وظاهره؟

١٢ قال: أن يكون عقلُه آمراً على شهوته، وعلمُه آمراً على جهله، وشرعُه آمراً على طبعه، وقلبُه آمراً على نفسه، وهدايةُ الله وعنايةُ الله آمراً على قلبه وكُلّيّته، فحينئذ يشارك الملائكةَ في أفعالهم التي جُبِلوا عليها، وفي قربتهم[٣]
١٥ ومنزلتهم من الله، التي أُقيموا عليها. فإذا حصل للعبد هذا، فهو آدميُّ الصورة، مَلَكيُّ الصِّفة، ربّانيُّ الاستغناء[٤].

وبهذا صار الإنسان أعلى شأناً من الملائكة. فإنّ الله خلق الآدميّين
١٨ وركّب فيهم الشهواتِ والمذموماتِ، ثمّ قال لهم: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ٧٩)[٥]. واجتهَدوا وكابَدوا وقتَلوا الأنفسَ بسيوف المجاهدات،

---

(١) فكذا، في الأصل: فكيذا.

(٢) لمصالح، في الأصل: بمصالح.

(٣) كذا، انظر ماير، فوائح، المقدّمة الألمانيّة ٢٨٤.

(٤) قارن بصوم القلب ص ٩/ ١١.

(٥) قارن بصوم القلب ص ٩/ ١١.

حتّى بدَّلوا المذامَّ (١٥ب) بالمحامد، والغفلة باليقظة، والكثيف باللطيف. فصاروا بالصُّوَر آدميّين، وبالأفعال روحانيّين، وبالتَّجريد والتَّفريد والاستغناء ربّانيّين[١]. فقال الله تعالى في حقّهم: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (القرآن الكريم ١٧/ ٧٠). فكانوا أعلى من الملائكة، لأنّ الملائكة خُلِقوا على ما جُبِلوا عليه، فلم يزدادوا، إذ لم يكن لهنّ سيرٌ ولا اجتهاد، ولم ينتقصوا، إذ لَم يكن لهنّ آفاتٍ ولا مذمومات، وإنّما جُبِلوا على الطاعات والعبادات، ولم يُبْلَوْا بالشهوات، ولم يُمْتَحنوا بالآفات، ولهذا قال الله تعالى في شأن عبادتهنّ وعبادة ما سوى الآدميّ: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ (القرآن الكريم ٣٠/ ٢٦)، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ (القرآن الكريم ٢١/ ٢٠).

وقد سمّى رسول الله، ﷺ، القلبَ مفرداً، لانفراده عن صفات قلوب[٢] قطّعهم وعوّقهم[٣] عن هذه المرتبة كثافةُ غلظ الأجسام، فصاروا[٤] في ظلمات الوجود الترابيّ معوّقين[٥].

ولأجل حقيقة الانفراد، خُلِقَ القلبُ، لأجل الربّ، ممّا سواه. فكم من منفرد بظاهره، وهو بين غوغاء رحمة خواطره ووسْواسه وإرادات نفسه؟ ولا يصير القلب منفرداً إلاّ إذا قطع الذكرُ علائقَه. ولا يصير الذكرُ قاطعاً للعلائق، ما لم يكن قلبيّاً. ولا يصير الذكر قلبيّاً، إلاّ بعد دخول نطق اللسان تحت تصرّف الذكر. فإذا صار اللسان بحُكْمِهِ، انتقل بحكمه منه إلى القلب. فإذا انتقل إلى القلب، صار ذكر اللسان من ذكر القلب. فإن لم يذكر القلب،

---

(١) قارن بصوم القلب ص ٩/ ٩ ــ ١٣؛ ١٥ ــ ١٨.

(٢) قلوب، في الأصل: قلوبهم، ثمّ شطب «بهم» وكتب فوقها «ب».

(٣) قطعهم وعوّقهم، كذا، والأصحّ: قطّعتها وعوّقتها.

(٤) فصاروا، كذا، والأصحّ: فصارت.

(٥) معوّقين، كذا، والأصحّ معوّقة.

لم يقدر اللسان على الذكر. وهذا هو علامة استقامة اللسان، حتّى لا ينطق إلاّ بالقلب وعن القلب.

٣ فلمّا حصل استقامة اللسان جاز إلى القلب، فيحصل للقلب استقامة. فإذا استقام القلب مع الربّ، كما استقام اللسان مع القلب، تمّت الاستقامة. ولا تتمّ الاستقامة إلاّ ببذل الروح في خدمة[1] أهل القلوب مع مشايخ (١٦آ)
٦ الطريقة والحقيقة. كما قال بعضهم: إذا أراد الله بالمريد خيراً ألقاه إلى الصوفيّة، وإذا أراد به غير ذلك، ألقاه إلى القرّاء المُداهنين.

فصل < ٩ >: في المجالسة

٩ قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ، وَلاَ خَمْسَةٍ إلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ، وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ (القرآن الكريم ٥٨/ ٧). وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (القرآن
١٢ الكريم ٥٠/ ١٦)[2]. وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَٰكِنْ لاَ تُبْصِرُونَ﴾ (القرآن الكريم ٥٦/ ٨٥)[3]. ولقد وَرَدَ في الخبر عن الله أنّه قال: «أنا جليس من ذكرني». وأيضاً قد ورد: «للجنّة قوم، وللنار قوم، وللمجالسة قوم
١٥ آخرون»[4]. فخصّ الذاكر بمنزلة المجالسة، على أيّ صفةِ ذكرٍ كانَ.

فمجالسة أهل ذكر الشريعة، بجزاء أعمال الجوارح: بالثواب والتقرّب

---

(١) خدمة، في الأصل: خدمت.

(٢) ونحن، في الأصل: نحن.

(٣) ولكن، في الأصل: وليكن.

(٤) انظر أيضاً بهجة الطائفة، فصل ٦، ص ٤٠/ ١٦ ـ ١٧، وقارن بصوم القلب، فصل ١٦، ص ٤٤/ ١٨، حيث جاء: وقد ورد: «للدنيا قوم، وللآخرة قوم، وللمجالسة قوم آخرون»، ثمّ قارن بما ورد هنا في أوّل فصل ٢٤، ص ٩٨/ ٣ ـ ٤، حيث يُدمَجُ القرلان: «خلق الله تعالى للدنيا قوماً، وللآخرة قوماً، وللجنّة قوماً، وللنار قوماً، وللمجالسة قوماً، وللمشاهدة قوماً»، بإضافة «للمشاهدة قوماً».

إليهم بجوده وفضله ورحمته ورأفته، ثمّ بإسباغ نِعَمِه الظاهرة عليهم. وما أبعد أهل الثواب، من أهل الاقتراب.

٣ ومجالسة أهل ذكر الحقيقة، بجزاء أعمال القلوب: بجوده وشهوده، والتقرّب إليهم، ثمّ بإسباغ أَنْعُمِه الباطنة عليهم، وأسباب القُربات، وسائر ما بين العبد والربّ، من المخاطبات والمحادثات والمشاهدات والمنازلات، ٦ بواسطة ما يشرق في القلوب، من أنوار محض تجلّي صفات الذات، بواسطة الأسماء والصفات.

كما ورد في الإسرائيليّات عن الله تعالى أنّه قال: «أُقْبِل عليهم بوجهي. ٩ أترى أنّ من واجهتُهُ بوجهي يعلم أحدٌ أيَّ شيءٍ أريد أن أعطيَهم؟» ثمّ قال: «أوّل ما أعطيهم، أن أقذف نوري في قلوبهم، فيخبرون عنّي كما أخبر عنهم». وقوله «من نوري» يعني[1]: الكشف المقيّد.

١٢ وعلى قدر الكشف يكون التصرّف. وفي الكشف مقيّدٌ ومُطْلَق. كما قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ (القرآن الكريم ٢/ ٢٠)[2]. فكذا أهلَ التصرّف المقيّد والمطلق، إنّما تصرّفهم بحدّ ١٥ كشفهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/ ٢٢). وجعل (١٦ب) حدّ النظر بحدّ المكاشَفة.

فصل < ١٠ >: في نقاوة الأولياء ومعرفة التصرّف المطلق والمقيّد من الكتاب ١٨

فوليٌّ له الولايةُ على نفسه، لا على غيره؛ ووليٌّ له الولاية على نفسه، وعلى أناس قليل؛ ووليٌّ له الولاية على نفسه، وعلى غيره مطلقاً، وعلى ٢١ خلق كثير وجمّ غفير.

---

(١) يعني، في الأصل: هتعى.

(٢) مشوا، في الأصل: مشو.

فالوليُّ المقيّدُ، هو الذي وُلّيَ ولم يعلم أنّه وُلّيَ: حسّنَ الله أخلاقَه وأحوالَه وأقوالَه. فالخَلْقُ منه في دَعَةٍ وراحة، وينتفعون منه بشيء من
٣ أحواله، في كلّ حال، وبشيء من دعواته. لأنّه يُسْتَجابُ له في نفسه، في كلّ حال، ويُسْتَجاب له في غيره، إلاّ في حال دون حال. وهذا من حزب الصالحين ــ على قياس نبيٍّ لم يتبعه أحد قطّ ــ لأنّه لا توليةَ له على أحد،
٦ فلا متابعةَ له من أحد، لأنّه لا علمَ له بحاله، فلا علم له بحال غيره. وهذا وليّ لم يَعْرِفْ، ولم يُعَرَّفْ، ولا يَعْرِفُه إلاّ اللّه، كما قال: «أوليائي تحت قَبائي[1] لا يعلمُهم سواي»، معناه: لا يعرفُ ولايتَهم ومنزلتَهم سوايَ. لأنّ
٩ إمارات الولاية مخفيّة[2] عنه وعَن الخلق. وأمّا إماراتُ أعماله وأحواله معلوم[3] له وللخلق[4].

والوليّ الذي وُلّيَ على نفسه، وعلى أناس قليل، فهو أيضاً مقيّد
١٢ التصرّف، على بعضٍ دون بعض. فالخلق ينتفعون به على قدر ولايته وتصرّفه، ويُستجاب له[5] في أهل تصرّفه، ولا يستجاب له في غير أهل تصرّفه. وهذا في حزب الأبرار، على قياس نبيّ يتبعُه نفرٌ قليل، كما قال،
١٥ عليه السلام: «عُرِضَت عليّ الأُمَمُ، فرأيتُ أمّتي قد ملؤوا السهلَ والجبلَ»[6]. «وعرضوا[7] علي الأنبياء: فمن نبيّ لا يتبعه إلاّ الرجل والرجلين، ومن نبيّ

(١) قبائي: ثوبي.
(٢) مخفية، في الأصل: مخيفة.
(٣) معلوم، كذا، والأصحّ: فمعلومة.
(٤) قارن ببهجة فصل ٢١، ص٩٣/١٩ ــ ٩٤/٥.
(٥) له، في الأصل: منه.
(٦) انظر المعجم المفهرس ٣: ٦، تحت: سهل، حيث يشير إلى مسند أحمد ١ :٤٠٣ و٤٥٤، بنصوص مختلفة.
(٧) وعرضوا: كذا في الأصل.

ممّن معه الثلاثة والأربعة[١]». وكما قال: «ومن نبيّ لا يمرّ معه أحد»[٢].

كما قال: «والوليّ الذي له التصرّف على نفسه، وعلى غيره، هو الذي أحيل إليه خلقٌ كثيرٌ وجمٌّ غفيرٌ، وهو الذي أُطلق تصرُّفه». فقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ (القرآن الكريم ١١/١٧)، يقتضي التصرّف المطلق. (١١٧آ) وهذا وليّ مطلق، وتصَرّفه مُطلق، وكلّ من وصل إليه، ظهر بركةُ تصرّفه عليه. فهو غياثُ الخلق بقوله وفعله وحاله، ودُعائه وسكوته ونظره، وهمّته ونومه ويقظته. وهو الذي لم يبقَ له تصرّفُ طبع، ولا إرادةُ نفس، ولا اختيارُ شهوة، بل جميع تصرّفه بالله، يشاهد الله في جميع الأحوال والتصرّفات والحركات والسكنات، والله المتصرّف في جميع أفعاله، بواسطته، وهو المتصرّف بواسطة الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ (القرآن الكريم ١٨/١٨).

والعَبد على الحقيقة مَن إذا أخبر فمن الله، وإن ذكر فبالله. إذ شأن القلب مع الربّ أن يكون مُخبراً يُخبِرُ عن الله، وتارةً مُخبَراً يُخبَرُ عنه[٣]، وتارة ذاكراً، وتارةً مذكوراً. وليس هذا بمطّرد إلاّ بحقّ الأنبياء والأولياء. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (القرآن الكريم ٢٤/٤٠) يقتضي التصرّف المقيّد. وسنذكر بقيّة ذكر الأولياء والولاية في فصل ذكر خاتم الأولياء، إن شاء الله.

فصل< ١١ >: في أهل التعرُّف والمعرفة

قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ (القرآن الكريم ٧/١٧٢)[٤]. وقَالَ النبيّ، عليه السلام: «الأروَاح جنود مجنّدة، فما تَعارفَ

---

(١) الثلاثة والأربعة، في الأصل: الثلاث والأربع.

(٢) قارن بمسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، ترقيم العالميّة ٣٦١٥ و٣٧٩٠.

(٣) عنه: أي عن الله.

(٤) والآية بتمامها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى =

منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[١]. تعرّف في الأزل إلى الأرواح، قبل خلق الأشباح، فعرفوه. فما تعارف عند سماع الخطاب، ائتلف بحصول الاقتراب.

وقد وعد الله أنّ: «من ذكرني ذكرته[٢]، فمن ذكرني باللسان، ذكرته بالإحسان، ومن ذكرني بالقلب، ذكرته بالقرب». وقُرْبُ الله من العبد عبارة عن رفع الحُجُب، وإلاّ فليس ببعدٍ إلاّ بإسبال الحُجُب العِزِّيّة على وجوده. فالبعد من حيث العبد، لا من حيث الحقّ، لوجود الحُجُب. فبوجود الحُجُب: العبد في بُعْد، وبعدم الحجب، في قُرْب. كما قال بعضهم: احتجب عن الخلق لشدّة ظهوره. (١٧ب) فمن تعرّف إليه، واقترب منه، أزال عن قلبه الحجب، وأظهر له دلائل معرفته، حتّى عرّفه بيقين، أنّ الله هو الحقّ المبين.

وللمعرفة حقيقة، وحقّ حقيقة. المعرفة يُطاقُ معرفتها، وحقّ المعرفة لا يطاق معرفتها. ولهذا قال[٣] أهل المعرفة: ما عرفناك حقّ معرفتك. ولم يقولوا: حقيقة معرفتك. فما تعارف من الأرواح، عرف طريق الإيضاح، لمشاركة صحّة الأشباح. وما تناكر بوجود العلل والأسباب، اختلف عن حقيقة المعرفة بإسبال الحجاب. فأهل الاختلاف، أُشْغِلوا بالخلاف،

= أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾.

(١) انظر المعجم المفهرس ١: ٣٨٥، تحت: جنّد و٢: ٣١٨، تحت: أرواح، وانظر أيضاً الألف المختارة من صحيح البخاري ٥: ٣٩.

(٢) من ذكرني ذكرته: في هذه الجملة إشارة إلى القرآن الكريم ٢/ ١٥٢: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، وإشارة إلى الحديث القدسي «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...».

(٣) قال، في الأصل: قالوا.

فاحتجبوا عن الائتلاف، فكانوا عن المعرفة بمعزل، فلأجلها لم يختصوا بالقرب، فبقَوْا[١] في عالم العادات، عُمْيٌ[٢] عن المشاهدات.

وأهل الائتلاف، ذكَرَهم بإسماع الخطاب، ثمّ جذبهم بالاقتراب، فقدّمهم، وجرّدهم، وصفّاهم، ثمّ صافاهم، ثمّ اصطفاهم، ثمّ ناداهم، ثمّ أسمَعَهم، ثمّ سقاهم، ثمّ أسكرهم، ثمّ أصحاهم، ثمّ غيّبهم، ثمّ أحضرهم، ثمّ أفناهم، ثمّ محاهم، ثمّ أبقاهم، ثمّ أدناهم، ثمّ جالسهم، ثمّ حاظرهم، ثمّ شاهدهم، ثمّ أحياهم، ثمّ حيّاهم، ثمّ عرّفهم، ثمّ تعرّف إليهم، ثمّ أحبّهم، ثمّ تحبّب إليهم. فهم عنده، ولديه، ومعه، وبه، وله، أحبّاء، عُرفاء، ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ١٦٩).

هذا دليل على انعدام إراداتهم وطلباتِهم واختياراتِهم وحاجاتِهم، بل يُلْهَمون الأمرَ بمراد الله فيهم وعليهم؛ فالأمرُ يُحرّكهم وبالأمر يتحرّكون.

فصل < ١٢ >: في التصوّف

سئل بعض المشايخ[٣] عن التصوّف، فقال: هو بذل[٤] الروح، فإن قدرت، وإلاّ فلا تشتغل بترّهات الصوفيّة[٥].

وإنّما يهون ببذل الروح عند وجدان أهل الوحدة والعزلة والخلوة. وما لم يستأنس الروح، بلذّة ذوق الفتوح، عند الكشف والوضوح، لم يقدر على ترك حبّة، ولا يهون عليه بذل حبّة. وإنّما الأنس محا من قلوبهم حبّ ما

---

(١) فبقوا، في الأصل: فبقيوا.

(٢) عمي، في الأصل: أعمى.

(٣) بعض المشايخ: هو رُوَيْم بن أحمد المتوَفّى سنة ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ ـ ٩١٦ م، انظر طبقات السُّلَميّ، تحقيق شَرِيبة، ١٨٣، وتحقيق بيدرسن، ١٧٣، وحلية الأولياء ١٠ : ٢٩٧.

(٤) بذل، في الأصل: بدل.

(٥) انظر أيضاً اللُّمَع ١٦/٢٦٣ ـ ١٨؛ عوارف ٢/٥٧ ـ ٣.

سوى الله، فوقعوا في مقام حقيقة التجريد والتفريد والتعريف، (١٨آ) فصاروا بالحقيقة على الحقيقة من أهل التصرّف والمزيد.

قيل: من الصوفيّ؟

قال: الذي لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء[1]. وعلى هذا، لمّا لم يكن لهم سوى الحقّ معلوماً، وردوا القيامة خفافاً من حيث التّبِعات، ثقالاً من حيث الأحوال والمعاملات. قال الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية (القرآن الكريم ٩/ ٤١).

فالذِّكر أخفّ الأعمال على اللسان، وأثقل الأحوال في الميزان. فوردوا القيامة خفافاً لطافاً، لعدم العلائق[2]، ووجود الحقائق. لأنّ أنوار الذكر والأُنس أحرق من قلوبهم كلَّ ما سواه. ثمّ عاد الأُنس فأحرق قلوبَهم بنار الشوق ليكونوا منكسرين. ثمّ عاد الأُنس فأحرق قلوبهم بنار الذوق ليكونوا محزونين، حتّى يكونوا[3] أهل محبّة الله. قيل: إنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين. ومن أحبّه الله أوقعه في مقام المحبّة، ليحبَّ الله. فإذا أحبّ اللَّهَ، أحبّه اللَّهُ، < و > ارتضاه وليّاً وخليلاً وصفيّاً.

---

(١) قارن بما يلي: «وسئل سمنون رحمه الله عن التصوّف فقال: أن لا تَمْلك شيئاً ولا يملِكُكَ شيءٌ»، اللمع ٢٥؛ «... أن تملك شيئاً (كذا) ولا يملكك شيء»، رسالة القُشَيري ص ١٢٧/٧؛ «... سألت أبا بكر المصريّ عن الفقير فقال: الذي لا يمْلِكُ ولا يُمْلَكُ»، عوارف المعارف، الباب الخامس ص ٥٤.

(٢) العلائق: يقول الجنيد عن التصوّف: «هو أن تكون مع الله بلا علاقة»، رسالة القشيريّ ١٢٧ وعوارف المعارف ٥٣؛ وقال علي بن سهل الإصفهانيّ، المتوفّى سنة ٣٠٧ هـ/ ٩١٩ ـ ٩٢٠ م: «التصوّف < هو > التبرّي عمّن دونه والتخلّي عمّن سواه»، جامي، نفحات الأنس ١/١١٦.

(٣) يكونوا، في الأصل: يلونوا.

ومتى ما لم تُوجِد[1] المعاملةُ في القلب خوفاً، والخوفُ حزناً، والحزنُ انكساراً، والانكسارُ قُرْباً، والقربُ إيضاحاً[2]، فقد بعدت الحقيقة على قاصديه. ومتى ما لم يوجد الذكرُ في القلب صفاءً وانشراحاً ويقظةً ٣ وتحمّلاً للمكاره ــ من غير كراهة، وبَذْلاً وإنْفَاقاً، ولو لم يملك إلاّ روحَهُ ــ فاعلم أن ذلك ذكر غَفْلَة لا يقظة، وذكر عادة لا ذكر عبادة، وذكر بداية لا ذكر هداية، وذكر لسان لا ذكر قلب. ومن لم يصل إلى معرفة حقيقة الذِّكر ٦ فما ذَكَرَ. وإنّما الذكر وصف الموصوف ونعت المذكور. ومن لم يتحقّق في معرفة الوصف، لم يعرف الموصوف ولا المذكور.

وإنّما هذا صفة أهل التصوّف. لأنّهم أموات من حيثُ البشريّةُ ٩ والعاداتُ، أحياءٌ بصفات الربوبيّة (١٨ب) والمشاهدات. فكأنّ من لم يمتْ في الطريقة، لم يُحْيَ في الحقيقة، ومن لم يُحْيَ بتصرُّف الحقيقة، لم يَمُتْ من تصرُّف الطبيعة، ومن لم يمُتْ من صفات الطبع، لم يتمكّن في مقام عين ١٢ الجمع[3]. والصوفيّ من هو في مقام عين الجمع، لأنّ نهاية عين الجمع إشارتان: إشارة إلى الله، وإشارة من الله.

والتصوّف مشتقٌّ من صفاء الحقّ. ومن اتّصف قلبه بصفاء الحقّ لم يرَ ١٥ في الدارَيْن شيئاً سوى الله. وضدّ هذا الجَمْع التفرقة. ومن لم يدرِ[4] ما التفرقة، ومن لم يخرج من التفرقة، لم يصل إلى الجمع. إذ في الأوّل تفرقة ثمّ جمعيّة. ١٨

---

(١) توجد، في الأصل: يوجد.

(٢) إيضاحاً: هنا بمعنى وضوحاً.

(٣) مقام عين الجمع: جاء في صوم القلب فصل١، ص٧/ ٤ ــ ٥: «فإذا حصلت جمعيّة من مقام عين الجمع اجتمعَ لله تعالى بالكليّة، واستقام مع الله بمعاملته وإرادته، فوقف لدى الله متبريّاً عن حوله وقوّته».

(٤) يدر، في الأصل: يدري.

وإنّما التفرقةُ منعُ أن يصل أحد إلى عنديّة الحقّ. فالتفرقة أن يرى العبد تصرّفه له، ويضيفَ ذلك إلى نفسه، فيقول: لي، وبي، ومنّي. والنظر بعين
٣ الجمع، هو أن لا يشهد الشيءَ إلاّ اللَّهُ وبالله ومن الله. قال أبو يزيد < البَسْطاميّ >[١]، رحمة الله عليه: كنتُ في مقامٍ، كنتُ لي، بي، منّي، فصرتُ في مقامٍ، كنتُ له، به، منه.

٦ فحفْظُ العبد نفسَه وأعماله من الشيطان وعمله من الرياء والنفاق جهادٌ أصغر، وحفْظُ العبد نفسَه مع الله في مقام توحيدِ الحقيقة من الشِّرْك الخفيّ، من رؤية فعله، جهادٌ أكبر. ولهذا سُمّيَ الجهاد الأكبر، لأنّ النفس هي العدوّ
٩ الأكبر. والصوفيّ من لا نفسَ له، وإنّما له نَفَس لا نَفْس، وله نَسَب لا سَبَب، وله فِعْل لا قَوْل، وله دِينٌ لا دُنيا، وله إشارة لا عبارة. ولهذا قال، عليه السلام: «رجعنا من الجهاد الأصغر، وهو قتل الكُفّارِ، إلى الجهّادِ
١٢ الأكبر، وهو قتل النَّفْس وتعدّيها ومعاندتها، إلى أن ذلّتْ وخَضَعَتْ وأَسْلَمَتْ واسْتَسْلَمَتْ»[٢] وإذا استسلمت النفْسُ تصرّف القلبُ بمَحْض التصرّف. ومحضُ التّصرُّف < هو > رؤيةُ الفعّال لا الفعْل. فحينئذ يصير التوحيد
١٥ الحقيقيّ للقلب حالاً، فيقع من تصرُّف (١١٩آ) الطَّبْع إلى مقام تصرّف جمعيّة عين الجمع.

---

(١) أبو يزيد: هو طَيْفور بن عيسى البَسْطاميّ، المتوفّى سنة ٢٦١ هـ/ ٨٧٥ م، انظر ما جمعه أبو نُعَيْم أحمد بن عبد الله الأصبهانيّ، المتوفّى سنة ٤٣٠ هـ/ ٩٤١ ــ ٩٤٢ م، من أقوال أبي يزيد في كتابه حلية الأولياء ١٠: ٣٣ ــ ٤٢.

(٢) قارن بالحديث: «المجاهد من جاهَدَ نفْسَه»، المعجم المفهرس ١: ٣٨٩، تحت: جهد.

فصل < ١٣ >: في موت أهل الإرادة وحياتهم

وقد ورد في الخبر، «إنّ أحبّاء الرحمان لا يموتون، ولكن[١] يُنقَلون من دار إلى دار»[٢]. لأنّهم أماتوا من نفوسهم الشهواتِ، فبدّل الله مماتَهم بحياة. وسمّاهم رسول الله، ﷺ: «شُهداء الجهاد[٣] الأكبر». لأنّهم قتلوا النفْسَ والهوى، بسيوف المجاهدة والتَّقْوى، فكانوا أحرى بأن يكونوا بالله، عنْد الله، أحياء طريقة الله، يرزقون بالله بدوام النَّظر إليه، ودوام الوقوف مِعه، ودوام التصرّف به، ودوام العبودة له، ودوام الانقطاع إليه، ودوام الاتّكال عليه. وبذلك حصلوا[٤] من أهل إرادةِ الله. فأماتوا الإراداتِ والاختياراتِ، ولزموا الزّوايا، كأنّهم في قبور أهل المنايا، وحَسَموا موادَّ المحسوسات من العادات، وفطموا النفوس من مألوفاتها ومستحسناتها، وأُشْغلوا بتطهير الباطن وتنوير القلب، بدوام المراقبة في الخلوات. وطلبوا صُحْبَةَ قومٍ أفْنَتِ الحقيقةُ حُظوظَهُم، وأبقَتْ حُقوقَهُم. فدخلوا تحت أمرهم ونَهْيِهم. فتهذّبوا بإراداتهم، عن ترك إرادتهم، وبتصرُّفاتهم، عن ترك تصرُّفهم. واستعانوا بوجود مكارم أخلاقهم، وجميل أفعالهم، وعلوّ هِمَمهم، وطهارة طَويّتهم، وصفاء تبصُّرهم، وتأثير هممهم[٥] وكلامهم. وتابعوا وظائف[٦] معاملاتهم، ليقعوا على منهاج إخلاصهم. وكما انقادوا لهم بالحركات والسَّكَنات، انقادوا لهم بالقلوب والخطرات، ليستوي

---

(١) ولكن، في الأصل: وليكن.

(٢) قارن بالحديث: «وأنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها»، المعجم المهرس ٦: ٥٤٣، تحت: نقل.

(٣) الجهاد، في الأصل: جهاد.

(٤) حصلوا، هنا بمعنى: أصبحوا.

(٥) وطهارة . . . وتأثير هممهم: أُضيفت تصحيحاً في الهامش.

(٦) وظائف، في الأصل: الوظائف.

ويستقيم بذلك مع الله سرُّهم وعلانيتُهم. وعزلوا تدبيرَهم لأنفسهم، وعوّلوا على ما سيرَوْن من المصالح لهم. فلمّا ارتبطوا معهم بالقلوب والنيّات والإرادات والخطرات والمعاني والصفات، ساهموا هم[1] في واردات الأوقات. فبالخدمة لأولياء الله، تأدّبوا وتهذّبوا (١٩ب)، وبالتَّخلّي لأجل الله تعالى، عن الخليقة انقطعوا، وإلى المقصود وصلوا، وبالحقيقة اتّصلوا. فهجم عليهم غَلَباتُ الواردات: فلقوم هجوم وَجْد، ولقوم هجوم عِلْم، ولقوم هجوم خاطر، ولقوم هجوم قَبْضٍ، ولقوم هجوم بَسْطٍ. فهذه إمارات أرباب موت الإرادة بترك الإرادات.

وأمّا صفة حياتهم، فالحياة يَقَظَةُ القلوب، من وجود المعاملات القلبيّة. فيُظْهر لهم من مزيّنات العُلَى أجناساً، لا يدركها إلاّ بنور الاستئناس والمزيد، ولا يفهمها إلاّ قلبُ مَنْ ﴿أَلْقَى السَّمْعَ وَهْوَ شَهِيدٌ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/٣٧). فإذا أَلْقَى تصرُّفَه إلى الله، وأقام قلبه على تدبير الله وتقدير الله، نَفَخَ اللهُ فيه من روح أُنْسه ولُطْفه وعَطْفه روحاً من التذكرة والتبصرة. فصار حيّاً بحياة فضل الله عليه، وعناية الله به، بواسطة التذكرة والتبصرة. فحصل في مقام أهل القلوب والذكرى.

والذكر< ى > ثلاثة أقسام:

فأوّل الذكرى هو ذكر يقظة وتبصرة، وذلك عند انفتاح عين القلب وسَمْعِ القلب، حتّى صار سميعاً بصيراً، بوجود إعطاء عِلْم الذكرى والتبصرة.

الثانية من التبصرة والذكرى < هي > إعطاء إدراك علم الأحوال، فصار[2] من المقرّبين، وصلح للخدمة[3] والقرب، وصار من أهل الحضور.

---

(١) ساهموا هم، في الأصل: ساهموهم.

(٢) فصار، في الأصل: فصارت.

(٣) للخدمة، في الأصل: للخدم.

فلمّا تحقّق أرباب القلوب في القرب، اشتغلوا بإخراج الوسائط من البين. فبذلك صلحوا لأن يتقرّب الحقّ جلّ وعلا إليهم، بقرب جماله وجلاله، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/ ١٦). وإنّما حجاب العبد نفسُه. وقد قال بعضُهم[١]: أين أطلبك يا ربّ؟ فقال: «دع نفسَك وتعالَ». فلأهل القرب حضور، ولأهل المحبّة محاضرة[٢].

< و > لأنّ أهل المحبّة من أهل الذكرى الثالثة، فلهم إدراك علم الحكمة، ونور تَبْصِرَة المشاهدة. فصار الذكرى ذكر< ى > بداية، وذكرى هداية، وذكرى نهاية. ومن تحقّق (١٢٠آ) في القرب نال المحبّة.

ومقام القرب إنّما هو بعد خروج العبد من نفسه ووجوده، إلى طريق الله ومقصوده. فكأنّه إذا كان في الطلب بلا وجود، فهو قريب من الوصول. وعند الخروج من النفس والدخول إلى طريق الله، قد يقع للعبد أغاليطُ كثيرة. فإنّ في طريق الله يصل الأمر إلى مقام يشاهد العبد فيه نعوتاً، يظنّ أنّها من نعوت الحقّ، وإنّما ذلك من نعوت الحقيقة، لا الحقّ، جلّ وعلا. فإذا تحقّق في طريق الله ــ وهو أن يحصل له علم تلك[٣] الغرائب ــ يقع في مقام القرب من الله. فهذا مقامُ قرب الله، وذلك مقامُ قرب الحقيقة.

ومن لم يكن له في هذا الطريقِ دليلٌ ضَلَّ. ألا ترى كيف قال جلّ وعلا لنبيّه، عليه السلام: ﴿واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ (القرآن الكريم ٣١/ ١٥). وقوله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (القرآن الكريم ٦/ ٩٠)، والخطاب له،

---

(١) بعضهم: هو أبو يزيد البسطاميّ، انظر الرسالة القشيريّة، باب الخلوة والعزل، ص ٥١، حيث يقول: ويحكى عن أبي يزيد قال: رأيت ربّي عزّ وجلّ في المنام، فقلتُ: كيف أَجِدُكَ؟ قال: فارِقْ نفسك وتعالَ.

(٢) محاضرة، في الأصل: محاظرة.

(٣) تلك، في الأصل: ذلك.

والمراد به سُلاكُ أُمّته، أي: كيلا يَغلطوا[١] في وقوع الوقائع، فيظُنُّ الخيالات، من جملة المشاهدات. لأنّ المُنِيب هو صاحب الفُتوح والذوق من الأحوال. لأنّ الله، جلّ وعزّ، قال في مدحه: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/٨)، فيجب حفظه. والإنابة والتبصرة من جملة الأحوال.

فالمخاوفُ في مقام قرب الله كثيرة. فمن أناب على الحقيقة، دخل في طريق الله وتوجّه إليه، كما قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ (القرآن الكريم ٣٩/ ٥٤). فلهذا صار المنيبُ إلى الله أعلا من التائب. لأنّ التائبَ بعدُ في الطريق، والمنيبَ له نوعٌ من التحقيق، لأنّه ذو قُرْب. ومتى صحّ القربُ، صحّ الحُبُّ. وإذا صحّ الحبُّ، أقبل الله على العبد، فأقبل العبد عليه بالكلّيّة. فأحبّه، ولم يُؤْثِرْ عليه شيئاً سواه. فيجد لذّة أُنْس المحبّة. فيظهر له من حقيقة قُرْب الله، شهودُ نعوتِ الحقيقة. فهناك غلط كثير، < و > لولا المراد لهلك المُريدُ.

فمن الواجب وجود دليل يفرّق له < بين معرفة > نعوت (٢٠ب) الحقيقة[٢] ونعوت الحقّ. فمن ظهرت له نعوت الحقيقة صار قريباً، ومن ظهرت له نعوت الحقّ صار محبّاً وحبيباً. فهو المُحِبّ الحبيب، يُحِبُّ ويُحَبُّ، كما قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (القرآن الكريم ٥/ ٥٤). فنعوت الحقيقة أحبّوا[٣] الله، فصاروا مُحِبّاً[٤]، ونعوت الحقّ أحبَّهم الله، فصاروا حبيباً[٥].

---

(١) يغلَطوا، في الأصل: يغلطون.

(٢) < بين معرفة > نعوت، في الأصل: نعوت بين معرفة.

(٣) أحبوا: كذا في الأصل.

(٤) صاروا محبّاً: كذا في الأصل.

(٥) فصاروا حَبيباً: كذا في الأصل.

فلمّا أحبّوه عرفوه. إذ كما فتح لهم عن محبّته، فتح لهم عن معرفته[١]، وكما أحبّهم الله كذلك تعرّف إليهم. إذ كما خصّصهم فتعرّفوا إليه[٢]. فلمّا حصل لهم نور المعرفة، ثمّ نور التعرّف ـ إذ نور التعرّف في ٣ مقام أعلى[٣] المعرفة، ونور المعرفة في مقام أوّل المعرفة ـ [فـ]ـلم يؤثروا عليه شيئاً سواه منذ أن عرفوه[٤]؛ بل آثروا كلّ شيء له ولأجله، وتركوا كلّ مألوف من أجل حبّه، حتّى صاروا على الحقيقة عبيداً[٥]. ٦

فالمحبّة من الله لهم صيّرهم أحراراً[٦] ممّا سواه، عبيداً[٧] له.

فأحبّهم ثمّ أقدرهم وجذبهم إلى محبّته، وبالمحبّة صيّرهم أحبّاء في الدنيا والآخرة ليشاهدوا في الدنيا والآخرة. فالموت لا يحجبهم، بل ينقلهم ٩ من دار الحزن والآلام إلى دار الحياة والمشاهدات. وقد ورد: «إنّ أحبّاء الرحمن لا يموتون، ولكن يُنْقَلون من دار إلى دار»[٨].

والفرق بين المحبّة والقرب، أنّ في أوّل الأمر قرب، من غير رفع ١٢ الحجب. كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَ تُبْصِرُونَ﴾ (القرآن الكريم ٥٦/ ٨٥). لأنّ مقام القرب [والمحبّة] حجاب، إذا رُفِعَ الحجاب يُقال: وَصَلَ، لا: قَرُبَ. لأنّ القرب حدٌّ، وفي المحبّة فناء الحدّ. لأنّ في ١٥ المحبّة شهود، وفي القرب مؤانسة. وأين المؤانسة من المشاهدة؟ فصارت

---

(١) لهم عن معرفته، في الأصل: له عن معرفتهم.

(٢) إليه، في الأصل: إليهم.

(٣) أعلى، في الأصل: أعلا.

(٤) منذ أن عرفوه، في الأصل: منذاعرفن.

(٥) عبيداً، في الأصل: عبدا.

(٦) أحراراً، في الأصل: حرا.

(٧) عبيداً، في الأصل: عبدا.

(٨) انظر هنا ص ٦١/ ٢ ـ ٣.

المحبّة نهاية القرب، والقرب بدء المحبّة. فهم في الدارين في الحيرة على صفة واحدة. فظهر فضلهم وتخصيصهم على شهداء < الـ > جهاد ٣ الأصغر. لأنّهم لم يكن لهم في الدنيا إلا الحياة الجسميّة المنسوبة إلى الدنيا؛ بل كانوا عمّا شاهدوا بواسطة الشهادة في الآخرة، (١٢١آ) في الدنيا عن ذلك غافلين.

٦ وأمّا شهداء < الـ > جهاد الأكبر، لمّا قَتَلوا أنفسَهم، وأغاروا بجنود التقوى على جنود الهوى، وجدوا السعادات والكشف والمشاهدات في الدنيا، بأن حصل لقلوبهم مع الله حياة أبديّة. فوقعوا في المؤانسات ٩ والمجالسات والمحادثات والمشاهدات. فشاهدوا ما كان في الآخرة في الدنيا، بواسطة موت نفوسهم، وحياة قلوبهم. فكان[1] شهداءُ < الـ > جهاد الأكبر أحياءً أمواتـ< ـاً > في الدنيا، وأمواتـ< ـاً > أحياء في ١٢ الآخرة.

وشهداء < الـ > جهاد الأصغر كانوا في الدنيا أحياء غير أموات [في الدنيا]، فلمّا رزقوا الشهادةَ، صاروا أمواتـ< ـاً > أحياء، كما قال الله ١٥ تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ١٦٩)[2].

وفي الشريعة حياة، هي ممات لأهل الغفلة، وممات، هو[3] حياة ١٨ لأهل السعادة والشهادة.

وفي الحقيقة ممات في الحياة، وحياة فوق الحياة، كما قال الله تعالى في حقّهم: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِم وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١) فكان، في الأصل فكانوا.
(٢) أمواتاً، في الأصل: أموات.
(٣) هو، في الأصل: هي.

(القرآن الكريم ٦/ ١٢٧). وهؤلاء أرباب النهايَات، في الحياة والمَمات، في مقامات الحقيقة.

ودون هذه المرتبة مرتبة أخرى، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (القرآن الكريم ١٦/ ٢١). يشبّه بهذا الوصف: «أموات»[1] أهلَ القرب، لأنّهم عن المعاصي والمخالفات موتى. وموتهم موت سلب عادات الطبيعة، بورود غلَبات تصرّف الحقيقة على قلوبهم. فموتهم موت زوال تصرّف البشَريّة، بغلبه الحقيقة، من ملاحظة الصفات المغيّبات، عن أهل العادات. فهم أموات بالحقيقة والحالات، غير أحياء بالطبيعة والشَهوات، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (القرآن الكريم ١٦/ ٢١)، يعني أهل المعاصي أنّهم أموات القلوب عن الطاعات والعبادات. لأنّهم لم يموتوا (٢١ب) من حيثُ المذموماتُ، لَمّا كانوا في الحياة، كما ماتَ[2] أربابُ المجاهدات، عن الإرادات والاختيارات، والطلبات والاعتراضات، فضلاً عن المخالفات المنهيّات. كما ورد في حقّ الصّدّيق، رضوان الله عليه، عن رسول الله، ﷺ، أنّه قال: «من أراد أن ينظر إلى ميّت يمشي على الأرض فلينظر إلى أبي بكر». أو كما قال، وأنْشَدوا (من الطويل):

قُبُورُ الْوَرَى تَحْتَ التُّرَابِ وَلِلْهَوَى رِجَالٌ لَهُمْ تَحْتَ الثِّيَابِ قُبُورُ

فكما أنّ أهل المعاصي لم يكونوا < لـ > ـيعرفوا أنّهم أموات عن القلوب والطاعات، كذلك أيضاً أهل القرب لم يكونوا < لـ > ـيعرفوا من شدّة الخوف أنّهم أموات عن المذمومات والمخالفات. وسيعلم الطائقين[3] عند معاينة الحقيقة والشريعة حقيقةَ حالِهما.

---

(١) بهذا الوصف: «أموات»، في الأصل: هذا الوصف بأموات.

(٢) مات، في الأصل: ماتوا.

(٣) الطائقين، كذا، والأصحّ: الطائقون.

فصل < ١٤ >: في فائدة موت الإرادة

لموت الإرادةِ[١] تخصيصٌ يعتري طالبَ الحقّ، إذا سلك طريقَ الحقّ بمقتضاه. ومعنى موت الإرادة، في لسان التصوّف، أن يزول ويفنى من العبد رؤيةُ الأسباب والوسائط. فكما لا يمكنِ لميّت الشريعة[٢] أن يرجع إلى ما عنه مات من مالٍ وولدٍ، عقلاً وشرعاً، فكذلك لا يمكن لميّت الطريقة والحقيقة، أن يرجع إلى رؤية الوسائط، بعدما مات عنهنّ ذوقاً وكشفاً. ومعناه عندهم: أن لا يرى إلاّ المُسَبِّب. كما قال بعضهم: ما نظرت إلى شيء إلاّ ورأيت الله فيه. وهذا إخبار عن بدء[٣] الخروج من الوجود. ثمّ لمّا توسّط قال: معه، ثمّ لمّا خرج بالكليّة قال: ما نظرت إلى شيء إلاّ ورأيتُ اللَّهَ قبلَه. وذلك لموته عمّا سوى الله، ولرفع الحجُب من القلب. فإذا نظر إلى المقدور لم يستقرّ عنده، لموته عنه. فيجوز إلى القدرة فلا يقتنع بها حتّى يصل إلى القادر، فيستقرّ. كما قال الخليل، عليه السلام: ﴿هٰذَا رَبِّي < . . . > هٰذَا رَبِّي < . . . > هٰذَا رَبِّي﴾ (القرآن الكريم ٦/٧٦، ٧٧، ٧٨)[٤]، حتّى جازَ من الكلّ إلى من له الكلّ، فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي﴾ الآيةَ (القرآن الكريم ٦/٧٩) (٢٢آ). وهذا إنّما يكون كذلك لوجود البِرّ في «فَلَمَّا»[٥].

< و > السالك هو في السير، في قطع رؤية المصنوعات إلى

---

(١) موت الإرادة: صوم الإرادة، قارن بصوم القلب ص ١١/١٩.

(٢) لميّت الشريعة. . .: قارن الفقرة التالية بفوائح، فقرة ١٦٥، ص ٨٢/٢ وما يليها.

(٣) بدء، في الأصل: بدو.

(٤) وهذه الآيات الكريمة تقول: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الآفِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّي هٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

(٥) «فَلَمَّا»، في الأصل: كلّما.

الصانع: فهو السائر إلى الله. فإذا وصل إلى الله وانتهى[١] فلا يقع نظره قبل كلّ شيء إلاّ على الله، لأنّه كالقادم من الله. وصفته ونعته أن ينظر من الصانع إلى الصُّنع، وإن كان الحجاب مرخيّ دونه. لأنّ الحجاب على الموجودات ٣ من أجل شدّة ظهور الحقّ. ولولا ذلك لم يستقرّ موجود ولا وجود، لمشاهدة شهود الله.

ففي أوّل البدء أسبل الحجاب على أهل الكشف ليرَوُا القدرةَ ٦ والمقدورَ، ويعرفوا القادر[٢] يقيناً وتصديقاً. ثمّ رفع عنهم — عند بلوغ قوّتهم، وحصول نهايتهم — الحجابَ. فنظروا إلى القدرة فغابوا عن رؤية المقدور. ثمّ عند حصول المعرفة رفع عنهم الحجاب، فشاهدوا القادر. ٩

فقوم في مشاهدة المقدور: عالمين متّقين بالقادر والقدرة. وقوم في مشاهدة القادر غائبين عن كلَيْهما[٣] لبدنهم[٤] في المشاهدة. وقوم ثالث في مشاهدة القادر وقدرته ومقدوره، لكمالهم في المشاهدة. فالذي لا حجاب ١٢ دونه وعليه فهو في تصرّف المشاهدة: يرى القادرَ والقدرةَ بعين قلبه، ولا يتصوّر في عين قلبه المقدورَ، بل شاهد المقدورَ بعين رأسه. لأنّ المقدور من أجناس الدنيا، وعين الرأس لمرتبات الدنيا خُلِقَت. والقادر ١٥ والقدرة لا يُرى بعين الدنيا وإنّما بعين الآخرة، لأنّ ذلك من ميزات الآخرة. وذو القلب يرى بقلبه، وشهود قلبه كأنّه ليس في الدنيا، بل كأنّه في الآخرة بقلبه وفي الدنيا بقالبه. فإذا شاهد بقلبه القادر والقدرةَ، غلب الشهودُ على ١٨ رؤية المقدور، فغاب. فصار كالطفل يرى، ولا يعلم ما هو. وهذا لغلبة الشهود على القلب. أمّا إذا تمّ قوّة القلب فله الغلبة على الشهود، فحينئذٍ

---

(١) وانتهى، في الأصل: وانتها.

(٢) قارن ببهجة، فصل ٣٢، ص١٢٧/١ — ٦.

(٣) كليهما، في الأصل: كلاهما.

(٤) لبدنهم، في الأصل: لبدوهم.

بثبات القلب في الشهود، وعلى الشهود يثبت نظرُ عين الرأس. ثمّ لاتّصال القلب بالقوّة، اتّصف البصر بصفة البصيرة.

٣ (٢٢ ب) فإذا توحّدَ وتفرّدَ نَظَرُ قلبِ العبد عن رؤية وهائط[1] باطنه وظاهره في بدء موت الإرادة، تَمَّ موتُ إرادته لله من الإرادات، واختيارُه لله من الاختيارات، وجميع الملتَمسات من المحمودات، فضلاً عن ٦ المذمومات. وإذا حصل كذلك، فإنّه يجب أن يتوحّد نظر قلبه من الحالات والمقامات، والمشاهدات والمؤانسات، حتّى لا يسكن إلاّ إلى الله. فيصير باطن العبد عند الكمال بمثابة الآخرة، وظاهره بمثابة الدنيا، فهو بقلبه في ٩ الآخرة، ويقالبه في الدنيا.

وإنّما تتبيّنُ أحوالُ الآخرة للعبد بقدر صفاء قلبه، وتفرّغ باطنه من الأضداد الدنياويّة، فما من شيء نظر إليه ذو القلب بعين رأسه، إلاّ رأى الله ١٢ فيه، أو معه، أو قبله[2]. لأنّ القلب إنّما خُلِقَ[3] لأجل الله ومعرفته. فإذا تفرّغ من هموم ما سوى الله، لم يبقَ له إلاّ النظر إلى الله. ألا ترى أن الميّت إذا مات أبصر ما غاب عنه في الدنيا من رؤية سعادته وشقاوته وعلِم ذلك ١٥ يقيناً؟ كذلك ميّت الطريقة إذا ماتت شهواتُه ومذموماتُه، أبصرَ وعاينَ بقلبه، أحوالَه في الآخرة. كما قال الله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/ ٢٢).

١٨ فقوم يُكْشَف لهم بعد الموت. وقوم يُكْشَف لهم قبل الموت، لأنّهم ماتوا من حيث الصفات. فصار[4] موتهم حياةً. ومن فتح اللهُ عينَ قلبه في الدنيا فلا غطاء له. ولو جاز أن لا يرتفع غطاء القلب لأحدٍ في الحياة الدنيا،

---

(١) الوهائط، لعلّها بمعنى الوِهاط، جمع وَهْطة، أي: المواضع المطمئنّة.

(٢) إلاّ . . . قبله: أضيفت في الهامش.

(٣) خلق، في الأصل: خلقت.

(٤) فصار، في الأصل: فصارت.

لبطُلَتِ النبوّةُ والولايةُ، ولما صارَ: لا وليّ ولا نبيّ.

وعلامة كشف الغطاء، اتّصاف القلب بالعطاء، وهو اليقظة. واليقظة متفاوتة: فيقظةُ قوم معرفةُ آفات النفس، ويقظةُ قوم معرفةُ إمارات القلب، ويقظةُ قوم الإخبار عن خطرات القلوب، ويقظةُ قوم مصادفةُ مُراد الحقّ، ويقظةُ قومِ الإخبارُ عن الله. وبقدر شرف اليقظة شُرِّفت المنزلة. كما قال، عليه السلام: «ما فُضّل (٢٣ آ) عليكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صدقة، ولكن[1] بشيء وَقَر في صدره»، وهي يقظة الصوفيّة. وصفة يقظتهم، أنّهم بالقوالب على السجّادات، وبالقلوب في المشاهدات.

والعبارة عمّا يحلّ في القلوب: أنّ تصرّفَ الحواس والقياس لا تدركُه و < لا > تحصّلُه، بل من شدّة صفائه وقوّة أنواره، للقلب حَيْرةٌ وَوَلَهٌ. ومن بدايته الوقائعُ، ومن نهايته الوقت. فأهل[2] البداية أولو[3] واقعة وأهل النهاية أولو[4] وقت.

ومن حصول حقيقة المعاينة[5]، الاطّلاعُ على ما فيه من الودائع. فلأجله لا يحتاج ذكرُ الوقت إلى مُعَبِّر. ومن التَّحَقُّق فيه أن يستوي الإخبارُ[6] عن التكوين، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (القرآن الكريم ٥٣/ ١١)[7]، أي ما كذب الفؤاد ما رأت[8] العين.

---

(١) ولكن، في الأصل: وليكن.

(٢) فأهل، في الأصل: بأهل.

(٣) أولو، في الأصل: ذو.

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) حقيقة المعاينة، في الأصل: حقيقه لمعاينه.

(٦) الإخبار، في الأصل: الاحبار.

(٧) ما رأى، في الأصل: مارى.

(٨) ما رأت، في الأصل: مارى.

فكذلك صاحبُ الواقعة الواضحة، بوصف الكشف الصريح، لأنّها نوعان: نوع من وراء أمثلة، ونوع كشف صريح. وذلك لمعنيين: أحدهما صحّة رؤية المرئيّ[1] عن غير مشابهة < ولا > مخالطة الخيال، كما يكون في النوم. والآخر اتّصاف البصيرة بكون ما سيرى[2] في الآخرة بصفة ما قيل: لو كُشِفَ الغطاء[3] ما ازددت يقيناً. ومعنى [هذا] صفة[4] الواقعة الصافية الواضحة أنّها تخبر عن أحوال القلوب، وأحوال الآخرة، بحياةِ قلبِه وموتِ نفسِه. وها هنا فرق عند العرفاء البصراء بين الواقعة الواضحة والمشاهدة.

فصل < ١٥ >: في المشاهدة

صفةُ المشاهدة عبارةٌ عن تكامل القلب في خلقته وحسّه وإدراكه ونطقه ومعرفته ونظره وتصرّفه وسماعه، والقدرة له على إعطاء جواب الخطاب، لوجود نطقه وكلامه. فلمّا أنْ تكامل أوصاف القلب بتمام صفاته ومقاماته وحالاته، فحينئذ كملتْ الإنسانيّة، وتكامل الإنسان في ذاته وصِفاته وأخلاقه وسائر مالَهُ من التخصيصاتِ والكمال، حتّى صحّ فيه قول الله عزّ وجلّ (٢٣ ب): ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (القرآن الكريم ٢٣/ ١٤).

وبدايةُ المشاهدة إنّما هي دخولُ روحِ رَوْحِ الأنس بالله في القلب. كقوله، < ﷺ >: «إنّ روح القدس نفث في رُوعي». فإذا انتهى الأنسُ حصلتْ مشاهدة، كما إذا انتهتِ المحبّة سُمّيتْ عشقاً. فيكون إخبار المشاهدة عن الله وصفاته، وإخبار الواقعة الكاملة عن رؤية ما سوى الحق من رؤية أجزاء الملكوت، ورؤية العرش، وما شابهه. كما قال

---

(١) المرئي، في الأصل: المرى.

(٢) سيرى، في الأصل: سير.

(٣) الغطاء، في الأصل: الغطا.

(٤) صفة، في الأصل: الصفة.

حارثة[١]: وكأنّي بعرش ربّي بارزًا[٢]، وكأنّي أخبر عمّا سوى الله، ولم نخبر عن الله. كما أخبر عمر، رضوان الله عليه، عن صفة المشاهدة عن الله، ولم يخبر عمّا سوى الله، فقال: «رأى قلبي ربّي».

٣

ونهايةُ الواقعة بدايةُ المكاشفة، ونهايةُ المكاشفة بداية المشاهدة.

وعلمُ المشاهدة مقامُ معرفة الحقوق، وحالةُ المشاهدة مقامُ معرفة الحقيقة، وتصرّفُ المشاهدة مقامُ نعوت معرفة الحقّيّة.

٦

وصاحب المشاهدة الكاملة في مقام التجلّي: فتارةً يَشْهَدُ وتارةً يُشْهَدُ.

والفرق بين إدراك الواقعة وإدراك المشاهدة، كالفرق بين إدراك الصبيّ والرجل الكامل. والقلبُ في مقام الواقعة متصرّفٌ بحياةِ[٣] تصرّف نورِ قلب الدليل، ثمّ بنور صفاء الواقعة، ثمّ بحصول علم الواقعة. و < القلب > في مقام المشاهدة متصرّف بحياة[٤] تصرّف ما صار[٥] لقلبه صفةً ونعتاً.

٩

وتصرّف المشاهدة مقام من التمكين، وتصرّف الواقعة مقام من التلوين.

١٢

وفي نظر القلب تفاوت: فإنَّ نظرَ القلب في المشاهدة إلى الله، وفي

---

(١) حارثة: هو الصحابيّ حارثة بن مالك الأنصاري.

(٢) انظر هذا الحديث في قوت القلوب للمكّي ٢: ٢/١٧١ وما يلي ذلك، وكتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ص ١٠٦، حديث رقم ٣١٤، حيث قال هناك: «وكأنّي أنظر إلى عرش ربّي عزّ وجلّ وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتزاورون وكأنّي أسمع عواء أهل النار»، ثمّ قارن أيضاً بما جاء في صوم القلب، فصل ٨، ص ١٤/٢٦ ـ ١/٢٧.

(٣) بحياة، في الأصل: بحيات.

(٤) بحياة، في الأصل: بحيات.

(٥) صار، في الأصل: صارت.

الواقعة إلى ما سوى الله. والأخبار في المشاهدة: إخبارٌ عن الله، وعن علم الله. كما قيل: حدّثني قلبي عن ربّي. والإخبار في الواقعة: إخبار عن واسطة علم الطريق، وأحوال التحقيق. فتكون أخبارُ المشاهدة حديثاً محضاً[١]، وأخبارُ الواقعة عرضاً أو كشفاً أو قذفاً[٢]. والحديث عن الله، والقذف عن وسائط. فكلّ ذي[٣] مشاهدة ذو حديث (٢٤ آ) وكلّ ذي[٤] واقعة ذو فتوح. والفتوحُ حالٌ فحال، والحديث حالٌ لا يتغيّر.

فصل < ١٦ >: في انتهاء الواقعة إلى المشاهدة

الواقعةُ عبارةٌ عن النظر إلى أجناس الآخرة. أمّا في البداية < فـ > ـبأمثلة. لأنّ حياة[٥] القلب في مقام الواقعة عبارة عن النظر إلى الآخرة، كما أنّ حياة[٦] الجسم عبارةٌ عن النظر إلى الدنيا. فما لم يكن في عين القلب نقصاً، فهي تخبر عن واقعة صافية. فإن كان ناقص النظر، فهي تخبر عن خيال.

وبدايةُ الواقعة أن يخبر القلب وهو[٧] بصفة المتعلّم، بنوع تعلّمٍ لنوعٍ من الإدراك حاصل له. ونهاية الواقعة أن يخبر وهو بصفة العالم، عن كمالِ إدراك عن أحوال الآخرة. لأنّ القلب في أوان انفتاح البصيرة بمثابة الطفل ينظرُ ولا يقدرُ على الإخبار. لأنّ ما لم يكن تحقّقاً لم يكن نُظِرَ له، وما لم يكن لساناً لم يكن بياناً. فإذا تحقّق عرف، وإذا عرف وصف. فتمام النظر

---

(١) حديثاً محضاً، في الأصل: حديث محض.

(٢) عرضاً أو كشفاً أو قذفاً، في الأصل: عرض أو كشف أو قذف.

(٣) ذي، في الأصل: ذو.

(٤) ذي، في الأصل: ذو.

(٥) حياة، في الأصل: حيوة.

(٦) حياة، في الأصل: حيوة.

(٧) القلب وهو، في الأصل: والقلب هو.

بالتحقُّق، وتمام التحقّق، بالنطق. فهناك يخبرُ القلبُ عن الغرائب والعجائب المُغَيَّبة عن إدراك الأبصار. لأنّ ما دام القلب صاحب واقعة فهو من سكّان الآخرة. لأنّ القلب روحانيّ، والآخرة مسكن الأرواح والقلوب. وقلوب أهل المشاهدة ﴿عِندَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ (القرآن الكريم ٥٤/ ٥٥)، وقلوب أهل الواقعة في الآخرة بين حضرة الأنس والقدس، مُسْتأنسون ومسبّحون ومقدّسون، وحجابهم العلم. فإذا رفع الله الحجاب من قلوبهم رُفِعوا من مقام الأنس إلى مقام المجالسة. فقلوبُ أهل الأنس من سكّان القرب، مكشوفٌ[1] لهم ما في الآخرة. وقلوبُ أرباب المجالسة والمشاهدة من سكّان العنديّة.

وعند الخروج من نهايات الواقعة إلى بدء شواهد[2] المشاهدة يخبر[3] أربابُ القلوب عن أسرار الغيوب وأحوال الآخرة، وهم في الحياة الدنيا، وتلك هي البشارة. كما قال الله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (القرآن الكريم ١٠/ ٦٤).

وبعد النبوّات لم يبقَ إلاّ المُبَشِّرات: فلأرباب الأعمال الصالحة بواسطة النوم، ولأرباب الأحوال الخالصة بواسطة (٢٤ ب) الواقعة. والواقعة إنّما هي بواسطة اليقظة. لأنّ الواقعة إذا انتهت صارت وقتاً. وذو الوقت إذا انتهى وقع في الحديث. ولأرباب الحديث بواسطة القذف والإلقاء[4] والنفْث بواسطة مَلك، لما قال، عليه السلام: «إنّ روح القدس نفث في[5] روعي». ولأرباب المشاهدة والمعرفة بواسطة الخواطر.

---

(١) مكشوف، في الأصل: مكشوفة.

(٢) بدء شواهد، في الأصل: بدو سواهد.

(٣) يخبر، في الأصل: يخبرون.

(٤) والإلقاء، في الأصل: والقاء.

(٥) في، في الأصل: من، ولكن انظر نفس الحديث هنا، بهجة، فصل ١٥، =

والحديث نوعان: كلام بواسطة وحي، وكلام من وراء حجاب. فالمُكَلَّمُ نبيٌّ مُرْسَل، والمُحَدَّثُ وليٌّ صِدِّيق.

٣ ## فصل < ١٧ >: في القلب

قال: القلب سرّ، وفيه نورٌ أوجدَه اللَّهُ لاستدراك المعارف، كما أنّ العقل علمٍ أوجده الله لاستدراك العلوم، كسائر الحواسّ. قال الله تعالى:
٦ ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ للإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (القرآن الكريم ٣٩/ ٢٢). وورد في الخبر: «إذا دخل النورُ القلبَ، انشرحَ وانفسح».

قيل: فهل لذلك من علامة؟

٩ قال: التجافي من دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت.

قيل: فما ذكرُ القلب؟

١٢ قال: دَرْكُ ما يتجدّد من الربّ، جلّ وعزّ، في القلب. وذلك نوعان: نوع غاية ونهاية، ونوع بداية وهداية. فالغاية والنهاية: الحديث، وذلك في قراءة[1] ابن عباس، في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ﴾
١٥ (القرآن الكريم ٢٢/ ٥٢) ولا مُحَدَّثٍ[2]. وقد ورد في الخبر: «قد كان في الأمم محدَّثون ومكلَّمون، فإن يكُ في أمّتي فعُمَرُ منهم»[3].

فالحديثُ قوله: «حدّثني قلبي عن ربّي». ويتعلّق بالحديث

= ص ٧٢/ ١٧.

(١) قراءة، في الأصل: قرلة.

(٢) قارن ببهجة، فصل ٣٣، ص ١٣٠/ ١٣ ــ ١٣١/ ١، وانظر المعجم المفهرس ١: ٤٣٤، تحت: حدث.

(٣) قارن ببهجة ص ١٣١/ ٨ ــ ١٢.

الرؤية[١]. فلمن له الحديث له الرؤية. والرؤية قوله: «رأى قلبي ربّي». فالرؤية في مقام المشاهدة. والحديث في مقام المحدَّثيّة. وإذا قويت المحدّثيّة قوي الإلهام، وإذا قوي الإلهام وُجِدَت[٢] الحكمة. ٣

والحكمةُ عبارةٌ عن الفيض الربّانيّ الذي لا يكاد يحصّله طول العمر في التعلّم. بل صفةُ ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً﴾ (القرآن الكريم ١٨/ ٦٥). وسُمّيت حكمة لأنّها بُنِيَت في القلب من غير تفكُّر ٦ وتكلُّف. ومعنى الحكمة: كلامٌ يقبلُه[٣] القلبُ، وينشرحُ له الصدر، وتنزعج (٢٥ آ) منه[٤] النفس، ويُذَلّ ويُخْبَس له[٥] العدوّ.

ونوعٌ آخرُ من الحكمة ما داخلَها[٦] تصرّف المَلَك. قال، عليه السلام: ٩ «إنّ روح القدس نفثَ من روعي». ونوع أعلى[٧]، لم يداخلْها تصرُّفُ غيرِ الله. ويسمّى ذلك حكمةُ الجملة. وإنّما ذلك من الربّ، في القلب. كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ ١٢ (القرآن الكريم ٤/ ١١٣).

فإذا كان[٨] القلب قلباً رقيقاً صافياً صُلباً، فيترقّى ويتربّى[٩] إلى أن يصير لحمل الأحوال والمعارف والعلوم والأخلاق محلاً. وكلّما رقّ القلب ١٥

---

(١) الرؤية، في الأصل: للروية.
(٢) وجدت، في الأصل: وجد.
(٣) يقبله، في الأصل: يقبلها.
(٤) منه، في الأصل: منها.
(٥) له، في الأصل: لها.
(٦) داخلها، في الأصل: داخلتها.
(٧) أعلى، في الأصل: أعلا.
(٨) كان، في الأصل: كان نت.
(٩) فيترقّى ويتربّى، في الأصل: فيترقا ويتربّا.

صَفَتِ[١] المُحَدِّثيّة. وإذا صفت المحدّثيّة خُلِعَ على القلب من الأسرار الغيبيّة، فحصل القلب، على بيّنة من الربّ.

وصاحب البيّنة يجبّ أن يعرف الفرق بين الأحوال المشكلة والأشياء الغريبة التي لا يكادُ يدركها[٢] ظاهرُ علمٍ ولا مجرّدُ عقل، بل [بذلك] يتعلّق معرفتها بمدارك الحكماء، < و > بنور الحكمة.

ونوع آخر من بداية الحكمة أن يفرّق بين نوم العوامّ وواقعة الخصوص.

فالواقعة هي اليقظة الواضحة: وذلك للخصوص، بواسطة حجاب شفّاف، بالعرض على القلب. ولخصوص الخصوص: رؤيةُ المرئيّ إيضاحاً وكشفاً. كما قال، عليه السلام: «اللهمّ أرِنا الأشياء كما هي»، معناه: أرنا الأشياء بحدّ عنايتك وقوّتك، لا بحدّ قوّتنا وكَشْفنا.

وفي ذلك أيضاً فرق بين معرفة المَلَك من الشيطان، وبين إلْقاء المَلك الذي قال الله تعالى عنه: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (القرآن الكريم ٤٠/ ١٥)، وبين وسوسة الشيطان الذي قال عنه عزّ وجلّ: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (القرآن الكريم ١١٤/ ٥)، وإلهام الربّ جلّ وعلا، الذي قال عنه عزّ وجلّ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (القرآن الكريم ٩١/ ٨). وإنّما يعلم الفرق بينهما بقلب، فَهِمَ من بيّنة الربّ، ومن تحقّق في معرفة البيّنة، فلقلبه من ذلك أوفر[٣] نصيب، ومع الله شأن عجيب.

ومن العجب أنّ الخبر عن الله بلا واسطة. وما الحاجة إلى الواسطة

---

(١) صفت، في الأصل: صفة.

(٢) يدركها، في الأصل: يدركه.

(٣) أوفر، في الأصل: أفر.

وهو سبحانه أظهرُ من كلّ ظاهر؟ لم يكن له سبحانه شيء يستره من الأشياء، فلشدّة[1] ظهوره شَدَّ[2] ظهور حجابه.

وإنّما الحُجُب للقلوب والأبصار، وذلك (٢٥ ب) لضعف الإدراك، فحيث رُفع الحجاب من القلوب، وتعرّف المطلوبُ إلى القلوب، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ (القرآن الكريم ٧/ ١٧٢) بذاته وكلامه جلّ وعزّ، عَرَفَتْه[3] القلوب واستأنست[4] به. فصار القلب بمثابة عرش تجلّيه ولَوْحِه المَحْفوظ. وعلى قدر حدّ الصلابة في القلب والصفاء والرّقة يكون إدراك الوحي.

فصل < ١٨: في وحي القلب، ونسبة الولاية إلى النبوّة >

فقلبٌ وحْيُهُ من حيث الخواطر، وذلك الإلْهام. وقلبٌ وحْيُه من حيث السرّ إلى السرّ، كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (القرآن الكريم ٥٣/ ١٠). وقوله، عليه السلام: «لي مع الله وقت لا يطّلع عليه[5] مَلَكٌ مقرَّب ولا نبيّ مرسل». إذ لا أعلى[6] من مقامه عند الله لأحد، فيطّلع بذلك على مقامه [أحد]. وإنما مقامُه، عليه السلام، غَلَبَ المقامات، فصار له الاطّلاعُ على الكلّ، والإشراف له على الكلّ.

ولصحّة نسبة الولاية إلى النبوّة، صارتْ[7] الولاية إرثاً من حاله ووقته

---

(١) فلشدّة، في الأصل: لشدة.

(٢) شدّ، في الأصل: فشد؛ ولعلّ الأصحّ: شَدَّدَ.

(٣) عرفته، في الأصل: عرّفه.

(٤) واستأنست، في الأصل: واستأنس.

(٥) في صوم القلب، فصل ١٣، ص ٣٤/ ١ ــ ٢: يسعني فيه، ولكن في بهجة، فصل ٥، ص ٣٢/ ٦ ــ ٧ بنفس النصّ.

(٦) أعلى، في الأصل: أعلا.

(٧) صارت، في الأصل: فصارت.

ومقامه مع الله جلّ وعلا، لا واسطة فيها. وكما صحّت نسبةُ علماء الأمّة من ميراث مُلك الشريعة، كذلك صحّت نسبة[1] الأولياء من الأمّة من ميراث
٣ مُلك الحقيقة. لأنّه، عليه السلام، كما ذكرهم وخصّهم ببلوغ المنزلة وحصول النهاية من مُلك الدنيا بقوله: «أُريَتْ[2] لي الأرض فأُريتُ[3] مشارِقَها ومغاربَها، وسيبلغ مُلكُ أمّتي ما أُري[4] لي منها». كذلك ذكرهم
٦ أيضاً، وخصّهم عند المولى ببلوغ المنزلة وحصول النهاية [عند المولى][5]، بقوله: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»[6]، وهم أولياء الأمّة.

وبذلك حصل للأولياء من المكاشفة والمشاهدة والمجالسة
٩ والمحاضرة والمكالمة والمحادثة والخلوة والجِلْوة والأُنْس مع الله حظاً أو نصيباً. وهذا ميراثُ صِدْق متابعتهم له، عليه السلام، وصحّة[7] نسبتهم من طريقَ المعاملة معه من مُلك مِعْراجه، عليه السلام. لأنّه كما أُرِي مشارقَ
١٢ الأرض ومغاربَها، أُرِيَ أيضاً مُلك الملكوت ومَا فيه[8].

---

(١) علماء... نسبة: أضيفت في الهامش.

(٢) أُرِيَتْ، في الأصل: رويت.

(٣) أريت، في الأصل: أوريت.

(٤) أري، في الأصل: روي.

(٥) قارن بصحيح مسلم، عبد الباقي، الفتن وأشراط الساعة، رقم ٢٨٨٩، وبسنن الترمذي، فتن ٢١٠٢، وبسنن ابن ماجة، ، عبد الباقي، الفتن ٣٩٥٢، وبمسند أحمد (ترقيم العالمية)، مسند الشاميين ١٦٤٩٢، ومسند الأنصار ٢١٣٦١ و٢١٤١٥، ويبدو أن البدليسي أخطأ قراءة كلمة «زُويَتْ» و«زُوِي» الواردة في النص هناك والله أعلم.

(٦) انظر المعجم المفهرس ٢: ٥٣١، تحت: سلم، وانظر بهجة ص ٣١/١٨ــ١٩ وص ٣٢/١٥.

(٧) وصحة، في الأصل: وصحت.

(٨) فيه، في الأصل: فيها.

فالذين اتّبعوه في الأمر والنّهي، ورثوه في مُلْك الدنيا، والذين اتّبعوه في الأحوال والأفعال (٢٦ آ) والأخلاق والمعاملات، ورثوه في مُلْك الملكوت. فاستوى واستقام مُلْكُ أمّته ظاهراً وباطناً حين وَرِثَه[١] العلماء في العلم، والعُرفاء في المعرفة، والأولياء في الولاية والتصرّف، والحكماء في الحكمة: في وجدان الأسرار والاعتبار والاستبصار، لأنّه، عليه السلام، أوّل من فتح طريق الإرادة على السالكين والطالبين، وهو أوّل من فُتِحَ عليه خزائن كنوز الأحوال والمعارف، وله أُعْطِيَ وأُسقِيَ أصفَى[٢] وأعلى[٣] القرب.

ثمّ من كمال شفقته على أمّته، برزت من أشعّة شمس معرفته على قلوب العارفين أنوارٌ. فلمّا كان له، عليه السلام، التقدمة على الكلّ سُمّيَ مقامُه باسم خاتم النبوّة. والسرّ في ذلك أن يدوم مُلْك أمّته إلى يوم القيامة ليظهر بذلك فضله على سائر الأنبياء.

فالنبوّة سُمّيتْ نبوّةً، لأنّها بتخصيص العزّة، ليس لغير الله فيها تصرّف. ولأنّ الولاية بعد النبوّة، ومن نتيجة النبوّة، سُمِّيَتْ ولايةً، لدخول تصرّف غير الله مع الله. وفي التولية [فـ] يأتي الإذن من الله إلى النبيّ في تولية الوليّ. فلا يولّى وليٌّ إلاّ بواسطة النبيّ، عليه السلام، حيّاً كان أو ميتاً. وهذه قاعدة نبوّة نبيّنا، عليه السلام، حيث لم تُنْسَخ لشريعته شريعة، ولا لأحكامه أحكام، ولا لسنّته سُنّة. فبقي أمرُه ونهيُه وسُنّتُه وشريعتُه إلى يوم القيامة.

فله، عليه السلام، الاطّلاع على وحي قلوب الأولياء، وليس لأحد من

---

(١) ورثه، في الأصل: ورثوه.

(٢) أصفى، في الأصل: أصفا.

(٣) أعلى، في الأصل: أعلا.

الأوّلين والآخرين الاطّلاع على وحيه. كما قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (القرآن الكريم ٥٣/ ١٠). فما أوحي إليه، عليه السلام، فعلى ثلاثة أقسام: قسم للعامّ والخاصّ، وقسم للخاصّ على انفراد[1]. إذ كما ورد الخبر عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: «حفظت من رسول الله ﷺ، وعائين؛ أما أحدهما فبثثه، وأمّا الآخر فلو بثثته لقُطعَ منّي هذا»، وأشار إلى حلقه. وفي رواية: «لقُطعَ منّي هذا البُلْعوم»[2]. وقسمٌ له، عليه السلام، (٢٦ ب) على الخصوص والانفراد. ولولا بيانُه، عليه السلام، للخاصّ والعامّ لما فهموا من قسمهم، لا الخاصّ ولا العامّ، شيئاً. كما قال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (القرآن الكريم ١٦/ ٤٤). فعنده، عليه السلام، بيان الله تعالى، وهو المُبَيِّنُ من الله تعالى لخلقه كافّةً، بإذن الله ووحي الله. ومنْ بعده في كلّ قرن مبيّنٌ بتأييد الله. قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ (القرآن الكريم ١١/ ١٧)[3]، إلى آية منْهُ.

فصل < ١٩: في أنواع الوحي >

قد كان له، عليه السلام، من الله وحيان: وحي بواسطة، ووحي بلا واسطة. فالذي هو بلا واسطة ينقسم علمه قسمان: قسم عِلْمُه له، عليه السلام، على التخصيص، لا يشاركه فيه أحد، ولا يُطيقُ سماعَه أحدٌ، وهو علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿وعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ (القرآن الكريم ٤/ ١١٣)، فهو على الأنبياء، لا يصلح لذلك العلم إلاّ الأنبياء، عليهم السلام. وقسم من ذلك هو نصيب علم الأولياء والصّدّيقين، إنّما ورثوه بطريق المعاملة، كما قال،

---

(١) انفراد، في الأصل: الانفراد.

(٢) انظر المعجم المفهرس ٥: ٢٢٤، تحت: قطع.

(٣) أفمن، في الأصل: فمن.

عليه السلام: «من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم»[1]. فكما علّمه الله، عليه السلام، فوق علمه علماً، علّم أيضاً للصدّيقين والصادقين من أولياء أمّته علماً، لحصول صفاء قلوبهم وصفاء قلبه. فبذلك اطّلعوا على العلوم الغامضة، وحلّوا المشكلات، وبيّنوا عن الخفيّات من الآفات، وذلك بمنزلة الوحي. كما قال بعضهم: كلام الأنبياء بمنزلة الوحي. ٣

فالولاية مخصوصة بوحي الإلهام فحسب. وللنبوّة وحي الإعلام، ووحي الإلهام، ووحي المكالمة والكلام. ٦

فينقسم[2] وحيُ إلهام[3] الأولياء إلى[4] أربعة أقسام: وحي الخاطر، ووحي القذف، ووحي النفث، ووحي من الله بواسطة قلبه[5]. ٩

وعالِمُ أمرِ الله إنّما يتعلّق بالأمر الخاصّ، إذ لله أمر إلى العموم وأمر إلى الخصوص، وهم الذين يعلمون ورود الخواطر، كما قال الله تعالى: ﴿بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بصيرةٌ﴾ (القرآن الكريم ٧٥/ ١٤)[6]، وقوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ (٢٧ آ) مَنْ يَخْشَى﴾ (القرآن الكريم ٧٥/ ١٠). ١٢

والتذكرة والتبصرة من نور العلم بالله، وهو عِلمُ مَنْ له عِلْمٌ من اسم الله تعالى العظيم. كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ أنَا آتِيكَ بِهِ قبْلَ أنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (القرآن الكريم ٢٧/ ٤٠). ١٥

---

(١) قارن بسنن الدارمي، المقدمة ٣٣٤ حيث ورد: «... عن سُفيان بن عُيَينة قال: أَجهلُ الناس من ترك ما يعلم، وأعلم الناس من عمل بما يعلم، وأفضل الناس أخشعهم لله».

(٢) ينقسم، في الأصل: فتقسم، ويمكن أن تُقرأ الأخيرة: فَتَقَسَّمَ.

(٣) إلهام، في الأصل: الالهام.

(٤) إلى، في الأصل: على.

(٥) فيما بعد يسمّي عمّار هذا الوحي بوحي السرّ، انظر بهجة ص ٨٨/ ٢.

(٦) في الأصل بدون كلمة «نفسه».

وأمّا عالِمُ عِلْم أمْرِ الله فهو العالم بالآفات في المعاملات، ومداخل الرُّعُونات من النفس الأمّارة بالسُّوء. ولولا ذلك لما وصلوا إلى المشاهدات. وهو العالم الربّانيّ الذي قام في تصفية العبوديّة، لأجل الربوبيّة، في محاسبة النفس، وعدّ الأنفاس. فيؤدّي الأمر، على مقتضى حقّ الأمر، لأنّه عرف سرّ الأمر. فهو يؤدّي الأمر على مقتضى ما ذاق من سرّ الأمر.

فصل < ٢٠ >: في السلوك

ومعنى السلوك هو السير إلى الله بلا سكون، حتّى يكون آخر القدم إلى الله، كما قال: ﴿وَإِنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (القرآن الكريم ٥٣/ ٤٢).

والسير عبارة عن ترقّي القلوب في الوقائع، ثمّ في المقامات، ثمّ في الأحوال. ولا يصحّ الترقّي إلاّ بعد التطهير. فإذا تطهّر وتنوّر فيكون قد أثّر فيه حقيقة الانقطاع إلى الله. وحقيقة الانقطاع عبارة عن الخلوة.

والخلوة نوعان: خلوة بالقلب عن ترك المخالطة، وخلوة بالقلب عن عدم الإرادات، ونفي الخطرات، حتّى لا يبقى في القلب إلاّ الواردات. ولا تصحّ خلوة القلب، إلاّ بخلوة القالب. وحقيقة الخلوة مأخوذ < ة > من قوله عزّ وجلّ: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (القرآن الكريم ٥١/ ٥٠). وحقيقة الفرار إلى الله، هو حصول الاعتماد على الله، والاستغراق في الله، والوقوف مع الله. فإذا تفرّغ الباطن إلاّ من الله، فلو تكلّف ذو الباطن المتفرّغ أن يعبّر في خاطره، عَبَّرَ اللَّهُ لما خَطَرَ.

وعلامةُ السلوك وجدانُ أُنسِ الوحدة. ومِنْ أُنسِ الوحدة حصولُ التطهير، وبعد ذلك وجدان أنس الذِّكر. ومن أنس الذكر حصول التنوير، ثم بعد ذلك أنس الحقّ، فمن أنس الحقّ حصول استغراق الوقت في الله،

فيصير (٢٧ ب) ذلك حالاً[١] لأنـ < ـه > [ما] دائماً مع الله. وقد بلغنا عن بعض المشايخ أنّه قال لبعض المريدين: إذا عبر عليك أسبوع[٢] ولم يخطر ببالك غير الله، فتعال إليّ، وإلاّ فلا.

وأوّل التفرّغ ساعةً، ثمّ يوماً، ثمّ أسبوعاً، ثمّ شهراً، ثمّ سنةً، ثمّ مدّة الحياة إلى الممات. وهذا معنى قولهم: السلوك هو السير إلى الله، حتّى يكون آخر القدم إلى الله. ومعنى قول الله عزّ وجلّ عندهم: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (القرآن الكريم ٥٣/٤٢)، وهو عبارة عن نهاية السلوك وانقطاع السير إلى الله.

وإنّما هناك استغراق، ثمّ في الاستغراق غيبة، ثمّ في الغيبة حيرة، ثمّ في الحيرة سُكْر، ثمّ في السكر فناء، ثمّ في الفناء مَحْو.

فيكون أوّل السلوك السير إلى الله، ونهاية السلوك السير في الله. وهذا طريق الله، وذلك طريق الدخول إلى الله. وفي هذا الطريق يصير السالك طالباً لله على الحقيقة لأنّه مهما علم أنّه وجد، تحقّق أنّه فقد. ومهما ظنّ أنّه إليه اقترب، فهناك تغيَّرَ عليه الطلب، ومنه الهرب. فخرج السالك من طلب الطريق، ووقع في طلب التحقيق. فكلّما تيقّن أنّه واصل، تبيّن له أنّه بلا حاصل. وهذا قُرْبُه كلّه بُعْد، واتّصاله انفصال، ووَجْدُه فَقْد. فإذا انتهى الطلب لله، بالله، إلى الله، فيصير البُعْدُ قُرْباً، والانفصالُ اتّصالاً، والفَقْدُ وَجْداً[٣].

فإذا لم يبقَ في نظره إلاّ الله: فلا قُرْبَ ولا بُعدَ، ولا اتّصالَ ولا انفصالَ، ولا وَجْدَ ولا فَقْدَ. فأوّل السلوك السير إلى الله، ووسطُه السير بالله، وآخرُه الانقطاع لدى الله. فهو كالأسير الذي لا يقدر على السير.

---

(١) حالاً: أضيفت فوق السطر.

(٢) أسبوع، في الأصل: أسبوعاً.

(٣) قرباً، اتّصالاً، وجداً، في الأصل: قرب، اتصال، وجد.

وحقيقته أن لا يبقى إلاّ الله. كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ﴾ (القرآن الكريم ٢٨/٨٨). لم يزل يسير بالذّهاب إلى الله حتّى فني سَيْرُه،
٣ فذهب في الله. لأنّ حال أهل النهاية في السلوك مع الله، وأحوالهم من الله وفي الله. فلم يترك ذلك للعدوّ [و] عليهم تسلّط فيلقي إلى بواطنهم غيرَ ما أقامهم اللّهُ عليه.
٦ وإذا كان المتصرّفُ فيهم وعليهم < هو > الله تعالى، فغيرُ خاطر الحقِّ جلّ وعلا (٢٨ آ) لا يخطرُ لهم. ولهذا قال بعض الكبار: «لي ثلاثين سنةً، ما أقامني الله في مقام فكرهتُ ذلك المقام». وذلك يقتضي شيئين[١]:
٩ وجود القلب، وشهود تصرّف الربّ، ولا يصحّ هذا النظر إلاّ لمن كليّتُهُ قلبٌ، لا نفسَ له.

وصفة القلب عند حصول المعرفة والذوق، كما قيل: «وكلّما يفعل
١٢ المحبوبُ محبوبٌ»، لأنّه[٢] محلّ تصرّف الله، كما أنّ النفس محلّ تصرّف غير الله.

فعلامة القلب إيقاع الخاطر الربّانيّ الحقّيّ. وعلامة الخاطر الرّبّانيّ
١٥ الحقّي حصول القلب. فذو القلب يعرف خاطرَ الربّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/٣٧).

وهيهات، من لم يذُقْ طعمَ لذّة البدايات، أنّى يصل إلى النهايات،
١٨ ومن لم يتطهّر من المذمومات، أنّى يصل إلى المحمودات. ومن لم يقطع المُهلِكات، متى يصل إلى المُنْجيات، ليحصل له النجاة[٣]؟ ومَن لم يترقَّ[٤] في المحمودات، أنّى يصل إلى الغايات من الحالات والمقامات؟ لأنّ سرّ

---

(١) شيئين، في الأصل: شيئان.
(٢) لأنّه، في الأصل: لأنها.
(٣) النجاة، في الأصل: النجات.
(٤) يترق، في الأصل: يترقّى.

السلوك من أعزّ أسرار الله، وهو سرّ قوله عزّ وجلّ: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ (القرآن الكريم ١٦/ ١٢٥)[(١)]، واسْق[(٢)] القومَ من شُرْبِك. وهذا سبيلُ كُلِّ مُنْتَهٍ[(٣)] وصل إلى النهاية، وأُعْطِي[(٤)] الدلالة، وأُقِيمَ في مقام النيابة، ليدعُو[(٥)] الخلق إلى الحقّ، بعد أن تخلّق بأخلاق الله، وتهذّب بأخلاق رسول الله ﷺ، < و > تخلّى[(٦)] عن العلائق والعوائق، وتطهّر بنفي الخواطر، عن صُحبة كلّ خاطر، فيظفر من الله في وقته بالسرّ الحاضر. فاستقام ولزم المقام، حتّى وقع الحافز على الحافز، فورثَ الولايةَ من الله، والنيابةَ من رسول الله ﷺ.

فإنّ السالك إذا وُلّيَ فعلامتُه أنّ من نظرَ إليه، أو نظرَ هو إليه، حصلَ له الرغبةُ إلى الله، والرهبةُ من الله. إذ ذلك علامة النيابة.

وقد قالوا: مَنْ أولياءُ الله؟

قال: الذين إذا رأوا، ذكروا الله. وكلُّ وليٍّ سالكٌ، وليس كلُّ سالك وليّاً[(٧)]. فإذا وُلِّيَ، وصحّتْ له الولاية: فرؤيتُه شبكةُ الحقّ، وقلبه خزانةُ أمانة الخلق. وعلامتُهُ النيابة مع الولاية، لأنّ[(٨)] الله تعالى أحال الخلق إليه، وفرض (٢٨ ب) لهم الدلالة إليه عليه. فهو السرّ.

فالقذف من الخاطر والسرّ من الله والنَّفْث من المَلَك. فأهل

---

(١) ادع، ورد في الأصل: ادعوا.

(٢) واسق، في الأصل: واسقي.

(٣) منته، في الأصل: منتهى.

(٤) وأعطي، في الأصل: وأعطى.

(٥) ليدعو، في الأصل: ليدعوا.

(٦) تخلّى، في الأصل: تخلا.

(٧) ولياً، في الأصل: ولي.

(٨) لأنّ، في الأصل: أنّ.

وحي[1] الخاطر أولياء حقّ الله[2]، وأهل وحي القذف أولياء الحقّ، وأهل وحي النفث أولياء الذوق والإرادة، وأهل وحي السرّ أولياء الله[3].

٣ فأمّا أولياء الله فهم العلماء بالله. وأمّا أولياء حقّ الله فهم العلماء بعلم الله[4]، وأمّا أولياء الحقّ فهم العلماء بالأمر.

وكما اجتمع أنواع الوحي له، عليه السلام، كذلك يجتمع لِوَلِيّ الله،
٦ الذي هو على طريقه وسنّته في الولاية، وهو خاتم الولاية.

ولكلٍّ مع الله تعالى، كلامٌ من الله تعالى إليهم، على منازلهم حجابٌ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
٩ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ (القرآن الكريم ٤٢/ ٥١).

فاستقامة الشريعة، والحقيقة، والإسلام، والإيمان، بإرسال الرُّسُل. واستقامة النبوّة بإرسال الملائكة، واستقامة الولاية بإرسال الخواطر الربّانيّة،
١٢ والأسرار الغيبيّة، والكلمات الإلهاميّة، إلى قلوب الأولياء. ولهذا قال، عليه السلام: «اسْتَفْتِ قلبَك»[5]، معناه عوّل على أخبار قلبك، فإنّه محلُّ واردِ ربّك.

---

(١) وحي، في الأصل: الوحي.

(٢) قارن بختم الأولياء ص ١١٧ هامش ١٣، حيث يفرّق بين أولياء حقّ الله وأولياء الله فقط.

(٣) قارن أيضاً ببهجة ص ٨٣/ ٨ــ ٩.

(٤) راجع بهجة ص ٨٤/ ١؛ انظر: عالم بالله، وعالم بعلم الله، وعالم بأمر الله، وعالم بعلم أمر الله، بهجة ص ٩٢/ ١٥، وانظر تفصيل بعض ذلك على ص ٩٢/ ٢٠ ــ ٩٣/ ٤.

(٥) قارن بالمعجم المفهرس ٥ : ٦٨ حيث جاء: «يا وابصة استفت نفسك/ استَفْتِ قلبك»، وانظر صوم القلب، فصل ١٧، ص٥١/ ٢، حيث ورد: «يا وابصة، استفتِ قلب، وإن أفتاك المُفتون».

فإنّ القلب إذا صفَتْ[١] نجواه، حصل[٢] من الربّ < على > مُناه. وهذه[٣] صفة قلوب أهل الولاية. وعلى قدر صفاء قلوبهم، مع الله كلامُهم. ولولا كلام المُرْسلين مع الله، لما صحّ لأحد من الأولياء مع الله: لا كلام ولا إلهام. وبحصول ذلك صار في الوجود علماء بالله.

فصل < ٢١ >: في العلماء بالله وصفتهم

قد ورد في الخبر، عن سيّد البشر، صلوات الله عليه، أنّه قال: «إنّ من العلم كهيئة المكنون، لا يعلمه إلاّ العلماء بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلاّ أهل الغِرَّة بالله»[٤].

وطريق حصول هذا العلم المكنون المخزون هو: كلّ من ألقى زمامَ اختياره إلى الله، وتجرّد عن علمه، وتصرُّف عقله، وتركَ حُكْمَه بيد علم الله، حين علم أنّ الله عالم بالضمائر والسرائر، واجتهَد وجاهد وكابد هواه[٥] وعاند نفسَه وشيطانَه لأجل مولاه، كيلا يظهر منه مخالفة: لا بظاهره ولا بباطنه، ولا بقول (٢٩ آ) ولا بفعلٍ ولا بخاطرٍ، وصار محافظاً لحركاته وسكناته عن أن يظهر منه سوء أدب. فلمّا تخلّى عن حمل المَذامّ وتكامَلَ فيه حَمْلُ المحامد، اقتنع بوجود علم الله[٦] فيه. فعزل تدبيره واختياره وإرادته، فلم تبقَ له مطالبة من الله، عزّ وجلّ، سواه. بل طلبُه منه له، وحاجتُه إليه هو. فهو يقول دائماً: اللّهمّ[٧] اجعلْ طلبي منك لك، وحاجتي إليك أنت.

---

(١) صفت، في الأصل: صفا.

(٢) حصل، في الأصل: حصلت.

(٣) هذه، في الأصل: هذا.

(٤) راجع أيضاً مشكاة الأنوار، تحقيق أبي العلا عفيفي، ص ٤٠.

(٥) هواه، في الأصل: لهواه.

(٦) الله: أضيفت في الهامش.

(٧) اللّهمّ، في الأصل: الهمّ.

فلمّا صار القول حالاً، ولبِس من[١] حقيقة الدعاء، خلعة العطاء، وحصل[٢] الباطن في قبضة علم الله، بحيث لا يسنح في الباطن: لا تصرّف علم، ولا تصرّف عقل، ولا تصرّف طبع وبشريّة، < وذلك > لحصول تصرّف مراقبة رقيب شاهد الله[٣] على الباطن، يحفظه من تصرّف ما سوى الله، ليُنفِّذَ فيه تصرّف علمه.

فهو المسلوب من علمه وعقله وبشريّته، لأنّ قلبه في قبضة القُدْرة، كما قال، < ﷺ > : «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبُه[٤] كيف يشاء»[٥]، فعَلِمَ أنّ الله تعالى مدبّره ومتصرّفه. فيطلب من نفسه في كلّ فعل: ما مراد الله عزّ وجلّ في ذلك.

فهو البصير في جريان الأحكام على العباد في الابتلاءات[٦]. إذ واحد يبتليه، وبلاؤه عقوبة على عقوبة. وآخر يبتليه، وبلاؤه كرامة[٧] على كرامة. وواحد يُنعمُ عليه، ونعمتُه عليه نَقْمَة على نقمة. وواحد يُقَتِّرُ عليه، وتقتيره عليه محبّة على محبّة، وقُرْبَةٌ على قُربة. ولهذا قال، عليه السلام، في صفة بلاء المحبّة: «إذا أحبّ الله عبداً ابتلاه، فإذا أحبّه الحبّ البالغ اقتناه»[٨].

قيل: وما اقتناؤه؟[٩].

---

(١) من، في الأصل: ممن.

(٢) حصل: هنا بمعنى أصبح.

(٣) رقيب شاهد الله: الحقّ، بمعناه الخاص عند الترمذي، راجع الترمذي، ختم ص ١١٧ هامش ١٣.

(٤) يقلّبه، في الأصل: يقلبها.

(٥) انظر المعجم المفهرس ١ : ٦٤، تحت: إصبع.

(٦) الابتلاءات، في الأصل: الابتلايات.

(٧) كرامة، في الأصل: لرامة.

(٨) وفي المعجم المفهرس ١ : ٢١٩ : «وإنّ الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم»، تحت: ابتلى.

(٩) قيل... اقتناؤه: أُضيفت في الهامش.

قال: لم يترك له مالاً ولا ولداً. فهذا بلاء محبّة وكرامة.

وأمّا بلاء العقوبة، فقوله، عليه السلام: «إنّ الله يُبْغِضُ العِفْرِيَة النِّفْرِيَة»[١]، الذي[٢] لم يُرْزَأ[٣] في جسمه ولا ماله. وهذه صفة نعمة النقمة والعقوبة.

فالعلماء بالله، إذا نظروا إلى أفعال الله، عرفوا السعادة والشقاوة، ولهذا قيل: للعلماء سرّ، لو ظهر لبطُلـ < ت > الأحكام. ولمّا قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلاّ وقد كُتِبَ مقعدُه من الجنّة والنار»[٤]. (٢٩ ب)، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتّكلُ على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «اعملوا ولا تتكلوا[٥] وسدّدوا، فكلّ ميَسَّرٌ لما خُلِقَ له»، أي: هذا الأمر مُبْهم مكتوم، لأنّ علم الله مَكْنُون مخزون. وإنّما أهل السعادة يعملون بأعمال أهل السعادة، وأهل الشقاوة يعملون بأعمال أهل الشقاوة.

فأهل العلم بالله قد دلّهم الخير على معرفة علامة السعادة والشقاوة، و< ذلك > بقوله: «فكلٌّ ميسّر لما خلق له»، لتأثير أثر السعادة والشقاوة في القلب، وعلى القلب. كما قال < تعالى >: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ (القرآن الكريم ٢/ ٢٧٣)، فصار في الأمّة عُرفاء السيماء، كما قال < تعالى >: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (القرآن الكريم ١٥/ ٧٥)،

---

(١) العفرية النفرية: أي المنكر الخبيث، انظر هذا الحديث في لسان العرب، تحت: عفر.

(٢) الذي، في الأصل: التي.

(٣) يرزأ، في الأصل: يرز.

(٤) انظر المعجم المفهرس ٥: ٤٤٢، تحت: قعد.

(٥) انظر صحيح البخاري، د. البغا، تفسير القرآن ٤٦٦٦، صحيح مسلم، عبد الباقي، القدر ٢٦٤٧، سنن ابن ماجة، عبد الباقي، مقدمة ٧٨، ولا تتكلوا، في الأصل: وقارنوا.

وذلك من نور العلم بالله، فهم في الخَلْقِ أخفياء، لصفة علمهم مكنون مخزون عن غيرهم. فهم لا يُظهرونه مع علمهم، لأنّ الله عزّ وجلّ هو عالم ٣ به، ثمّ لم يظهرْه لكافّة خلقه.

ومن جملة ذلك علم معرفة السعادة والشقاوة. ألا ترى إلى رسول الله، ﷺ، كيف نظر إلى الذي كان يقاتل في سبيل الله، حتّى تعجّب ٦ بعض القوم من قتاله، وقالوا: يا رسول الله، ما ترى إلى فلان؟ فقال: «هو من أهل النار». فأصابه سهم. فاستعجل وأخذ سيفه فقتل نفسَه[1]. فصار ـ كما قال رسول الله، ﷺ ـ من أهل النار.

٩ وهذا صفة علم الله المخزون المكنون، وصاحبه هو العالم بالله وأيّامه ومُراده و[بـ]ـعلمه. فتراه مع الله في جميع الأحوال، وعلم الله قد كشف له عن الأسرار المغيَّبة، والأقدار المستورة، والأخبار المكتومة: سعادة بصفة ١٢ شقاوة، وشقاوة بصفة سعادة، بلاء بصفة عطاء، وعطاء بصفة بلاء.

فعالم يعلم صور الأشياء، وعالم يعلم صفات الأشياء، وعالم يعلم المُرادَ من الأشياء، والأسرارَ في الأشياء. وقد قالوا: للعلماء في الحقيقة ١٥ أربعة: عالم بالله، وعالم بعلم الله، وعالِم بأمر الله، وعالم بعلم أمر الله. قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إلاّ الْعَالِمُونَ﴾ (القرآن الكريم ٢٩/٤٣)، أي: العَالمون بالله وبأسمائه (١٣٠آ) وصفاته، لا من حيثُ الإيمانُ، بل من حيث ١٨ العرفان، وذلك بعد الجواز من حقائق الإيمان، إلى حقائق العَيان، كما قال، عليه السلام: «أللّهُمّ أرِنا الأشياء كما هي»، أي في عالم الله. لأن العلم في عالم الجبروت، بخلاف ما هو في عالم الشهادة. فنظر العلماء بالله ٢١ في الملكوت، وعلمُهم من الحَيّ الذي لا يموت. فالعالم بالله إنّما علمه علم

---

(١) انظر المعجم المفهرس ٤: ١٤٢، تحت: عجل.

الصفات والأسماء والمُراد. ولأجل ذلك لا يحتمله الخلق ممّن وَقَفوا على علم الأحكام.

وعالِم علم الله إنّما هو ممّن يتجدّد له في ساعات الليل والنهار، من سوانح نفحات الأحوال والأسرار. وذلك من صحّة الكشف: يقتضي أن يكون ما يأتيهم من الله، لا من غير الله. كما ورد: «إنّ لربّكم في أيّام دهركم لنفحات، ألا فتعرّضوا لها»، لأنّه يأخذ العلمَ دليلَ المتحيّرين الذين عجزوا مع طلبهم وإرادتهم عن الوصول إلى مقصودهم. ولو كان من الرسل والأولياء بُدٌّ، ما بعثَ اللّهُ بشراً رسولاً، فهو على منهاج سنّة رسول الله، ﷺ، طبيبُ عِلَلِ الأديان، يداوي أمراضَ القلوب بدفع الغفلة منه، وجذبِ اليقظة إليه.

فالشيخُ في قومه كالنبيّ في أمّته. وعلامة المشيخة والولاية والنيابة أن يزرع في قلب الطالب بذرَ مقصوده ومطلوبه، بنظره وقوله وهمّته. لأنّه أُعْطِيَ مع الحال، التصرّفَ في الحال. فيقدر على إعطاء من شاء، ومنع من شاء، وذلك لوجود التصرّف. وقد قال، عليه السلام، في وصفهم: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[(١)]. في هذا دلالة على أنّ من يحصل بسببه السعادة لهم، قد يحصل بسببه الشقاوة.

وقال، عليه السلام، في حقّ تصرّف نفسه: «ما صبّ الله في صدري شيئاً إلّا وصببته في صدر أبي بكر»، وهذا دليل على أنّ من أُعطيَ التصرّفَ فقد أُعْطِيَ (٣٠ب) النيابةَ والولايةَ. ومن لم يُعْطَ[(٢)] التصرّفَ فيما أُعْطِيَ[(٣)] فلا يكون نائباً، ويجوز أن يكون وليّاً ويجوز أن لا يكون[(٤)] وليّاً، بل يكون

(١) انظر المعجم المفهرس ٣: ١٦٣، تحت: شقي.

(٢) يعط، في الأصل: يعطى.

(٣) أعطي، في الأصل: اعطى.

(٤) نائباً... لا يكون: أُضيفت مقلوبةً على رأس الصفحة فوق السطر، متبوعةً بكلمة: =

صاحب حال ووقت ونَفَس. وهو بمثابة صاحب الوديعة: إن تصرّفَ فيها، خان في الأمانة والوديعة. أو يكون كمن أُعطيَ بضاعةً ليأكلَ منها ربحَه، ولا يتصرّف في أصل المال. وكذا[١] هذا يعيش بِبَرَكَة حاله ولا يقدر أن يُعْطِيَ منها لغيره، بل تكون ثمرة حاله مقصورةً عليه، قوتاً له، بحدّ كفايته، لا لغيره. وهذا ذو حال مجرّد لا تصرّفَ له[٢].

فصل < ٢٢ >: في الصّحْبة والصاحب والمصحوب

ومن شرائط الصحبة أن يكونوا أشكالاً أقوياء، حتّى في العقيدة والمذهب والطلب والإرادة. كما قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْمِنُوا إلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ٧٣).

وعلى الصاحب، في صُحْبة المصحوب، أن لا يخونهُ: لا بأقواله، ولا بأفعاله، ولا بخواطره وما يسنح له. كما قال الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (القرآن الكريم ٤/ ٦٥). وهذا أدَبٌ أدّبَ اللَّهُ به أصحابَ رسول الله، ﷺ، ليصحَّ لهمُ الإيمان به، والمتابعة له. ولكنّ ذلك سُنَّةٌ لمن أراد صحبةَ وليٍّ من أولياء الله، حتّى ينالوا من صحبته، بشرط الأدب، ما نال[٣] أصحاب رسول الله، ﷺ، < من > صحّة الإيمان به، بشرط ما أمرهم الله في صحبته، بأن لا يكتموا منه، عليه السلام، لا ما ظهر ولا ما بَطَنَ. وأن يكونوا تحت أمره ونهيه طوعاً، لا كرهاً: بالأموال والأنفس، والانقياد لحكمه، بوجود الاستبشار، لا بالكراهة والاضطرار، ﴿ويسلّموا﴾ له ﴿تسليماً﴾، يعني باللسانِ والقلب. فإنّ تسليمَ اللسان دونَ

= صح.

(١) وكذا، في الأصل: كذى.

(٢) قارن ببهجة فصل ١٠، ص ١٩/٥٣ ــ ١٥/٥٤.

(٣) نال، في الأصل: ما نالوا.

القلبِ < هو > نفاقٌ لا وِفاق. ألا ترى كيف علّق كمالَ الإيمان بهذه الشرائط، وأقسم ألّا يصحّ إيمانُهم عَلى الحقيقة والكمال إلّا باتّباعهم لهذه الشرائط؟ فكذلك الصحبة لا تتمّ إلّا بشرائطها.

ومن شرائط الصاحب[١] بذل النفْس والمال والإرادة والاختيار، ودفع الرفاهة والراحة إلى صاحبه، والتعب (١٣١آ) والمشقّة إلى نفسه، وأن يؤثِرَ مصلحة أخيه على مصلحته، ويُحَمّل مضرَّةَ أخيه على مضرّته، ويترك مسرّتَه لمضَرّته، ومضرّتَه لمسرّته، ويسوؤه ما يسوؤه[٢]، ويسرّه ما يسرّه، ويكونا[٣] في الاتّفاق كنفس واحدة. فقد لا تصحّ الأخوّة بين اثنين حتّى يقول الواحد للآخر: يا أنا.

ومن شرائط المصحوب أن يكون ذا فراسة وتصرّف، ويكون له علمٌ[٤] يحفظ من الجهل، ويقظةٌ تحفظ من الغفلة، وهمّةٌ تحفظ من الفتنة، وتصرّفٌ يجلو[٥] القلبَ من الكدورةِ والظلمةِ والقسوة، وحالٌ يوصِلُ إلى الله.

والحال الموصل إلى الله هو العلمُ المستعمل، والتصرّفُ النافذ، والهمّةُ المؤثّرة، والنظرُ الفارس، والدعاء المسموع. كما قال، عليه السلام: «لو أقسَمَ على الله لأبرّه»[٦].

فإذا صحّت[٧] شرائط المصحوب، بما ذكرناه من صحّة الحال، فمن

---

(١) الصاحب، في الأصل: الصاحبه.

(٢) ويسوؤه ما يسوؤه، في الأصل: ويسوءه ما يسوءه.

(٣) ويكونا، في الأصل: ويكونوا.

(٤) علم، في الأصل: علماً.

(٥) يجلو، في الأصل: يجلوا.

(٦) انظر المعجم المفهرس ١: ١٥٩، تحت: أبر.

(٧) صحت، في الأصل: صح.

شرائطُ الصاحب صدقُ المتابعة فيما يؤمَرُ به ويُنْهَى[١] عنه، حتّى ينال من مصحوبه، ما نالَ الصِّدّيق من رسول الله، ﷺ، وذلك لحصول الارتباط.

فإنّ بعدمِ الارتباط لم تصحّ الصحبة، وإذا لم تصحّ الصحبة، لم توجد فائدة الصحبة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ (القرآن الكريم ٥٩/ ١٤).

فالذي تحصل به ثمرة الصحبة صدقُ المتابعة بالقلب، وإذا حصلت المتابعة حصل الارتباط، وظهرت الجنسيّة، وصحّت النسبة، ووُجِدَت الفائدة. فأخذ الصاحب من المصحوب ميراثَ أحواله وأفعاله وأخلاقه. ولهذا قيلَ: صَحِّحِ النَّسَبَ وخُذِ الميراثَ.

فصل < ٢٣: في معرفة الأدب مع الحقّ >

والمراد من صحبة الخلق حصول معرفة الأدب مع الحقّ. ومن عرف طريق التأدّب مع الحقّ، جلّ وعلا، رزقَه اللّهُ التخلُّقَ بأخلاقه، ومنحه من علمه وحكمته، وقرّبه إلى قربه ومحبّته. لأنّ من صدق في العبوديّة، بأداء ما وجب عليه للربوبيّة[٢]، بمقتضى الحقيقة والشريعة، من طريق الأدب، خصّهُ الله عزّ وجلّ بأوصافٍ من أوصافه، وبأخلاقٍ (٣١ب) من أخلاقه، وبعلوم من علمه، وبتصرّفات من تصرّفاته، وأقامه[٣] من مقام قلب[٤] الأعيان، وحقّقه في مَحْضِ المشاهدة والعِيان، كما ورد: «إنّ لله عباداً لو احتجبوا عنه طرفة عين لماتوا».

وهيهات، من لم يقع في صحبة أهل المجالسة مع الله، متى يعرف الأدب مع الله؟ ومن لا يعرف الأدب مع الله، أنّى يصل إلى الله؟ ولولا

---

(١) ينهى، في الأصل: ينها.

(٢) للربوبيّة، في الأصل: الربوبية.

(٣) وأقامه، في الأصل: واقامة.

(٤) قلب، في الأصل: القلب، ثمّ شطب «الـ».

احتياج الناس إلى معرفة الأدب مع الله، لما بعث الله رسوله إلى الخلق، وأمرهم بمتابعته، حتّى قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ٣١)، معناه: أي اتّبعوني حتّى أعرّفكم طريقَ الأدب مع الله، فتحبّونه بشرط ما يجب أن يُحَبَّ، فيُحْبِبكم الله. ٣

فإذا تهذّب الناقص بالكامل في طريق الله، صلُح لخدمة أولياء الله، < ثمّ > لله. إذ كلّ من لم يصلح لخدمة أولياء الله، لم يصلح لخدمة الله. ٦ ومن حُرِمَ البركاتِ من أولياء الله، عُدِمَ الكرامات من الله. ولهذا قال عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (القرآن الكريم ٩/ ١١٩)، أي الزموا صحبةَ الصادقين لتتأدّبوا بآداب صدقهم، ٩ فتكونوا من الصادقين. لأنّ لأهل[1] الصدق في السلوك من الخبايا والهدايا والعطايا < ما > لا يصل إليه إلاّ أهل الذوق. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (القرآن الكريم ٢٣/ ١٧). وقوله ١٢ < تعالى >: «أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[2]. وإنّما ذلك ثمرة أدبهم مع الخَلْق، ثمّ مع الحقّ. ١٥

والذي أُعِدّ للعباد، إنّما ذلك لقوم وَعْدٌ ولقوم نَقْد. فهؤلاء الذين لهم رؤيةُ الخَفيّات نقداً، إنّما بدايتُه التأدّبُ والتهذّب، ونهايتُه التحبّبُ والتقرّب. فإذا تقرّبوا صاروا أدلاّء وأطبّاء، يدلّونهم على معرفة التحقيق، ويداوونهم[3] ١٨

---

(١) لأهل: في الأصل: أهل.

(٢) انظر المعجم المفهرس ١: ٤٧، تحت: أذن؛ و٣: ٣٣٧، تحت: صلح، وقارن بالكتاب المقدّس، العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، الأصحاح الثاني، العدد ٩ حيث يقول: «بل كما هو مكتوب: ما لم ترَ عينٌ ولم تسمع أذنٌ ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبّونه».

(٣) يداوونهم، في الأصل: يداونهم.

من مرض الغفلة، ليكونوا من أصحاب الطريق.

فصل < ٢٤ >: في أهل المشاهدة

٣ خلق الله تعالى للدنيا قوماً، وللآخرة قوماً، وللجنّة قوماً، وللنّار قوماً، وللمجالسة قوماً، وللمشاهدة قوماً[١].

فأهل المجالسة والمشاهدة هم من سكّان العُلَى، لأنّ قلوبهم من ٦ أجناس مَرْئيّات العُلى، كما أنّ أجسامهم من أجناس (١٣٢آ) الدنيا. وقد ورد في الخبر: «الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرةُ حرام على أهل الله[٢]».

فأهل الله، وأهل مجالسة الله، في مشاهدة أَنعُم ما لهم من الولاية. ٩ وإنّما يدركون ذلك ببصائرهم لا بأبصارهم[٣]. وكما لهم مرئيّ[٤] غير هذه المرئيّات، كذلك لهم مسموع غير هذه المسموعات. إذ لهم آذان القلوب وأعين القلوب، وبذلك يشاهدون أجناس الآخرة في الدنيا، ويسمعون ١٢ من الله بآذان قلوبهم. وهم جملة الأنبياء، والأولياء، والأصفياء، وأهل الحكمة والمعرفة والمحبّة، خصّهم الله من خزانة آلائه وبهائه وجلاله وجماله < بـ > أنعُم المشاهدة والمؤانسة والمنازلة والمخاطبة، حين روّحهم بروح ١٥ النفحات والواردات، فصَغَّرَ في أعينهم الجنّةَ وما فيها، لأنّهم من فقراء الله ومساكينه، الذين سكنوا إلى الله بقلوبهم وهممهم، فأطلعهم الله على رؤية

---

(١) قارن بما جاء في بهجة، فصل ٦، ١٦/٤٠ ــ ١٧ وفصل ٩، ص ١٤/٥٢ ــ ١٥، ثمّ قارن بما جاء في صوم القلب، فصل ١٦، ص ١٨/٤٤، لتجدَ أنّ ما ورد هنا هو دمجٌ لما ورد في المواقع التي ذُكِرَتْ.

(٢) الله، في الأصل: الدنيا، ثمّ شُطِبَتْ، وكُتِبَ فوقها: الله؛ وقارن بصوم القلب، فصل ١٦، ص ٤٥ /١ ــ ٢، حيث ورد أيضاً: «... والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة...».

(٣) لا بأبصارهم، في الأصل: لا بصارهم.

(٤) وكما لهم مرئي، كذا، ولعلّ الأصح: وكما أنّ لهم مرئياً.

المعاني والصفات. إذ أعين الصُّوَر[١] لا تقدر على رؤية أجناس العُلَى من المعاني والصفات، ولا بِسَمْعِ الجارحةِ يقدر على استماع ما يظهر من مفهومات عالم الحياة، ولا التوهّم الحسّيّ يقدر على أن يصف ما عند الله لأهله من الكرامات[٢] والصلات والهدايات. وإنّما هذه الآلاتُ اللحميّة الشحميّة الجسمانيّة خُلِقَت لمرئيّات الصُّور الدنياويّة، لا للصِّفاتِ العُلْويّة. إذ لا تُدْرَك مرئيّات العُلَى إلاّ بعين القلب، ولا تُسْمَع مسموعات العُلَى إلاّ بِسَمْع القلب. والوصف عن ذلك، إنّما يكون إذا كان القلب قائلاً، ينطق عن الله: تارةً بالعَرْض على القلب، وتارةً بإنزال المرئيّ إلى عالم القلب، وتارةً بِجَذْب[٣] القلب إلى عالم المرئيّ، ليشاهِده في عالمه.

ونفائسُ الآخرة في الدنيا لا تظهر إلاّ في عالم المعرفة والأحوال، لا في عالم العلم والأقوال. ألا ترى أنّ رسول الله، ﷺ، لمّا سأل حارثة[٤]: «كيف أصبحت؟» قال: أصبحت مؤمناً حقّاً؛ ما اقتنع من قوله حتّى قال: «لكلّ حقٍّ حقيقةٌ[٥]، فما حقيقة إيمانك؟» فقال: عزفتُ عن الدنيا. فأخبر أنّ الذي رأى، لم يرَ في الدنيا (٣٢ ب)، بل كأنّه في الآخرة، بواسطة عزوف النفس عن الدنيا[٦]. فلمّا أخبره عن صفة حالٍ وذوقٍ وكشفٍ ومشاهدةٍ وعِيانٍ ــ وليس الخبر كالمعاينة، وعلامةُ ذلك عزوفُ النفس ــ قال في حقّه

(١) الصور: هنا بمعنى الأجسام والأجساد.

(٢) الكرامات، في الأصل: الكرمات.

(٣) بجذب، في الأصل: لمحذب.

(٤) حارثة، في الأصل: لحارثة، وهو الصحابيّ حارثة أو حارث بن مالك الأنصاري.

(٥) لكلّ حقّ حقيقة: لكلّ شيء حقيقة، ابن حنبل ٦: ٤٤١، وتتمّة النصّ هناك تختلف تماماً.

(٦) الدنيا، في الأصل: الهوا، ثم شطبت، وأُضيفَ التصحيح فوق السطر.

ووَصْفِه: «عبدٌ نوّر الله الإيمانَ في قلبه»[١]. وهذا مِنْهُ، عليه السلام، غاية المدح للواقعة الواضحة.

٣ فصار معنى الواقعة[٢] تنوير القلب بنور الإيمان. وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (القرآن الكريم ٣٩/ ٢٢).

٦ ونور الربّ هو نور الإيمان ونور المعرفة. فنور الإيمان في القلب يوقع الوقائع. ونور المعرفة في القلب يوقع المشاهدة.

والواقعة نوعان[٣]: نوعٌ وصفٌ من وراء حجاب، ونوع كشفٌ من ٩ إمارات القلوب، وذلك بالنظر إلى الأحوال المعيّنة، بيقظة صافية، لا نوم فيها ولا سِنَة. بل واقعةٌ حصلتْ للقلب صفةً. كما يُقالُ: بينما أَنا بين النائم واليَقْظان. وهي دون اليَقَظَة، وفوق السِّنَة. فوقع القلب بها في المشاهدة. ١٢ ولولا الواقعة في البداية لما صحّت المشاهدة في النهاية.

فوُجودُ القلبِ شرطٌ في تحصيل علم الحقيقة، كما أنّ وجود العقل شرط في تحصيل علم الشريعة. ولا يصل إلى شيء من التحقيق، إلاّ بعد أن ١٥ لا يعجبه شيء ممّا في الطريق. ألا ترى كيف مدح الله رسولَه، عليه السلام، بقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (القرآن الكريم ٥٣/ ١٧)، لأنّه لم يعجبه شيء سوى الله، وذلك لصحّة قصده إلى الله، وطَلَبَ من الله، لله. فلمّا سار ١٨ بهذا الشرط وصل إلى الانتهاء. وقيل له: ﴿وَإِنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (القرآن

---

(١) راجع قصّة هذا الحديث أيضاً في قوت القلوب ٢:١٧١/ ٢ وما يلي ذلك؛ وانظرها مع اختلاف في التفاصيل في أسد الغابة ١:٣٤٦ والإصابة ١:٢٨٩ واللّمع ١٢ ــ ١٣؛ ١٠٢؛ ٣٣٧؛ ٤٢٨ والتعرُّف ١٠٧ وكشف المحجوب ٢٨٦.

(٢) فصار... الواقعة، أُضيفت في الهامش.

(٣) نوعان، في الأصل: نوعين.

الكريم ٤٢/٥٣)، أي لا وقوف لك إلاّ عند الله. فلمّا قطَع الطريق، ووصل إلى نهاية التحقيق، قيل له: ها أنت وربّك.

فصل < ٢٥ >: في صحّة الإنسانيّة والعبوديّة

لا تصحّ العبوديّة إلاّ بحقيقة الإنسانيّة. وحقيقة الإنسانيّة لا تحصل إلاّ بعد التطهير من الصفات النفسانيّة والشيطانيّة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ (القرآن الكريم ٦/٣٥). فما دام< ت > أخلاق الإنسان تماثل أخلاق[1] الشيطان، والشيطانُ ضدُّهُ وعدوُّه، فإذا بايَنَ العبدُ بصفاته الشيطانَ[2] (١٣٣آ) وَصفاته، فلا سبيل إليه[3] للشيطان. لأنه إنّما يتسلّط الشيطان على العبد بصفاته المذمومة. فحيث صارت أخلاقه محمودة، صيّر الله المحامد بينه وبين الشيطان حائلاً، وحجاباً مستوراً. بل يكاد الشيطان يغفل عن معاندته، وإن كان لا يصل إليه، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا[4] قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (القرآن الكريم ١٦/٩٨ ــ ١٠٠)[5]، وهؤلاء[6] ليسوا على الحقيقة إنسان، لكنّ الشيطان يتولاّهم وهم يتولّونه، فلا يقال لهم: إنسان مطلق. وكما لا يقال لهم في الحقيقة: إنسان مطلق، لمشاركة صفات الشيطان لصِفاتهم، لا يقال لهم: لا موحّد مطلق، ولا مؤمن مطلق. لأنّ

---

(١) أخلاق، في الأصل: لاخلاق.

(٢) الشيطان، في الأصل: للشيطان.

(٣) إليه، في الأصل: عليه.

(٤) فإذا، في الأصل: وإذا.

(٥) والذين هم به، في الأصل: والذنيهم به.

(٦) هؤلاء، يعني: «الذين هم به مشركون».

الإنسان المطلق في الحقيقة من تجرّدَ< تْ > فيه الصفات الإنسانيّة وطهُرت الأخلاق.

ومتى طَهُرت الأخلاقُ كملت المحامد، ومتى كملت المحامد كملَ التوحيد، ومتى كمل التوحيد فرّ الشيطان من سلطَنة توحيد الإنسان. كما قيل: «إنّ الشيطان يفرّ من ظلّ عمر»[١]. وهذا لأنّ سلطنة توحيد عمر من مقام الولاية، وعلى الولاية لباس الحفظ، ومن لباس الحفظ كان يفرّ الشيطان. أمّا إذا كانت سلطنة التوحيد من مقام النبوّة، فإنّ على النبوّة لباس العِصمة. ولأجل ذلك قال، عليه السلام: «ما منكم من أحد إلاّ وقد أُرسِل معه قرينان[٢] من الجنّ»، قال: وأنتَ؟ قال: «وأنا، إلاّ أنّني أعانني الله عليه، فأسلم شيطاني على يديّ».

فالإنسان إذا غلبـ< ت > محامدُه مذامّـ< ـه >، فالشيطانُ، عدوُّه، لا يَفْتُر عن معاندته، والله يعصمه منه. فإذا تبدّلت مذامُّـ< ـه > بالمحامد كليّاً، تشبّهَ[٣] بصفات الملائكة، ففرّ الشيطان. فإذا تبدّلت المَلَكِيّة بالربّانيّة، خضع له الشيطان، وأسلم على يده.

(٣٣ ب) فمن لم يصل إلى نهاية العبوديّة، فإنّه لم يصل إلى كمال الآدميّة. وكمال الآدميّة هو التنزُّهُ عن صفات البهائم وحمل النقائص والمذامّ. لأنّ الله خلق الإنسان وكمّله وعَدَله[٤]. ولأجله خلقَ المحامدَ،

---

(١) انظر بهجة ص ١٣٢/٩، وختم ص ٣٥٨ ملاحظة ٢٥٣؛ وقارن بالمعجم المفهرس ٣: ١٢٩، حيث ورد: «إنّ الشيطان ليخاف [يفرق] منك يا عمر» و٣: ١٣٠: «إني لأنظر إلى شياطين الجنّ والإنس قد فرّوا من عمر».

(٢) قرينان، كذا، ولعلّ الأصحّ: قرينُه، قارن بالمعجم المفهرس ٥: ٣٧٣.

(٣) تشبّه، في الأصل: تشبهه.

(٤) كمّله وعدله: إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾، القرآن الكريم ٨٢/٧.

وأمر أن يُتَحَلَّى بالمحامد، فقال الله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ٧٩). وقال، عليه السلام: «تخلّقوا بأخلاق الله».

فالكامل في العبوديّة، هو الكامل في الإنسانيّة. والكامل في الإنسانيّة، هو المتحلّي بالصفات الملكيّة. والذي ذاقَ ثمرة العبوديّة، تحلّى بالصفات الربّانيّة. والذي تحلّى بالصفات الربّانيّة، فقد تَمَّ قدمُه في مقام حقيقة العبوديّة، وحقيقةُ صَيَّر العبدَ وما يملكه لمولاه، وصيّر للعبد إرثاً في مال سيّده دون ماله.

لأنّ الأحوالَ تورَثُ بصحّة نسبة السَّبب، والأموال[1] تورَثُ بصحّة النسبة. قال الله تعالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (القرآن الكريم ٤٩/ ١٣)[2]. والتقوى من الأعمال والأحوال. وبيّنَ[3] ميراث السبب، دون النسبة، من غير سبب. هذا في الشريعة.

وبمقتضاه في الحقيقة صيّر الله للعبوديّة[4] من الربوبيّة إرثاً من الأحوال والأخلاق والصفات. وحصول الإرث من الربوبيّة دليل على صحّة العبوديّة. وبصحّة العبوديّة، صحّةُ نبوّة الأنبياء، وولاية الأولياء.

ومعنى حقيقة العبوديّة[5]، ما ورد في فضل هذه الأمّة، حين وصفهم الله في التوراة والإنجيل: «علماء حكماء، كادوا من الفقه أن يكونوا أنبياء[6]»، وذلك لصحّة نسبتهم: العبوديّة إلى الربوبيّة، ولصحّة نسبة الولاية إلى النبوّة.

---

(١) الأموال، في الأصل: الأحوال.

(٢) أكرمكم... أتقاكم، في الأصل: اكرملم... اتقويكم.

(٣) وبين، أضيفت فوق السطر.

(٤) للعبوديّة، في الأصل: العبودية.

(٥) العبوديّة: أضيفت فوق السطر.

(٦) قارن ببهجة ص ١٣٣/ ١١ ــ ١٢.

فلصحّة النسبة إلى الله إرثٌ[١] من الله، ولصحّة نسبة الولاية إلى النبوّة إرثٌ[٢] من رسول الله، ﷺ. ولهذا قالوا: صحِّحِ النسبةَ وخذِ الميراثَ.

فإرث العبوديّة من الربوبيّة، هو الفهم عن الله، والنطق من الله، والنظر بالله. فإنّ للنبوّة أخبار، وللولاية أخبار، وللعلم أخبار، وللمعرفة أخبار. والأخبار على قدر صحّة النسبة. (١٣٤آ) وصحّة النسبة على قدر صفاء القلب. وبقدر صفاء القلب، قرب القلب من الربّ. وبقدر القرب من الربّ، الإخبار عمّا غاب عن الأبصار. كما قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (القرآن الكريم ٤١/ ٥٣).

وأمّا الإرثُ من النبوّة ــ بشرط صحّة الصُّحْبة ــ < فهو > الدخول في مقام الولاية. إذ من كان لله عبداً، وللرسول صاحباً، صار بصحّة العبوديّة وصحّة الصحبة وليّاً. فمن انتسب إلى عبوديّة الحقّ، بشرط ظاهر الشريعة، دون الحقيقة، لم ينل من الله[٣] إلاّ حصول الأنعم الظاهرة، دونَ الباطنة: من كثرة الأموال والولادة وصحّة الجسم، والوقوف على قدم التعبّد بإتيان[٤] العبادات البدنيّة دون القلبيّة. فما صحّة نسبة عبوديّته إلى الله إلاّ ظاهراً لا باطناً.

وأمّا صحّة نسبة حقيقة العبوديّة إلى الله < فـ >ـهو إتمام نعمته الظاهرة والباطنة، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (القرآن الكريم ٣١/ ٢٠). ونِعَمُهُ[٥] الباطنَة هي[٦] الإنعام على

---

(١) إرث، في الأصل: ارثا.

(٢) إرث، في الأصل: ارثا.

(٣) الله: أضيفت في الهامش.

(٤) بإتيان، في الأصل: بايتيان.

(٥) ونعمه، في الأصل: ونعمة.

(٦) هي، في الأصل: هو.

القلب بصحّة الاستقامة. ومن لم يستقم قلبُه مع الله، لم يرث عن فضل الله إلاّ قليلاً. وذلك لعدم صحّة نسبة عبوديّته إلى الحقّ، جلّ وعلا.

٣ ومن انتسب إلى آدم، عليه السلام ــ بأنّه أبو البشر ــ ولم يرِثْهُ من طريق الولاية في الأحوال والأخلاق، فما[١] انتسب إليه إلاّ مجازاً. وقد قال، عليه السلام: «من سعادة المرء[٢] أن يشبه أباه». وليست تلك[٣] ٦ السعادةُ التشبّهَ من حيثُ الصورةُ فحسب، بل من حيث الصفةُ. لأنّ التشبّه من حيث الصورة في الشريعة يورث الأموال، دون الأحوال. كما لم يورّث لولد نوح، حين قال < تعالى > في حقّه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (القرآن ٩ الكريم ١١/٤٦).

والتشبُّه من حيثُ الصفةُ في الحقيقة والشريعة، ربّما ورث الأموال والأحوال. والأحوال عند الله أعلى[٤] وأجلّ من الأموال. فكذلك نسبة ١٢ السبب صار< ت > أقوى في الحقيقة ــ عند الله وأهل الله ــ من نسبة النسب.

ومن انتسب إلى رسول الله، ﷺ، بأنّه (٣٤ ب) من أمّته، وداخل في ١٥ شريعته، ومقتدٍ[٥] بأفعاله، يجب أن يرثَه في الأحوال، كما ورثه في الأقوال، وفي المعارف، كما ورثه في العلوم. وأوّل الميراثِ منه، عليه السلام، العلم. فإن صحّ نسبة العلم، أوقعه في المعاملة. فإن لم يوقَعْ في ١٨ المعاملة، [فـ]ـلم يكن نسبة علمه إلى علم رسول الله، ﷺ، صحيحاً.

ومن انتسب إليه، عليه السلام، من حيث الإيمان به، والمتابعة له،

---

(١) فما، في الأصل: فمن.

(٢) المرء، في الأصل: المراء.

(٣) وليست تلك، في الأصل: وليس ذلك.

(٤) أعلى، في الأصل: أعلا.

(٥) مقتدٍ، في الأصل: مقتديا.

< و >حصول اليقين بالله، والتوكّل على الله، والانقطاع إلى الله، والاستغناء عمّا سواه، فقد آمن به قوليّاً، لا قلبيّاً، وعلميّاً، لا ذوقيّاً وحاليّاً. لأنّ العلم ميزان الرسول، عليه السلام.

والعلم علمان: علم في اللسان، وهو حجّةٌ على ابن آدمَ، وعلم في القلب، وهو العلم النافع[١].

فمن ورِثَه في الذي هو الحجّة عليه، دون الذي هو النافع له، فما صحّ ميراثُه ولا نسبه. وقد قال، عليه السلام: «كلّ نسب وسبب ينقطع إلاّ نسبي وسببي»[٢]. وذلك < لـ >وجود الأولياء إلى يوم القيامة، لأنّهم أمان هذه الأمّة. كما قال، عليه السلام: «أهل بيتي أمان لأُمّتي، فإن انقرض[٣] أهل بيتي أتى أمّتي ما يوعدون»[٤]. ولم يُرِدْ به أهلَ بيت النسب، إنّما أراد به أهل بيت السبب. كما سئل عنه، عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله، من آلُك؟ فقال: «كلّ صالح». وإنّما صاروا آله وأهل بيته، لأنّهم ورثوه في المعاملة والأخلاق والأحوال، وسلكوا سبيله في الذكر. فصحّت عبوديّتهم لله، ومتابعتهم لرسول الله، وصفت نظرتهم عن كدورة الطبيعة، وبقيت على كمال هيئة الإنسانيّة، فخُصَّت بالأخلاق[٥] الربّانيّة والمَلَكيّة.

ومعنى الإنسانيّة: انقلاب العادات عبادات. ومعنى الطبع: البهيميّة

---

(١) انظر بهجة، فصل ٢٩، ص ١/١١٣ ــ ١٠/١١٧.

(٢) قارن بالمعجم المفهرس ٢: ٣٨٨، حيث جاء: «وإنّ الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسببي وصهري».

(٣) انقرض، في الأصل: انقرضوا.

(٤) قارن بالمعجم المفهرس، تحت: وعد: «فإذا ذهب أصحابي أتى أمّتي ما يوعدون»؛ وانظر أيضاً ختم الأولياء ٣٢٠ و٣٤٦ والمصادر المذكورة هناك في هامش ٢٢٩، وبهجة ص ٣/١٣٧ ــ ٤.

(٥) بالأخلاق، في الأصل: بأخلاق.

والوقوف على العادات، والانهماك في الشهوات، من غير مقدّمة نيّة، ولا وجدان فائدة، سوى إشباع البطن[١]، وقضاء وطر النفس. فالإنسانيّة للخصوص، مخصوصة بالأفعال المعنويّة، لأنّها محلّ[٢] لتصرّف حقائق الصفات الربّانيّة. ٣

فالإنسان (١٣٥آ) من له في فعله إمّا وجود نيّة، أو شهود فائدة. ونيّة الإنسان الكامل في الحقيقة، وراء ما هو في الشريعة. فمن انحطـ< ـت > عن درجة نيّة الشريعة والحقيقة أفعالُهُ، فكثيرٌ في الأنام[٣] أشكالُه وأمثالُه. وإن علَتْ على الصفات صفاتُه، فرُفِعَت على الأقران درجاتُه، غَلَبَ عقلُه شهوتَه، ويقظتُه غفلتَه، وعبادتُه عادتَه، وواردات الحقّ إرادتَه، وشريعتُه طبيعتَه، واستلبَت الحقيقةُ كلّيّتَه: فهذا إنسانٌ كاملٌ، كما قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (القرآن الكريم ٥٥/ ١ ـ ٤). ٦ ٩ ١٢

فصل < ٢٦ >: في حقيقة العبوديّة

لا تصحّ العبوديّة لله، وعليك لنفسك حكم. فإنّ الْمُكاتَبَ عبدٌ ما بقي عليه درهم. بل أنت في العبوديّة لربّك، ما لم تكن لنفسك. وما دمت لنفسك، لم تكن لربّك. ألا ترى كيف استغاث إبراهيم إلى ربّه بقوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ (القرآن الكريم ١٤/ ٣٥). وكما أنّ عابد الصنم لم يكن من عبيد الحقّ، كذلك عبيد الربّ لم يكونوا من عبيد النفس. ١٥ ١٨

وحقيقةُ العبوديّة ما قيّدك بظاهرك وباطنك وخواطرك أمرُه ونهيُه وتصرُّفُه وفعلُه. فأنت عبدُه حقّاً، وهو ربُّك لازماً. فالزَمْ بَدَّك[٤]، وابذُل في

---

(١) البطن، في الأصل: الطن.

(٢) محل، في الأصل: محلاً.

(٣) الأنام، في الأصل: الأنعام.

(٤) بدّك: البدّ يعني التّعب.

حقّ العبوديّة جهدَك، نيصحّ لك من صحّة العبوديّة فضل الربوبيّة. فمن
لا حقيقة له، فلا عبوديّة على الحقيقة له. فإنّ من سلّم واستسلم طوعاً،
٣ لا كرهاً، نال ثمرةَ استسلامه.

وحقيقة الاستسلام أن يكون الحُكم لربّك، لا لنفسك. فلا ترى نفسك
إلّا لأجل خدمته. وتستغرق في خدمته وأداء واجباته عن طلب ما لا بدّ لك
٦ منه من حقوق نفسك. فإذا سقط عنك رؤية حقّك في أداء حقّه، وسقط عنك
طلبُ حظوظ النفس بالكلّيّة ــ بالقلب واللسان والخاطر ــ كنت له على
الحقيقة، فكان هو لك. فكفاك وأغناك حتّى لا تجد لك شيئاً يُسْأَلُ منه، إلاّ
٩ له. وعند سؤالك منه له، يبدو[1] لك من الخجل والوجل ما لم تر[2] لنفسك
أهليّة في عبوديّته وخدمته. فكيف تر < ى > بكَ أهْلاً (٣٥ ب) لولايته
وقُرْبه. فحينئذ ينقطع السؤال والطلب من العبد في مقام التحقيق في
١٢ العبوديّة. وهي حقّ من تحقّق في العبوديّة، قال الله جلّ وعلا: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ
بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (القرآن الكريم ٣٩/٣٦)، أي: من كان بخدمتي وافياً، كنتُ
لحقوقه كافياً. كما قال الله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ
١٥ فَارْهَبُونِ﴾ (القرآن الكريم ٢/ ٤٠). فهذا شرط العبد في العبودية، أن
لا يفوتَه شَيء[3] من الوظائف، وهو مع ذلك خائف.

فصل < ٢٧ >: في الحرّيّة

١٨ مقام الحرّيّة انتهاء العبوديّة. وانتهاء العبوديّة: فذاكَ المُنَى والمقصود
والمُراد.

فالأحرار صنفان: صنف حرّيّتُهم من النفس وآفاتها، وصنفٌ حرّيّتُهم

---

(١) يبدو، في الأصل: يبدوا.
(٢) تر، في الأصل: ترى.
(٣) شيء، في الأصل: شيئاً.

من جميع ما سوى الله: عبوديّة مخضَة لله تعالى. لأنّ كلّ من له مُراد فهو عبدُ مرادِه.

والحرّيّة عبارة عن زوال الخوف من غلبة النفس على العبد، كيلا تسلبَه من الحقّ. فمن أَمِنَ من غلبة النفس فهو حرّ. لأنّ الله أدخله في حصن حِفْظه، وأعتقه عن حفظ نفسه بنفسه لنفسه. فهو حرّ حيث لم يبقَ لنفسه عليه مُطالبة. بل لا نفسَ للحرّ. لأنّ نفسَ العبد في العبوديّة، مقيّدٌ محبوسٌ معزول[1]. فعليه الخوفُ من النفس، من أجلِ أن لا يصير مُطْلَقاً مُسَلَّطاً عليه. وأمّا نفس الحرّ فهي في الحرّيّة مُسْلِمة مطمئنّة مؤمِنة راضية مَرْضِيّة[2]؛ لا تأمرُ إلاّ بالخير، ولا تنهى إلاّ عن شرّه[3]. فالحُرُّ، له من النفس والشيطان أمانٌ. لأنّ الله يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (القرآن الكريم ١٥/٤٢).

والحرّ هو العبد على الحقيقة[4]. فمن أجل أنّ الله بدّل صفات النفس حين كانت أمّارة، ثمّ صارت لوّامة، ثمّ صارت مطمئنّة، فهي على مُرادات القلب والربّ. صار لا نفسَ للحرّ، لأنّ الله صيّر نفسَه مؤمنةً، بعدما كانت كافرةً، راضيةً، بعدما كانت شاكيةً، مرضيّةً، بعدما كانت مسخوطةً.

فالحرّ في مقام الحريّة في حفظ الحقّ، من غير تكلّف منه في المعاندات والمكابدات والمراقبات. لأنّ الله قد تولّى حفْظَه. وحيث

---

(١) نفس... مقيد محبوس معزول: أحياناً يذكّرُ عمّار «النفس» وأحياناً يؤنّثها، كما سيظهر فيما بعد.

(٢) مطمئنّة...: قارن بما ورد في القرآن الكريم ٨٩/ ٢٧ ــ ٢٨: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً...﴾.

(٣) شرّه: كذا.

(٤) قارن بقول ابن عربي: «فالحرّيّة عبودة محقّقة»، الفتوحات المكيّة، تحقيق عثمان يحيى ١٤: ٣٧١/٩، فقرة ٢٨٧.

لا تسلُّطَ عليه للشيطان، ولا نفسَ له، فلا خوفَ عليه من غير الله. لأنّ الله حافظُه ومتولّيه. كما قال الله تعالى (٣٦آ): ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (القرآن الكريم ٧/ ١٩٦).

وفي الحقيقة: الحرّ من تمّ مرادُه من الله، فلا مرادَ له إلاّ مرادُ الله. والعبدُ مرادُه من الله، وهو في طلب مراده. وسمّي حُرّاً عن الطلب، وسمّي عبداً بوجود الطلب. وقيل: الحرُّ وصلَ إلى الله، وحصلَ بالله. والعبدُ في طلب الله، وفي طلب أن يكون لله. وقيل: الحرّ من تمّمَ العبوديَّةَ، والعبدُ من هو في إتمام العبوديّة. وقيل: الحرّ هو من في حُكْمِ الربّ، لا تصرّفَ عليه للنفس، والعبدُ من هو في حكم الربّ، وعليه تصرّفُ النفس. فتكون الحرّيّة عبارة عن حصول الأمن من جميع الموبِقات المهلِكات.

والحرّ من لم يبقَ له في الأشياء ضدٌّ؛ بل عنده بقوّة حاله كلُّ ضدٍّ لغيره، يستأنس له. فهو لا يستوحشُ من مَخُوف، ولا يستأنس إلى محبوب. لا تسترقُّه رهبةٌ، ولا رغبةٌ، ولا طمعٌ، ولا جزعٌ، ولا يستوحش منه شيء، ويستأنس به كلُّ حيّ.

ومن تحقّق في الحرّيّة: فَقَبْضُه يَسَعُ بَلوَى الخلائق، وبَسْطُه تُسْتَغْرَقُ فيه أحمالُ أثقال[١] الخلائق. لأنّ أكثرَ مُقامه في العُلَى، وفراغَه[٢] أكثرُ من اشتغاله بأمور الدنيا. لا بقيّةَ عليه من العبوديّة، ولا معيّةَ معه من البشريّة. فَنِيَ منه تحكّمُ الحقوق عليه، كما فني منه تحكّمُ الحظوظ عليه. فالحقوق جارٍ[٣] عليه ساعٍ[٤] إليه، لِتَحَصُّنِه في مقام الأمن من الآفات بالولايات. كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ

---

(١) أثقال، في الأصل: انقاق.

(٢) وفراغه، في الأصل: وفراغته.

(٣) جار، في الأصل: جاري.

(٤) ساع، في الأصل: ساعي.

مهْتَدُونَ﴾ (القرآن الكريم ٦/ ٨٢). والظُلم هاهُنا هوَ الاستحسانُ لما سِوى[١] الله. فحين لم يستحسنوا لغير[٢] الله، قَوِيَ عرفانُهم، وكَمُلَ إيمانُهم. فلأجل ذلك صاروا من الآمنين المهتدين، حين عرفوا أنّ الوقوفَ مع ما سوى[٣] الله مكرٌ واستدراجٌ. فلمّا أخذوا حذرَهم من المكر والخديعة، سمّاهم آمنين عن التلبيس، مهتدين بمعرفة مواضع الهمّ والتدليس.

فصل < ٢٨ >: في الفراسة

الفراسة نوعان: نوعٌ نظرٌ، ونوع خبرٌ. فالخبر: علم القلب، والنظر: مشاهدة القلب. وليس الخبر كالمعاينة. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (القرآن الكريم ١٥/ ٧٥). (٣٦ ب) وقال، عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»[٤].

فعند حصول القلب في مقام المحدّثيّة، < و >هي بمثابة اللّوح المحفوظ، كلّما طلب منه، وجدَ فيه. ولهذا قال، عليه السلام: «استفتِ قلبَك[٥] ولو أفتوك». لأنّ فتواه، من مولاه.

فالفراسةُ إخبارُ القلب بواسطةِ وارد العلم، إذا كانت الفراسةُ خبراً. لأنّ المتفرّسَ هو الواقف بكليّته وعقله وحسِبِه عَلى باب القلب[٦]. والقلب بمثابة العاجز المضطرّ الواقف على باب الربّ: فتارةً يخبرُه واردُ علم الربّ في القلب، وتارةً يخبره واردُ علم القلب من القلب إلى اللسان. فإخبار وارد

---

(١) سوى، في الأصل: سوا.

(٢) لغير، كذا، والأصحّ: غيرَ.

(٣) سوى، في الأصل: سوا.

(٤) انظر أيضاً بهجة ص ١٣٢/ ٤، وختم الأولياء ٣٥٦ والمعجم المفهرس ٧:٢٩٨، تحت: وقى و٦:٤٧٦، تحت: نظر.

(٥) قارن بالمعجم المفهرس ٥:٦٨: «استفتِ نفسك [استفت قلبك]».

(٦) انظر أيضاً بهجة ص ١٧/ ٥ ــ ١٠.

الربّ عن نظر، ثم عن خبر. فهو في كلّ الأحوال مصيبٌ، غير خائب. وإخبار وارد علم القلب عن خبر، فإن أصاب صار نظر< ا >. وإن أخطأ كان ذلك توهّماً وتفكّراً، لأنّه قال، عليه السلام: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله»، وفيه الدليل الواضح أنّها خبر، ثمّ إذا صحّت فهي نظر.

فإذا كانت الفراسة نظراً فالقلب بمثابة المرآة الصافية، أو بمثابة الحجاب الشفّاف، يشاهدُ وجودَ الشيء، ثمّ يخبر عنه[1]. والخبر دليل على أنّ الفراسةَ نظر[2]. فإنّه قال، عليه السلام: «ينظر بنور الله».

وعلى مقتضى الآية: الفراسة ــ على شرح الحقيقة ــ وسمُ اتّصافِ القلبِ بالرؤية. فهي مقام المشاهدة، بمثابة عرش التجلي، وقد خصّ الله، عزّ وجلّ، المتوسّمينَ بالآيات، فقال: ﴿لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (القرآن الكريم ١٥/ ٧٥).

فأهل التوسّم رجلان: فمتوسّم واصف، ومتوسّم عارف. والوصفُ بنورِ الإيمان، لأنّه خبرٌ[3]، والخبرُ واردُ العلم. والمعرفةُ بنورِ المشاهدَة، لأنّها نظرٌ[4]، والنظرُ واردُ الرؤية. ولهذا قالوا: العارفُ ينظر بالله، والمؤمنُ ينظر بنور الله.

فمنهم من تفرّس بعلم القلب، وينظر بصفاء القلب، وبيقظة القلب. ومنهم من يتفرّس بورود وارد علم الله في القلب، وينظر بواسطة نظر الله في القلب. فيحصل من نهاية المراقَبة، بدايةُ الفراسة، ومن نهاية الفراسة، بدايةُ المشاهدة.

---

(١) عنه، في الأصل: عنها.
(٢) في الأصل: نظراً.
(٣) خبر، في الأصل: خبراً.
(٤) نظر، في الأصل: نظراً.

فصل < ٢٩ >: في العلم النافع[١] والعمل الصالح

قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (القرآن الكريم ٣٥/ ١٠). وإذا كان العلم نافعاً (٣٧ آ) كان العمل صالحاً، ولصاحبه إلى منازل الأبرار والأخيار رافعاً. فالعلمُ النافعُ ما زَرَعَ في القلب الخوفَ والخشيةَ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (القرآن الكريم ٣٥/ ٢٨)، لأنّ العلم ليس إلاّ للعمل. وقد قال، عليه السلام: «فَمَنْ عَمِلَ بما عَلِمَ ورّثه الله عِلْمَ ما لم يَعْلَمْ».

فصار العلم الظاهر بواسطة العمل الصالح الخالص موصلاً إلى حصول العلم الباطن. فمن رزقَه اللهُ العلمَ، وحَرَمَه[٢] العمل، فقد عاقبه بالعقوبة الشديدة. كما قال بعضُهم: إذا أراد اللهُ هلاكَ امرئٍ[٣] عاقبَه بثلاث: أوّله أن يرزقَه العلمَ ويمنعَه العملَ، والثاني أن يرزقَه العملَ ولا يرزقُه الإخلاص، والثالث أن يرزقَه صحبةَ الصالحين، ويمنعه معرفةَ حقوقهم.

وإنّما حُرِمَ العملَ بوجود العلم، لفساد النيّة في حال التحصيل. وفساد النيّة، هو ما ذكره، عليه السلام، فقال: «من طلبَ العلمَ ليُماريَ به العلماء، أو يجاريَ به السُّفَهاء، أو يصرفَ إليه وجوهَ الناس، فليتبوّأ مقعدَه من النار»[٤]. ومن كان كذلك لم يصحّ له مع العلم صُحْبَة. فلا جَرَمَ حُرِمَ ثمرةَ العلم وثمرةَ العمل.

فنسبةُ العلم بالعمل أقرب إلى الله ورسوله من نسبة العلم بلا عمل.

---

(١) العلم النافع: «العلم علمان فعلمٌ في القلب فذلك العلم النافع...» انظر هذا الحديث في المعجم المفهرس ٤: ٣٣٠؛ «اللّهمّ إنّي أسألك علماً نافعاً»، ٤: ٣٣٤.

(٢) حرمه، في الأصل: أحرمه.

(٣) امرئ، في الأصل: أمراء.

(٤) انظر المعجم المفهرس ٦: ٢٠٤، تحت: مرى.

لأنّ الله يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (القرآن الكريم ٤٩/١٣). والتقوى من جملة الأحوال. ولا تحصل الأحوال، إلاّ بواسطة الأعمال.

وإنّما يتخلّص العبد من عذاب الآخرة بواسطة الأعمال الصالحة. كما قال النبيّ، عليه السلام، لفاطمةَ: «يا فاطمةُ اشْتري نفسَكِ من الله؛ فلستُ أُغْني عنك من الله شيئاً»[١]. ثمّ تلا قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ (القرآن الكريم ٢٣/١٠١). وإنّما يحصل انقطاع الأنساب، لما حرموا الأعمال، كما قال عزّ وجلّ في حقّ ابن نوح، عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (القرآن الكريم ١١/٤٦)، فصار نِسْبَةُ السبب بوجود الأعمال والأحوال، أقوى وأثبت من نِسْبَة النَّسَب.

ولا يصحّ نسبة العبوديّة إلاّ بالأعمال الصالحة، كما قال رسول الله، ﷺ: «إنّ لله عباداً حفظوا له العلْم وضيّعوا العَمَل به، يتحابّون بالأنس ويتباغضون بالقلوب. أولئك هم الذين لعنهم الله (٣٧ ب) فأصمّهم وأعماهم»[٢]. وإنّما هذا وصف قومٍ خالفـ < ت > أفعالُهم أقوالَهم. كما قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (القرآن الكريم ٦١/٣).

فمن صَحِبَ العلمَ النافعَ أَوْصَلَه إلى كلّ مكرُمة. لأنّ العلم آلةُ الوصول إلى عبوديّة الحقّ، وبه يصل إلى الله، وبه يعرف اللّهَ تعالى، لأنّ الله تعالى قال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (القرآن الكريم ٤٧/١٩) الآية.

فالعلم الظاهر هو السبب لإيجاد العلم الباطن، لأنّه يمْكِنُ حصولُ

---

(١) قارن بالمعجم المفهرس ٥: ١٥، تحت: غنى.

(٢) قارن بالقرآن الكريم ٤٧/٢٣: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾.

العلم الظاهر من غير وجود العلم الباطن. ولا يمكن حصول العلم الباطن إلاّ بالعلم الظاهر.

فالعلم النافع من علم الشريعة < هو > ما أوقع العبدَ في المعاملات. والعلم النافع من علم الحقيقة < هو > ما طهّر العبد من المذمومات، وأوصله إلى المحمودات. وعلامة العلم النافع من الحقيقة < هي > سرعةُ الإصابة لطريق تحصيل المقصود. فإنّ من لم يذق طعم الحقيقة، في أوّل قدم من الطريقة، فما أبعده من دَرَكِ الحقيقة. لأنّ من اجتهد بالإخلاص في الشريعة، وجدَ المَدَد من الحقيقة. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (القرآن الكريم ٧٢/ ١٦)، معناه في الحقيقة: لأسقينا قلوبَهم ذوقاً وشوقاً ورغبةً ورهبةً.

والرغبةُ والرهبة علامةُ الاستقامة. وبعدَ الاستقامة حصولُ الدخول من الشريعة إلى الحقيقة. فمن لم يصحَّ نسبُ علمه، لم يصحَّ نسب عمله. فقد ورد في الخبر: «من أبطأ[١] به عمله[٢] لم يسرع به نسبُه»[٣].

فالعلم < هو > أوّل ركن[٤] من العبوديّة، والعمل < هو > الركن الثاني، والإخلاص < هو > الركن الثالث، واليقين < هو > الركن الرابع. ومن لم توجد له هذه الأركان الأربعة لم تصحَّ عبوديّتُه. وقد قال رسول الله، ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله»، قال: كيف يستعمله؟ قال: «يوفّقه للعمل الصالح قبل موته»[٥]. ولهذا جعل اللّهُ الدنيا مزرعةَ

---

(١) أبطأ، في الأصل: أبطى.

(٢) عمله: مطموسة في الأصل.

(٣) «من بَطَّأَ به عمله لم ينفَعْه سببُه»، انظر المعجم المفهرس ١ : ١٨٨، تحت: بطأ، ولسان العرب، طبعة صادر، ١ : ٣٤».

(٤) ركن، في الأصل: الركن.

(٥) انظر المعجم المفهرس ٣ : ٣٣٦، تحت: صلح.

الآخرة، ليحصّلوا فيها زادَ رحلتهم من الدنيا إلى الآخرة. فهي[١] دارُ الأعمال والأحوال، وفيها توليةٌ للأنبياء والأولياء والصدّيقين، وفيها عيّنَ للسعادة من عيّنَ لها، وفيها (٣٨ آ) أوقع في الشقاوة من أوقع فيها. فقال < تعالى > في حقّ أهل السعادة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (القرآن الكريم ١٩/٩٦). وقال < تعالى > في حقّ أهل الشقاوة: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (القرآن الكريم ١٧/ ٧٢).

فأهل السعادة إنّما نالوا المقامات والقُرُباتِ أوّلاً في الدنيا. ثمّ في الآخرة جُوزُوا[٢] على ذلكَ بالدرجات والزيادات. فقال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (القرآن الكريم ١٠/ ٢٦)، أي: للذين أحسنوا العمل، لهم الجَنّةُ والنظرُ إلى وجه الله الكريم.

فانظرْ إلى قوم كيف صحّحوا نَسَبَ العمل في الدنيا، فرزقوا النظرَ إلى الله في الجنّة، وإلى قومٍ كيف جاهدوا وكابدوا وعاندوا أهواءهم[٣] وأنفسهم، ووقعوا في طريق تصفية القلب، فوقعوا في المشاهدة. فكان لهم في الدنيا مشاهدةُ القلوب، وفي الآخرة مشاهدةُ الأبصار.

فثمرةُ العلم العملُ، وثمرةُ العمل الإخلاصُ، وثمرةُ الإخلاص اليقينُ، وثمرةُ اليقين الأحوالُ، وثمرةُ الأحوال التقدّمُ إلى مقام الرؤية في الأعمال: فيشهدون بواسطة الأعمال شواهد شاهد المعبود بالعمل. كما ورد في الخبر: «الإحسانُ أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكنْ تراه، فاعلمْ أنّهَ

(١) فهي: يعني الدنيا.

(٢) جوزوا، في الأصل: حوّروا.

(٣) أهواءهم، في الأصل: أهواهم.

يراكَ»[١]. فبوجود الذوق قد يجِدُ العاملُ في العمل إمّا الرؤيةَ، وإمّا علمَ الرؤية.

فالحرمانُ والخسرانُ للمُتَمَنّي البطّالِ عن العمل، وهو يرجو درجاتِ العاملين من غيرِ عملِ قلب، ولا عملِ بَدَن. وقد قال، عليه السلام: «الكيّسُ مَنْ دانَ نفسَه وعمل لما بعدَ الموت، والعاجزُ من أَتْبَعَ نفسَه هواها وتمنّى على الله»[٢]. قال الحسن البصريّ: «إنّ قوماً أَلْهَتْهُم أماني المغفرة، فخرجوا من الدنيا ولم يكنْ لهم طاعةٌ، يقول أحدهم: إنّي لَحَسَنُ الظَّنّ بالله؛ كَذَبَ، ولو أحسنَ الظنَّ بالله لأحسنَ العبادةَ له. ثمّ تلا قولَه عزّ وجلّ: ﴿وذٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (القرآن الكريم ٤١/ ٢٣).

فصل < ٣٠ >: في التلوين والتمكين

قال النبيّ، عليه السلام: «من استوى يوماه فهو مغبون». فصار العتبُ على الطالبين الصادقين، كي لا[٣] يستوي لهم يومان (٣٨ ب) في درجة واحدة، أو زيادتان بصفة واحدة. فمن استوى يوماه[٤] في الزيادة والنقصان فهو المغبون. وإنّما كون الصادق في يومَيْه[٥] أن تكون زيادتُه بالإضافة، في زيادة، ونقصانُه بالإضافة، في نقصان. فهو بهذا الوصف < يكون > سابقاً، وبعدم هذا الوصف يكون مغبوناً[٦] ومن[٧] يكون أمسُه في النقصان

(١) انظر المعجم المفهرس ١: ٤٦٧، تحت: حسن.

(٢) انظر المعجم المفهرس ٢: ١٦٣، تحت: دان.

(٣) كي لا، في الأصل: كيلا.

(٤) يوماه: أضيفت فوق السطر.

(٥) يوميه، في الأصل: يوماه.

(٦) مغبوناً: غير واضحة في الأصل.

(٧) ومن، في الأصل: وبأن.

خيراً[١] من يومه، يكون ملعوناً، أي: مطروداً. < فـ > ـالزيادة: نَقاصةُ يومه على أمسه، وقلّةُ نَقاصة أمسه على يومِه. وقد قال الجنيد، رحمة الله
٣ عليه: «المتعبّد يبقى سبعين سنة على فرد قدم، والسالكُ يتلوّن في كلّ يوم سبعين قدماً[٢]». فلا يجوز أن يستوي له قدمان لوجود سيره ودوام تنقّله من حال إلى حال.

٦ فإنّ الترقّي نوعان: نوع يترقّى من نقصان إلى زيادة، ونوع يترقّى من زيادة إلى زيادة. وكلاهما تلوين، بل بينهما تفاوت[٣]: هذا يتلوّن بالنقصان من الزيادة، وذلك يتلوّن بالزيادة من النقصان. فالأوّل أنقَصُ، فإنّه يتقدّم
٩ ويتأخّر، ويقع له عثرات[٤]، ثمّ يلاحظه الله بعين الرحمة والرأفة، ويحفظه بالزيادة من النقصان. وإن كان يقع فيه، فيعود إلى السير المجرّد عن النقائص. والآخر أعلى[٥]، لأنّه بالسير الدائم قد يرتفع، فيقع في ترقّي
١٢ الزيادات والمقامات، فيحصل له مشاهدات ومنازلات ومؤانسات.

ونهاية هذا الترقّي تمكين. فحصل < أنّ > مقام التلوين < بـ > ـنَوْعَيْه عبارةٌ عن مزيدٍ يتداخله فترةٌ وعثرة. ولهذا قال النبي، عليه السلام:
١٥ «إنّه لَيُغانُ على قلبي حتّى استغفر الله في كلّ يوم سبعين مرّة»[٦]. وهذا من ملاحظته لأحواله وأفعاله، إذ كان، عليه السلام، في مقام الترقّي والتَّعَلّي في درجات الزيادات، ومعه من الله تعالى حفظٌ وحراسة وقوّة

---

(١) خيراً، في الأصل: خير.

(٢) قدما، في الأصل: قدم.

(٣) تفاوت، في الأصل: تفاوة.

(٤) عثرات: في الأصل بدون نقط.

(٥) أعلى، في الأصل: أعلا.

(٦) قارن بصحيح مسلم، عبد الباقي، ٤: ٢٠٧٥، حديث رقم ٢٧٠٢ ومسند أحمد ٤: ٢١١ وبالمعجم المفهرس ٥: ٣٨ تحت: غانَ.

وكلايَة[١] ووقاية. كما وصف اللهُ، عزّ وجلّ، نبيَّه[٢]، عليه السلام: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (القرآن الكريم ٥٣/١٧) لأنّ من وجود رؤية الشيء يرى[٣] ضدّه، ومِنْ ذلك وجب عليه الاستغفار.

أمّا المستغرق في الزيادات < فـ > ـقد انكشف له أنّ كلّ ما تبيّن له، كما [و] رآه، هو علامته، فلا يقف له مع رؤية[٤] الزيادة نَظَر، ولا يؤثّر فيه من وجود ذلك أثَر، إلى أن تنتهي الزيادات، وينتهي النظرُ إلى رؤية (١٣٩ آ) النهايات. فهناك وَصَفَه < تعالى >: و ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (القرآن الكريم ٥٣/١٧)، أي: ما زاغ بصره < بـ > ـرؤية غيرنا، ولا أطغاه رؤيةُ إحساننا إليه عن رؤيتنا، فهناك حصل التمكين.

وأمّا التمكين فهو عبارة عن حصول قوّة الله، وتصرّف الله. والمتمكّن مَنْ لم يزاحمْه الخَلْقُ في نصيب الحقّ. فهو محلّ أمانات الخلق، بإحالات الحقّ، لا يشوّشه[٥] لا محبوب ولا مكروه، ولا مَخُوف ولا مألوف. لأنّ التمكين وصَفـ < ـه > اللَّهُ. قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (القرآن الكريم ٥٥/٢٩)، لا يُشْغلُه شأنٌ عن شأن. والمتمكّن عارف بالله، وعارف بمراد الله.

بخلاف التلوين؛ فإنّ التلوين مقام طريق إخراج العبد ممّا سوى[٦] الله، إلى الله. فالمتلوّن في طلب الله. وبالتلوين يتهذّب ويتطهّر حتّى يصلح لله. لأنّ المتلوّن يمازج لأحواله حظوظُ الطبع، وبذلك يفتر، وإذا

---

(١) كلاية: كلاءة، بمعنى حماية.

(٢) نبيّه، في الأصل: لنبيّه.

(٣) يرى، في الأصل: يرا.

(٤) رؤية، في الأصل: الرؤية.

(٥) يشوّشه، في الأصل: يسوشه.

(٦) سوى، في الأصل: سوا.

فتر[١] عَلمَ ما يضرّه وما ينفعه. فيكون التلوين عبارة عن معرفة طريق الله، وما في طريق الله.

والتمكين باب معرفة الله، بالخروج عمّا سوى الله، إلى الله. فليس فيه توقيف.

بخلاف مقام التلوين، فإنّ ذلك لمعرفة أسرار؛ فليس له جوازٌ من مقام إلاّ بعد استيفاء ما في ذلك المقام. وذلك لضعفه حتّى يتقوّى، ولنقصه حتّى يتكامل. فيحصل له علم كلّ ما سوى الله، في طريق الله. وإذا عَلِم عِلْمَ ما سوَى الله في مقام التلوين، لم يبقَ له إلاّ علم معرفة الله، وذلك في مقام التمكين[٢].

وغاية التمكين للعباد هو صفة الأنبياء، ثمّ الأولياء، وإنّما تَفاضُل تمكين الأنبياء بالعصمة، ونَقْصُ تمكين الأولياء بالحفظ. والعصمة أكمل من الحفظ. فهناك للمعصوم فيه قوّة < و > خطاب وكفاح، وللمحفوظ ــ بقدر تمكينه ــ فيه حَيْرة وذَهاب وإيضاح.

فللمريد < المبتدئ > في التلوين: الوقائع؛ وللمتوسّط في التلوين: العلم المفتوح[٣] من الواردات، بتفاوت المقامات؛ وللمنتهي في التلوين[٤]: مصادفة الأحوال والأهوال؛ وهو الظافر في جميع الأحوال. قال الجنيد: «ما هالني شيء إلاّ ركبْتُه».

وأهل التجريد والتفريد < هم > في قَطْع عَقَبات المعاملات، وحفظ القلب من دخول اللذّات، وصفاء الأوقات. لأنّ خوف المريد من لذّة

---

(١) فتر، في الأصل: افتر.

(٢) التمكين، في الأصل: التمكن.

(٣) وللمتوسط.. المفتوح، في الأصل: والمتوسط في تلوين العلم والمفتوح.

(٤) للمنتهي في التلوين، في الأصل: والمنتهي في تلوين.

اليقظة، كما < أنّ > خوف المتعبّد من كدورة الغفلة.

(٣٩ ب) فصل < ٣١ >: في الإخلاص

قال، عليه السلام: «الناس كلّهم هَلْكَى إلاّ العالمون، والعالمون كلّهم هلكى إلاّ العاملون، والعاملون كلّهم هلكى إلاّ المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم». فهلاك جميع الناس بالجهل وترك اتّباع العلم، وهلاكُ العالِم بمخالفة فعله لقوله، وعمله لعلمِه. فإنّ العلم يأمرُ الناس بالتقوى، والجهلُ يأمرهم بالرغبة في الدنيا. فإذا طمع العالِم في الدنيا فوق كفايته فهو من الهالكين. لأنّه ورد في الخبر أنّه: «من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى[1] الله قلبه»، وفي رواية: «قد أخذ حقّه وهو لا يشعر».

وهلاك العامل أن يداخِلَه في عمله[2] المشاركةُ لغير الله. كما قال، عليه السلام[3] مخبراً عن الله: «أنا أغنى[4] الشركاء عن الشرك؛ من عمل لي عملاً أشرك فيه معي غيري، وضَعْتُ نصيبي لشريكي، وأنا منه بريْ». وأمّا خطر المخلص صار عظيماً لأنّه قال، عليه السلام: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النمل»[5]، وقال، عليه السلام: «أنا أخْوَفُ ما أخاف عليكم الشركَ الأصغر»، قيل: «وما الشركُ الأصغر؟»، قال: «الرياء»[6].

فما دام المخلص في مقام طريق الإخلاص فالرياء مقابله. والخطر عليهم من خوف الرياء. وما دام المخلص في مقام تحقيق الإخلاص،

(١) أعمى، في الأصل: أعما.

(٢) عمله، في الأصل: عمل.

(٣) انظر المعجم المفهرس ٣: ١٠٨، تحت: أشرك.

(٤) أغنى، في الأصل: أغنا.

(٥) انظر المعجم المفهرس ٢: ١٠٧، تحت: دبيب، وانظر صوم القلب، فصل ١٣، ص ٣٧/١.

(٦) انظر مسند أحمد بن حنبل ٥: ٤٢٨.

فالتحقيق والتدقيق معه شديد. فهم في خطر عظيم إن حقّقوا ودقّقوا معهم في تصحيح الإخلاص لله، ومع الله. وأيضاً هم على خطر عظيم ما داموا في الدنيا. فإنّهم إن نظروا إلى إخلاصهم داخلَهم الرياء. وأيضاً هم على خطر عظيم لأنّهم بعدُ في الطريق. فالخطر عليهم إلى أن يصلوا إلى التحقيق من الإخلاص.

وعلى أهل حقيقة الإخلاص أشدُّ الخطر وأعظمُه، لأنّهم خواصُّ الله، فتُضْرَب أعمالُهم على محكّ حقيقة العبوديّة. فإنّهم يطالَبون < بـ > شرائط إخلاص السرّ لله، وإخلاص القلب لله. وأمّا إخلاص العمل لله، فإخلاصُهم التحفّظُ من الرياء. والخوف والخطر عليهم من جهة الرياء. وقد قالوا: الرياء قنطرة الإخلاص. وهذا لأهل المحاسبة والتبصرة والمعرفة. كذلك الإخلاص قنطرة الرياء لأهل الغفلة والغِرّة وترك المحاسبة. فمن أجل أنّ الرياء نوع من أنواع الشرك، و «الشرك أخفى من دبيب النمل» (٤٠ آ) فهم على خطر عظيم.

وعلامة المخلص أنـ < ـه > كلّما كثر < ت > أنوارُ إخلاصه[١] كثر < ت > معرفته للرياء، فيظنّ أنّه لا يكاد يتخلّص من الرياء. وهيهات أن يتخلّص المخلص على الحقيقة من الرياء. وهيهات أن يتخلّص الموحّد على الحقيقة من الشرك الخفيّ. وكيف يتخلّص وأهل القُرْب يُؤَاخَذون بوقوع الخَطَرات وأدنى الحركات؟ كما حُكي عن أبي يزيد < البسطاميّ > أنّه رُئِي[٢] بعد وفاته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: «بِم جِئْتَني؟» فقلت: بالتوحيد. فقال: «أونسيت ليلةَ اللَّبَن؟».

وكما ورد في الإسرائيليّات عن الله، عزّ وجلّ، أنّه أوحى إلى بعض

---

(١) إخلاصه، في الأصل: إخلاصهم.

(٢) رؤي، في الأصل: رأى.

أنبيائه، فقال: «إنّ برخ»، وقيل: «بورخ». وقيل: «برح لَنِعْمَ العبد، وهو لي، إلاّ أنّ فيه عيباً» قيل: وما هو؟ قال: «يعجبه نسيم الأشجار». فكان ركون القلب إلى نسيم الأشجار يقدح في أنس القلب بالربّ. كذلك من هذا[1] الوجه خطرُ المخلصين عظيم، لأنّ مكانهم عند الله كريم، وتخصيصهم من الله عظيم، فكذلك خطرهم عظيم.

فمخلصٌ من حيث الأعمال وتحفُّظه بنور المعاملة، ومخلصٌ من حيث السرائر والضمائر وتحفُّظه بنور الولاية، أو بنور النبوّة، وهذه عظيمة.

فصل < ٣٢ >: في علم حقّ المعرفة

قال رسول الله، ﷺ: «لو عرفتُم الله حقَّ معرفته، لعلمتم العلمَ الذي ليس معه جهل، وما بلغ ذلك أحد». قال: ولا أنت؟ قال: «ولا أنا». فقال: فقد بلغنا أنّ عيسى، عليه السلام، مشى على الماء. قال: «ولو زاد يقيناً لمشى في الهواء».[2]

وفي الخبر أسرارُ أعمال غريبة، وأنوارُ أحوال عجيبة. وقد ذكر «العلم الذي ليس وراءه جهل» وراء حقّ المعرفة. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (القرآن الكريم ٣/١٠٢). وقال أيضاً: ﴿وجَاهِدُوا في اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾ (القرآن الكريم ٢٢/٧٨). وحقّ التُّقَى، وحقّ المجاهدة، أمرٌ من الله، وتحريضٌ لهم على بَذْل المجهود، في طلب المقصود. وعلى هذا الوجه يُحْمَل قوله، عليه السلام: «لو عرفتم الله حقّ معرفته» < لـ > ـعرفتم حقَّ معرفة الله، التي هي صفة معرفة الله، عزّ وجلّ، لنفسه. فقال: «العلمتُم العلمَ الذي ليس معه جهل».

---

(١) هذا، في الأصل: هذه.

(٢) الهواء، في الأصل: الهوى. انظر الحديث في إحياء علوم الدين، ط بيروت، جزء ٤، ص ٩٧/ ١٤ ـ ٥، وهامش ٢ هناك.

والعلم الذي ليس معه جهل هو علم الله القديم. إذ ليس شيءٌ لله إلاّ وعِلْمُ الله محيط به. وجميع الخلائق. إنّما هم عالمين[١] (٤٠ ب) بشيء، جاهلين[٢] عن شيء. فكان علمهم مشوب بالجهل. كما قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (القرآن الكريم ١٢/ ٧٦). فكلّ واحد بالإضافة إلى غيره بتفاوت العلم، جاهل عندَ غيره. و «العلم الذي ليس معه جهل» هو صفة علم الله القديم، لأنّه تعالى يعلم الأشياء كما خلقها وقدّرها.

والعلماء يعلمون علم الأشياء بقدر ما بيّن لهم: إمّا بطريق الشريعة، أو بطريق الحقيقة، على قدر مراتبهم وإدراكهم. فلذلك: الجهلُ لا ينفكّ عن علمهم، لأنّ إدراكَهم محدود مُحْدَث، وبذلك يصير علمُهم محصوراً مقدّراً[٣].

وعلم الله بخلاف ذلك، لأنّه علم قديم لا نهاية له، ولا حصر، ولا حدّ، فلا جهل معه. لأنّه لا يزداد على علمه علماً. ولأجل هذا < جاء > نفْيُ رسول الله، ﷺ، < عنه > وعن غيره، بقوله: «وما بلغ ذلك أحد قطّ». قيل: ولا أنت؟، قال: «ولا أنا». وإنما نفى وجود ذلك العلم عليه من نفسه لأنّ إضافة[٤] علمه إلى علم الله تعالى غير منفكّ عن الجهل، وهو جهلٌ إضافة إلى علم الله.

وكذلك علوم سائر الخلق بالإضافة إلى علوم الأنبياء، عليهم السلام. وكما قال عيسى، عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (القرآن الكريم ٥/ ١١٦). ودون هذه الرُّتْبَة قد يطّلع[٥] الأنبياء على بعض

---

(١) عالمين: كذا.

(٢) جاهلين: كذا.

(٣) محصوراً مقدّراً، في الأصل: محصور مقدر.

(٤) إضافة في الأصل: بالإضافة.

(٥) يطّلع، في الأصل: يطّلعون.

مراد الله في الأشياء، لقوله: ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (القرآن الكريم ٧٢/ ٢٦ ـ ٢٧). فكذلك بعض من الأولياء، لقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ٧). ٣
والرسوخ هو الغوص في الذي يُكْشَف لهم من علم المراد في الأشياء، وذلك من العموم رُتْبَةُ مستحيل، بل ذلك ممّا يقتضي رتبة الولاية والنبوّة.

وذلك الذي كُشف لهم من[1] مراد الله هو أيضاً متفاوت. لأنّ حظّ ٦ الأنبياء من ذلك أوفر، وحظّ الأولياء أيسر. وكما قال رسول الله، ﷺ، لأصحابه: «لو عرفتُم الله حقَّ معرفته». كذلك قال عيسى، عليه السلام، لأصحابه: «لو صمتم حتّى تكونوا كالحنايا، أو صلّيتم حتّى تكونوا كالأوتاد ٩ لم ينفعكم ذلك، إلاّ تورّع شافٍ[2]».

وكان مراد منهم رؤية النقص في أعمالهم وبذل المجهود في تحصيل الورع الشافي. والوصول إلى مقام الورع الشافي ممكن. فقد قال ١٢ رسول الله، ﷺ: «لو توكّلتم على الله حقّ توكّله لرزقكم (٤١ آ) كما يرزق الطير: تغدو أخماصاً وتعود مبطاناً»[3].

وعلى المتوكّل واجب أن يبذل مجهوده في التوكّل إلى أن يصل إلى ١٥ حقّ التوكّل[4]، وأيضاً قوله، عليه السلام: «استحيوا من الله حقّ الحياء»، قالوا: يا رسول الله، إنّا نستحيي والحمد لله. قال: «ليس كذلك، ولكن من استحيى من الله حقّ الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى[5] والبطن وما وعى[6] ١٨

---

(١) من، في الأصل: عن.
(٢) شاف، في الأصل: شافي.
(٣) انظر المعجم المفهرس ٤: ٧٢، تحت: طير.
(٤) واجب... التوكّل: أضيف هذا النص بخطّ مقلوب فوق السطر.
(٥) حوى، في الأصل: حوا.
(٦) وعى، في الأصل: وعا.

وليذكر الموت والبِلاَ»[١]. ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن وصل ذلك فقد استحيى من الله حقّ الحياء. وكلّ هذا إذا بذل العبد[٢] مجهوده في طلبه، وتحصيله بحقّ الطلب، سيدركه بتوفيق الله، إلاّ حقّ المعرفة، فإنّه لو كان يحصل بالجهد لكان الرسول، ﷺ، بذلك أحقّ وأولى[٣]. ولكونها مستحيلاً، وحصولُها علقَه[٤]، عليه السلام، في حصول العلم الذي ليس معه جهل، وهو أيضاً من المستحيل. وتعليق المستحيل على المستحيل دليل على عدم حصوله. ولأنّه وصف قديم بموصوف قديم استحال أن يكون له ضدّ. والجهل ضدّ العلم.

فكما استحال أن يكون للموصوف ضدّ ـ بخلاف العلم المحدث ـ فإنّ ضدّ الموصوف به، غير منفكّ عنه. فكذلك ضدّ الوصف، موجود معيّن غير منفكّ عنه. وقد اجتمع هنا حقّ المعرفة، وحقّ التُّقَى، وحقّ الاجتهاد، وحقّ التوكّل، وحقّ الحياء.

وأمّا حقّ المعرفة فلا سبيل إليه، لقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (القرآن الكريم ٦/ ٩١؛ ٢٢/ ٧٤؛ ٣٩/ ٦٧)، معناه: أي ما عرفوا[٥] الله حقّ معرفته. وقد قال بعض الكبار: «ما عرفناك حقّ معرفتك، ما عبدناك حقّ عبادتك». قال بعض أهل الإرادة في مناجاة: «إلٰهي ما عبدتُك لأنّي ما عرفتُك؛ فعرّفني لأعْرِفَك على الحقيقة». فنودي في سرّه: «يا عبدُ، وهل على الحقيقة أُعْرَفُ؟» قال: «ولم يا ربّ؟» قال: «لأنّي في الخلق أظهرُ من الخلق في الخلق؛ أنا أوجدتُ الخلق بقدرتي، وتعرّفت إليهم بلطفي،

---

(١) قارن بـ المعجم المفهرس ١: ٢٢٠، تحت: بلو؛ والبلا، في الأصل: والبلى.

(٢) العبد: أُضيفت فوق السطر.

(٣) وأولى، في الأصل: وأولا.

(٤) علقه، في الأصل: علقها.

(٥) عرفوا، في الأصل: عرف.

واستأثرت عنهم بعظمتي؛ فأنا الخلقُ والخلقُ أنا». معناه: أنّ من اتّصف نظره[1] بنور الأحوال فإنّه إذا نظر إلى المقدور شاهد القدرة، وإذا نظر إلى القدرة شاهد القادر[2]. فإذا شاهد القادر لم يمكنه الرجوع لا إلى رؤية القدرة، ولا إلى رؤية المقدور. فهو في مشاهدة القادر لا يشاهد غيره (٤١ ب). كما قيل: «ليس في الدارَيْن إلاّ الله». وكما قيل: «ما نظرتُ إلى شيء إلاّ ورأيتُ الله فيه، وقبلَه، ومعه».

فحقّ المعرفة مخصوصة بمعرفة الذات، جلّ وعلا. ومعرفة الذات مقرونة بإحاطة العلم. وإنّما قُرنَت لأجل الاستحالة، أي: كما لا يُحاط علم ذاته، كذلك لا يُعرف حقّ ذاته. فحقّ المعرفة [التي] هي صفة ذاته حقّاً. فكما لا تصل الإحاطة إلى إحاطة علمه، كذلك لا تصل المعرفة إلى حقّ معرفته.

وإنّما جعل [من] الله [أبلغ] فيه ــ دون حقّ معرفته ــ للخلق معرفةً، < و > كذلك من العلم دون علمه القديم علماً. ومعرفة الخلق، صفة الخلق، ليست بصفة الله. وعلم الخلق، صفة الخلق، ليس صفة الله. فيجوز مع معرفة الخلق مخالطة النّكرة[3]، ومع علم الخلق مخالطة الجهل، بخلاف علم الحقّ الذي هو صفة الحقّ، جلّ وعلا.

وأمّا حقّ التُّقَى فمعناه[4] < . . . >. وقد ورد في شرح حقّ التّقى، قال[5]: أن يُطاع فلا يُعْصَى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكَر فلا يُكفر. فإذا

---

(١) نظره: أضيفت في الهامش.

(٢) راجع مقدور، قدرة، قادر في: بهجة ص ٦٩/ ٦ ــ ٢٠.

(٣) النكرة، هنا: ضدّ المعرفة.

(٤) فمعناه، في الأصل: جمعناه، ويبدو أنّ النصّ هنا ناقص، ولذا أضفنا النقط الثلاث هكذا: < . . . >.

(٥) قال، في الأصل: فقال.

كان حقُّ التقوى عجزَ عنه الخصوصُ، ولم يُطيقوا تحمّله[١] ــ وهو أمر من الله تعالى ــ حتّى نزل قولُه تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (القرآن الكريم ٦٤/١٦). فكيف يُطيق[٢] حمل حقّ المعرفة أحد، و < هو > ليس بأمر؟ وقد نفى حصولَ ذلك رسولُ الله، ﷺ، من نفسه وغيره. < ﴿فاتّقوا الله ما استطعتم﴾ > أي: خافوه حقّ المخافة؛ < أي >: أن لا يُخافَ غيرُ الله. ومخافة كلّ ما سوى الله < تعني >، كما ورد في الخبر: «من خاف الله خافَهُ كلُّ شيء، ومن خاف غيرَ الله خوَّفَـ < ـه > اللهُ من كلّ شيء».

وأمّا حقّ الاجتهاد، فهو أن يذوق من لذّة ثمرة مجاهدته، وجدانَ الأُنس مع الله بمشاهدته.

وأمّا حقّ التوكّل، فهو أن يغنى عن علمه وجودُ كلّ شيء سوى الله، حتّى أنْ ينسى وجودَه مع جملة الأسباب والمسبّبات، لأنّ استغراق الهمّة في عالم العُلى أذهله عن غير الله.

وأمّا حقّ الحياء فهو أن لا يغفل عن مراقبة الله طرفةَ عين، بل يرى معه رقيبَ الحقّ أينما كان، وحيثما كان. فلا يوافق نفسَه في نهيٍ، ولا يخالف ربَّه في أمر.

فصل < ٣٣: في النبوّة والولاية >

فإن قيل: ما الفرق بين النبوّة والولاية؟[٣] فيقال: النبوّة أوّل مقام عند العـزّة، والولايـة آخر مقام بعـد النبوّة، ويقال: (٤٢ آ) النبوّة غصن من

---

(١) تحمله، في الأصل: لتحمّله.

(٢) يطيق، في الأصل: يطلق.

(٣) قارن بسيرة الأولياء ص٤٦/٩ ــ ١٠، مع أن الجواب هناك يختلف تماماً.

شجرة العزّة، والولاية غصن من شجرة النبوّة[١]. والأصل فيه قوله، عليه السلام: «أوّل ما خلق الله نوري»[٢]، وقوله: «كنت نبيّاً وآدم بين الماءوالطين»[٣]. والنبيُّ، عليه السلام، أوّل المخلوقات، والنبوّة أوّل المقامات. وإنّما النبوّة كلام منفصل عن الوسائط، بل من الله كفاحاً، فلها التَّقَدُّمُ أوّلاً وآخِراً. والولاية إنّما هي كلام بواسطة من الله؛ وذلك من أجزاء النبوّة. كما قال عليه السلام: «الاقتصادُ والهَدْيُ الصالح والسمتُ الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوّة»[٤] فظهر أنّ النبوّة من أجزاء العزّة، والولاية من أجزاء النبوّة.

وقال الحكيم[٥]: «النبوّة كلام منفصل من الله وحياً، معه روح من الله، فيقضي الوحي ويختمه بالروح، فيلزم تصديقه. ومن ردّ < ه > فقد كفر، لأنّه ردّ كلامَ الله < تعالى >. والولايةُ حديثٌ من الله على لسان الحقّ معه

---

(١) انظر بهجة ص ٣١/ ١٤ ــ ١٥.

(٢) انظر هذا الحديث أيضاً في صوم القلب، فصل ١٣، ص ٣٣/ ١ ــ ٢، ولقد ورد في سنن الترمذي، قدر (ترقيم العالميّة) ٢٠٨١، على سبيل المثال لا الحصر: «أوّل ما خلق الله القلم».

(٣) انظر هذا الحديث أيضاً في صوم القلب، فصل ١٣، ص ٣٣/ ١ وفي الدرّة اليتيمة ٣٣/ ٦.

(٤) انظر هذا الحديث في كتاب سيرة الأولياء ص٤٧/ ٩ ــ ١٠ وختم الأولياء للترمذي ص ٣٤٧ وتخريجه هناك في هامش ٢٣٠، ثمّ قارن بما ورد في المعجم المفهرس ٢: ٥٣٤، تحت: سمت.

(٥) الحكيم: هو أبو عبد الله محمّد بن علي بن الحسن بن بشر، من أبناء القرن الثالث الهجري/ العاشر الميلادي. انظر: الحكيم الترمذي، لبيرند رادتكه ص ١٦ ــ ٣٨؛ ثمّ قارن النصّ التالي بما ورد في سيرة الأولياء ص٤٦/ ١١ ــ ٤٧/ ١ لـ «ثلاثة مصنّفات للحكيم الترمذي» تحقيق رادتكه، ص٩ ــ ١٠.

السكينة؛ تتلقّاه السكينة التي في قلب المحدَّث[١]، فيقبله ويسكن إليه. ومن ردّه لم يكفر، ولكنّه عَنِتَ ويصير وبالاً عليه.

٣ قيل: فما الفرق بين الحديث والكلام؟

قال: الحديث ما ظهر من علمه الذي[٢] برز في وقت المشيئة؛ والكلام هو الوحي.

٦ قيل: فما الفرق بين الرسول والنبيّ؟

قال: الرسول صاحب الشرع والمشرّع للأمّة، والنبيّ هو الذي يدعو إلى شرع الرسول، وليس له شرع.

٩ قيل: فما الفرق بين النبيّ المقيّد والمحدَّث؟

قال: أمّا النبيّ فإنّه إذا رُدَّ كلامُه ولم يُقْبَل منه فهو كُفْر. والمحدَّثُ بخلاف ذلك: فمن ردّ كلامَ المحدَّث لم يكفُرْ[٣]. لأنّ النبيّ مذكور في ١٢ التنزيل كالرسول، والمحدَّث كان مذكوراً ثمّ رُفع تلاوته وذِكْره، فصار غير مذكور في القرآن. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ (القرآن الكريم ٢٢/ ٥٢)، فكان ابن عبّاس[٤]، رضي الله عنه، يقرأ:

---

(١) المحدّث، في الأصل: المجذوب، وهو تحريف أخذه عمّار عن نسخةٍ لسيرة الأولياء.

(٢) الذي، في الأصل: اللدني، وهو تصحيف.

(٣) قارن هذه الجملة بسيرة الأولياء ص ٤٧/١.

(٤) هوعبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب، ابن عمّ الرسول، ﷺ، من أشهر المحدّثين. جمع له عليّ بن أبي طَلْحة (ت ١٤٣ هـ/ ٧٦٠ م) صحيفةً في تفسير القرآن الكريم، حقّقها راشد عبد المنعم الرجال، ونشرت في القاهرة ١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م. تُوُفّي ابن عبّاس في الطائف سنة ٦٨ هـ/٦٨٧ ـ ٦٨٨م، الإصابة ٢: ٣٣٠؛ تذكرة الحفّاظ ١: ٤٠ ـ ٤١؛ وانظر معجم طبقات الحفّاظ والمفسّرين ١١٧ والمصادر المذكورة هناك.

«وَلاَ مُحَدَّث»، ويُخْبَر أنّ ذلك ممّا كان يُتْلَى ثمّ تُركَ[١]، فلأجل ما تُرك ذكره لم يُكَفَّر من ردّه. وإنّما الحديث تأييد من الله لأهله. وإنّما يُعْرف أنّ ذلك من الله لأنّ معه السكينة[٢]. ولوجود السكينة لم يكن للنَّفْس ولا للعدوّ طريقاً إلى إفساد ذلك بإلقاء (٤٢ ب) كلامهم. بل كلّما قصدوا أن يُلقوا إلى الحديث شيئاً من تمويههم فالسَّكينة تحرق ذلك وتردّه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[٣] (القرآن الكريم ٧/ ٢٠١). وذلك التذكّر والتَّبَصُّر من السكينة.

•

عن أبي سَلَمَة[٤] قال: قال رسول الله، ﷺ: «قد كان في الأمم قوم يتكلّمون من غير أن يكونوا أنبياء[٥]، فإنْ يكُ في أمّتي فعمر بن الخطّاب. وقوله: «يتكلّمون»، أي عن الله[٦]. عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله، ﷺ: «قد كان في الأمم محدّثون، فإن يكن في أمتي فعمر بن الخطّاب»[٧].

---

(١) انظر سيرة الأولياء ص ٥٠/ ٢ ـ ٤ ختم الأولياء ٣٥١، ثمّ قارن ببهجة الطائفة، فصل ١٧، ص ٧٦/ ١٥.

(٢) قارن بسيرة الأولياء ص٥٣/ ١٢ ـ ١٤ وبختم الأولياء ٣٥٦ وعوارف المعارف ٤٦٢.

(٣) طائف، ورد في الأصل: طيف.

(٤) أبو سلمة: هوعبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، تابعي محدّث، تُوفّيَ في المدينة سنة ٩٤/ ٧١٣. انظر ابن القيسراني، الجمع بين رجال الصحيحين ١ : ٢٥٤، وابن سعد، طبقات ٥ : ١١٥، وختم الأولياء ٣٥٧ هامش ٢٤٩.

(٥) أنبياء، في الأصل: بأنبياء.

(٦) انظر الحديث في سيرة الأولياء ص ٥٤/ ٢ ـ ٥ وَختم الأولياء ٣٥٦ وتخريجه في هامش ٢٤٦ هناك.

(٧) انظر الحديث في سيرة الأولياء ص ٥٤/ ٧ ـ ٨ وَختم الأولياء ٣٥٧، وقارن بما جاء هنا، بهجة، فصل ١٧، ص ٧٦/ ١٥ ـ ١٦.

قال الحكيم: فالمحدَّث له الحديث والفراسة والإلهام والصِّدِّيقيّة[1].

والفرق بين الحديث والفراسة: فالحديث خبر من الله يسمعـ < ـه > القلب من الربّ بواسطة وبلا واسطة. والفراسة نظر من الله وخبر عن الله. وقد قال، عليه السلام: «اتّقوا فراسة المؤمن، فإنّه ينظر بنور الله»[2].

فالمحدَّث يجب أن يكون أعلى[3] لأنّه ينطق بالله، والمتفرّس ينظر بنور الله. كما روي عن رسول الله، ﷺ، أنّه قال: «إنّ الله ضرب الحقّ على لسان عليّ[4] وقلبه». وعنه، عليه السلام، أنّه قال: «إنّ الله ضرب الحقّ على لسان عمر وقلبه»[5]، وما حذّث[6] عمر شيئاً إلاّ نزل. وعن رسول الله، ﷺ، أنّه قال: «ما لقي الشيطان عمر[7] إلاّ فرّ[8] لوجهه». وكلّ هذا من أجل أنّ معه من سلطان الحديث[9]. والسَّكينة تحفظ الحديث. فإذا كان المحدَّث في حراسة الله، عزّ وجلّ، فهو من جملة الداخلين في مقام الأمناء.

فصل < ٣٤: في الأمناء >

الأمناء بعضٌ من العماء بالله، تولّاهم واصطفاهم وعلّمهم من لدنه

---

(١) انظر سيرة الأولياء ص ٥٤/ ٦.

(٢) انظر الحديث في سيرة الأولياء ص٥٣/ ١٥ ــ ١٦ وختم الأولياء ٣٥٦ وتخريجه في هامش ٢٤٦ هناك.

(٣) أعلى، في الأصل: أعلا.

(٤) انظر سيرة الأولياء ص ٥٤/ ١٢ وختم الأولياء ٣٥٨ حيث ورد في هامش ي ٣: على، أمّا في النصّ هناك فإنه يورد «عُمَر» فقط.

(٥) انظر الحديث في سيرة الأولياء ص ٥٥/ ٣ وختم الأولياء ٣٥٨.

(٦) حدّث: حذّر، سيرة الأولياء ص ٥٥/ ٥ وختم الأولياء ٣٥٨.

(٧) عمر، في الأصل: لعمر.

(٨) فرّ، في الأصل: خر.

(٩) قارن بسيرة الأولياء ص ٥٥/ ٥ ــ ٦.

علماً[١]، وأنالهم من الحظوظ الربّانيّة حتّى صاروا عالمين بالمقادير[٢]، عارفين بالمراتب، تمكّنوا في مقام قلب الأعيان[٣]، وأُطْلِق لهم التصرّف في الأكوان. فالقضاءُ مساعدهم في قوله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ (القرآن الكريم ٢/١١٧؛ ٣/٤٧، ٥٩؛ ٦/٧٣؛ ١٦/٤٠؛ ١٩/٣٥؛ ٣٦/٨٢؛ ٤٠/٦٨).
لأنّ الله تعالى لا يُجري عليهم من التصرّف إلاّ وقد قدّر قضاء ذلك. فقضاءُ الله مساعدٌ لنطقهم، لأنّ الله تعالى يُنطقُهم. وقبل أن يُنطِقَهم (٤٣ آ) قدّر لهم الإجابة، وذلك لبلوغهم محلَّ الأُمناء. وهم في الأولياء بمنزلة الرسل في الأنبياء. وهم من أهل الإشراف المأذون لهم في الإخبار عن أسرار الحقّ لعلمه بأمانتهم[٤]، ولوصولهم إلى مقام معرفة أقدار الخلق وبواطنهم. فيكلّمون الناس على قدر عقولهم، وعلى قدر مراتبهم. فهم من هذه[٥] الوجوه علماء حكماء حلماء عرفاء، كادوا من القرب أن يكونوا أنبياء[٦].

فلمّا تمكّنوا في هذا المقام أذن لهم في كشف الأسرار. فعبّر[٧] المشايخ عنهم أنّهم من أهل الحديث، إذ لهم الفراسة والإلهام والحديث والصّدّيقيّة. فكانوا بذلك من المحدَّثين المكلّمين من جهة الحقّ، لأنّهم

---

(١) وعلّمهم من لدنه علماً: هي إشارة إلى القرآن الكريم ١٨/٦٥ ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾.
(٢) المقادير: الموازين، فتوحات، نسخة بولاق، ٢:٨٣.
(٣) الأعيان: مظاهر خاصّة للأشياء، فتوحات، نسخة بولاق، ٢:١٢٤/٢٣ قارن ببهجة ص ١٤٠/٣ ــ ٤ و١٤١/٥ ــ ٦.
(٤) بأمانتهم، في الأصل: بأماناتهم.
(٥) هذه، في الأصل: هذا.
(٦) قارن بما ورد هنا، بهجة ص ١٠٣/١٦ ــ ١٧.
(٧) فعبّر، في الأصل: فعبّروا.

عرفوا الله بالله، وعرفوا ما رسولُ الله بِعِلْم[١] الله، فيُعَبِّرون[٢] الأسرار إلى أهلها[٣] إما بإشارة، أو بعبارة، أو بهمٍّ[٤]، أو سرّاً بسر، أو بأمثلة وبيّنة وشهادة، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ (القرآن ١١/١٧).

فأهل البيّنة والشّهادة هم من جملة العلماء بالله، وقيل: هم من علماء النسبة، وهم الذين تفرّدوا عن الكلّ بالفرد، وتجرّدوا عن الأكوان، وتوحّدوا بالأحد الصمد، < و > عرفوا أسامي[٥] الله وحقائق صفاته، وعاينوا الغيوب، وسَلِموا من أشغال الخلق والكون، ورجعوا إلى حقائق الحقّ فتحققّوا فيه، فانقطعت أسبابُهم من الخلق جميعاً، وانتسبوا إلى الحقّ، وصحّحوا معه النسبة بالكليّة في مقام حقيقة العبوديّة. فهم سادة الأمة. فالإخبار للغير عن أحوالهم صعب، وإخبارهم عن أنفسهم على حدود الإشكال، صحّ لهم مقامُهم بتصحيح نسبتهم مع الحقّ، وأشكلَ على الخلق أحوالُهم وأعمالُهم. فهم حجّة الله في البلاد، وإليهم مَفْزع العباد. عَلَتْ مراتبُهم المراتبَ، لأنّهم حطّوا أرجلَهم في الحضرة، فلا يرجعون منها إلى الرسوم والعادات إلاّ لإقامة فرضٍ أو ليتأدّب بهم مُريد.

ومن أكمل أحوالهم ما قال في وصفهم أبو عثمان سعيد بن سلاّم المغربيّ[٦] < حيث > يقول: إذا تحقّق العبد في الولاية، (٤٣ ب) وجاوز

---

(١) بعلم، في الأصل: ـعلم.

(٢) فيعبّرون، في الأصل بدون نقط.

(٣) أهلها، في الأصل: أهله.

(٤) بهم: هنا بمعنى: بهمّة.

(٥) أسامي: كذا في الأصل.

(٦) سعيد بن سلاّم المغربيّ: تُوُفِّيَ سنة ٣٧٣ هـ/٩٨٣ م، انظر طبقات الصوفيّة للسُّلَمي، تحقيق شريبة، ص ٣١٢؛ ٣٧٨؛ ٣٨٦؛ ٣٨٩؛ ٤٣١؛ ٤٧٩ ــ ٤٨٣.

حدودَ حقائق الإيمان، يبلغُ إلى مرتبة، في حالة أنّه يمرّ بمجالس المطيعين، فيراهم على الطاعات، فيفرح قلبه بهم، فيدخلون[١] بسروره وبركة نظره في حدود الأولياء، ومحلّ السعداء، من غير أن يدعو[٢] لهم ويسَلْ لهم، لكن ٣
ببركة نظره، وكذلك إذا مرّ بمجالس العصاة، فيراهم على معصية من المعاصي، فيقع بصرُه عليهم، فيستوحش منهم، فتوقعُهم وحشةٌ منهم في الطرد والهوان، ويدخلون[٣] بذلك في محلّ الأشقياء من غير أن يدعوَ ٦
عليهم.

فصل < ٣٥ >: في حال خاتم الأولياء

قال الحكيم[٤] < الترمذي > : إنّ الله تعالى، لمّا قبض نبيَّه محمّداً، ﷺ، ٩
جعل في أمّته أربعين صدّيقاً[٥]، بهم قوامُ الدنيا. لأنّ الله جعل الأولياء والعلماء، للناس من بعد الأنبياء خلفاء[٦]. كما قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ (القرآن الكريم ٧/ ١٢٩) لتكونوا للخلق غياثاً، ١٢
فبهم تُسْقَوْن وبهم تُرزَقون. وهم غياث الخَلْق، كلّما مات منهم رجلٌ خَلَفَه آخر، حتّى إذا انقرضَ[٧] عددُهم ابتعثَ اللّهُ وليّاً اصْطفاه واجْتباه وقرّبه

---

(١) فيدخلون، في الأصل: فيدخلوا.

(٢) يدعو، في الأصل: يدعوا.

(٣) ويدخلون، في الأصل: ويدخلوا.

(٤) قارن ما يلي بما ورد في سيرة الأولياء ص ٤٤/ ١٣.

(٥) أربعين صدّيقاً: إشارة إلى الحديث: «لا يزال في أُمّتي أربعون صدّيقاً، كلّما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه آخر...»؛ انظر ختم الأولياء ٤٣٤، وقارن أيضاً بطبقات السُّلَميّ، تحقيق شريبة، ص ٢/٩ ــ ١٠، بنصّ مختلف.

(٦) وقال، ﷺ: «العلماء وَرَثَةُ الأنبياء»، غزّالي، إحياء، نسخة القاهرة ١٣٤٨ هـ، ١: ٢٥/٥.

(٧) انقرض، في الأصل: انقرضوا.

وأدناه[١]. فهو على منهاج رسول الله، ﷺ، حفظَه وحماه عن كيد النَّفْس والعدوّ. وفي أحد الحظوظ في مقام الولاية، فنيت حظوظُه وبقيت حقوقه، وصفت بشريّته، وأسلم شيطانُه وطبعُه. فإذا < هو > أبرزُ[٢] الأولياء، فهو سيّدهم، ساد الأولياء كما ساد محمّد ﷺ، [ساد] الأنبياء، فنُصبَ له مقامُ شفاعة، فيُثني على ربّه بمحامد، < و > يقرُّ الأولياءُ بفضله عليهم في العلم بالله. فلم يزل هذا الوليّ مذكوراً في البدء، وأوّلاً في الذكر، وأوّلاً في العلم، ثم الأوّل في المشيئة، ثمّ الأوّل في المقادير، ثمّ الأوّل في اللوح، ثمّ الأوّل في الميثاق، ثمّ الأول في الحشر، ثمّ الأوّل في الخطاب، ثمّ الأوّل في الوفادة، ثمّ الأوّل في الشفاعة، ثمّ الأوّل في الجوار، ثمّ الأوّل في دخول الدار، ثمّ الأوّل في الزيادة. (٤٤ آ) فهو في كلّ مكان أوّل الأولياء، كما كان محمّد أوّلَ الأنبياء. فهو من محمّد، ﷺ، عند الأذن، والأولياء عند القفا[٣].

فهذا عبد مقامه بين يديه في مُلْك الملك، ونجواه هناك في المجلس الأعظم. وهو في قبضته والأولياء من خلفه، دونه: درجة درجة. ومنازل الأنبياء مثال بين عينيه. فهؤلاء[٤] الأربعون في كلّ وقت، هم أهل بيته، ولست أعني في النَّسَب، وإنّما هم[٥] أهل السبب[٦]. وهم أهل بيت الذكر. فهم من هذا الوجه: له وأهل بيته[٧].

---

(١) قارن بسيرة الأولياء ص ٤٤/ ١٤ ــ ١٥.

(٢) أبرز: برز، قارن بسيرة الأولياء ص ٤٥/ ٣ وبختم الأولياء ٣٤٤، ثمّ قارن باقي النصّ حتى ص ١٣٧/ ٨ هنا بما ورد في سيرة الأولياء ص ٤٥/ ٣ ــ ٤٦/ ٦.

(٣) القفا، في الأصل: اللقاء.

(٤) هؤلاء، في الأصل: فهم، والتصحيح عن سيرة الأولياء ص ٤٥/ ١٧.

(٥) هم، في الأصل: هو.

(٦) هم أهل السبب: لم ترد في ختم الأولياء.

(٧) فهم من. . . بيته: لم ترد هذه الجملة في سيرة الأولياء.

وبعث، ﷺ، لإقامة ذكر الله وليبوّئ له[١] مستقَراً، وهو الذكر الصافي الخالص. فكلّ من أوى إلى ذلك المثوى فهو آلُهُ وأهله. ألا ترى إلى قول رسول الله، ﷺ: «أهل بيتي أمان لأمّتي. فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمّتي ما يوعَدون»[٢].

وإنّما صار هؤلاء الأربعون أماناً للأمّة، لأنّ بهم تقوم الأرض، وبهم يسقون[٣]، فإذا ماتوا أتاهم ما يوعدون. ولو كان يعني به أهل بيت النَّسَب لكان يستحيل أن لا يبقى منهم أحد فيموتوا عن آخرهم، وقد كثّر[٤] اللَّهُ عددَهم حتّى لا يُحْصى.

فهذه[٥] صفة حال خاتم الأولياء. فبعد < ه > لا وليَّ في الأرض، لأنّ مدة حياته مدّةُ بقاء الأرض. كما قال رسول الله، ﷺ: «لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول: لا إله إلاّ الله»[٦].

فصل < ٣٦ >: في صفة أحوال القلب مع الربّ

فأمّا صفة القلب في مقام المشاهدة، فبمثابة عرش التَّجلّي. لأنّ التجلّي لأهل الولاية من حيثُ القلوبُ، ولأهل النبوّة من حيثُ الأبصار،

---

(١) له: أي للذكر.

(٢) انظر ختم الأولياء ٣٤٦ هامش ٢٢٩؛ أما في المعجم المفهرس ٧: ٢٥٦ تحت: وعد، فقد جاء: «فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد... فإذا ذهبت أتى أصحابين ما يوعدون... فإذا ذهب أصحابي أتى أمّتي ما يوعدون».

(٣) يسقون: يستسقون، سيرة الأولياء ص٤٦/ ٤ وختم الأولياء ٣٤٦ س ٤.

(٤) كثّر، في الأصل: لثر.

(٥) فهذه، في الأصل: فهذا.

(٦) قارن الحديث بما ورد في المعجم المفهرس ٥: ٤٨٥: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله»، وقارن أيضاً بمسند أحمد، باقي مسند المكثرين (ترقيم العالمية) ١٣٣٣١ «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله».

وفي مقام المُحَدَّثِيَة، فبمثابة اللَّوْح المحفوظ. لأنّ حديث الله في القلب، ومع القلب. والدليلِ على كونها عرش التجلّي قوله: «رأى قلبي ربّي».
٣ والدليل على كونه اللوح[١] المحفوظ قوله: «حدّثني قلبي عن ربّي». وإنّما كانت كذلك (٤٤ ب) لاختصاصه[٢] بقُرْب[٣] الله في المجلس الأعظم[٤]، وهو مجلس الجلال والجمال.

٦ فالهيبة والعظمة حجابان في الجلال. ولولاهما لم يحصل لأحد من الله لا حال ولا مقال. والأنس واللُّطف حجابان للجمال. ولولاهما انقطع السيرُ، وارتفعَ حصولُ الخير.

٩ فالجلال في مقام المحاضرة، والجمال في مقام المجالسة. ولولا الحُجُب لأحرقت سُبُحاتُ[٥] وجهه كلَّ شيء أدركه البصر. وإنّما سُبُحات الوجه يُعَبِّرُ عنها بشواهد الشهود من المشاهدة.

١٢ فقوم في شهود الشواهد، وقوم في شهود الشاهد، وقوم في شهود المشاهدة. وذلك لاختلاف القلب في الرِّقَّة والصفاء والصلابة. فمن شدّة الرقّة، له اسْتَرَقَّ الغيبُ من وراء ستر رقيق. وَمن كمال صفائه، عن الله
١٥ إخبارُه. ومن قوّته وصلابته، الاستقامة مع الله في مراده[٦] ومشيئته[٧]. فإذا كَمُلَتْ فيه[٨] الصفات، فهو بيت الربّ عزّ وجلّ، كما قال موسى، عليه

---

(١) اللوح، في الأصل: لوح.
(٢) لاختصاصه، في الأصل: لاختصانه صه.
(٣) بقرب، في الأصل: بقُراب.
(٤) الأعظم: الأعلى، سيرة الأولياء ص ٢٩/٩ ــ ١٠ وختم الأولياء ٣٢٧.
(٥) سبحات، يعني: أنوار.
(٦) مراده، في الأصل: مرادته.
(٧) مشيئته، في الأصل: مشياته.
(٨) فيه، في الأصل: في.

السلام: «يا ربّ أين أبغيك؟» قال: «يا موسى، وأيّ بيت يسعني؟ وأيّ مكان يحملني[١]؟ فإن أردتَ أن تعلم أين أنا، فإنّي في قلب التارك الوادع[٢] العفيف»[٣]. معناه: تَرَكَ ووَدَّعَ فعَفَّ.

فصل < ٣٧ >: في ترقّي القلب

ثمّ إنّ للقلب بعد الترقّي في المقامات ترقٍّ في الأحوال، وهو الترقّي في مشاهدات حقائق الأسماء والصفات في أوان الدخول في الولايات. فعندما كَمُلَتْ، واستقامَ، نُقِلَ القلب في مقام القرب إلى مُلْكِ الجبروت، ثمّ نُقلَ إلى مُلْك الجلال، ثمّ نقل إلى مُلْك الجمال، ثمّ نُقِل إلى مُلْك العَظَمَة، ثمّ إلى مُلْكِ الكبرياء، ثمّ إلى مُلْك البهجة، ثمّ إلى مُلْك الهيبة، ثمّ إلى مُلْك الرحمة، ثمّ إلى مُلْك الفرديّة، ثمّ إلى مُلْك المُلْك.

فبالجلال يقبضُه، وبالجمال يبسطه، وبالعظمة يُفنيه، وبالبهاء يُبقيه ويُحييه ويَحْميه، ثمّ بالبهجة يقدّمُه، وبالهَيْبة يُعيده، ثمّ بالرحمة يؤنسه، وبالفرديّة لأجله يُوَحِّدُه ويُجَرِّدُه، وبالملكيّة يكفيه ويُغنيه[٤]. كما قال الله

---

(١) يحملني، كذا أيضاً في سيرة الأولياء ص ٣٤/٩، ولكن: يحويني، ختم الأولياء ٣٣٢/١٠ ـ ١٢.

(٢) الوادع كذا أيضاً في سيرة الأولياء ص٣٤/ ١٠، ولكن: الورع، ختم الأولياء ٣٣٢/ ١١.

(٣) انظر الحديث في ختم الأولياء ٣٣٢ وهامش ١٩٩ هناك؛ وفي المعجم المفهرس ١: ٥٣، تحت: أرض: «أي أرض تُقلّني وأيّ سماء تُظلّني». هذه الجملة التي وردت في سنن ابن ماجة، عبد الباقي، زكاة ١٨٠١، ليست ضمن حديث قدسي، وليس لها أي علاقة بالموضوع الذي يسوقه هنا البدليسي. وقارن أيضاً بصوم القلب ص ١٤/ ٣ـ ٥.

(٤) «فعندما كملت... ويعنيه»، قارن هذا النصّ بسيرة الأولياء ص٣٥/ ١٢ ـ ٣٦/ ٦.

تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (القرآن الكريم ٣٩/ ٣٦).

(٤٥ آ) ففائدةُ قَبْضِه من مُلْك الجلال الاتّصافُ بالقهر، فإذا اتّصف في شيء من المذامّ، قَلَبَهُ من صفةٍ إلى صفة، بسرّ القَهْر. فهو في مقام قلب الأعيان.

وفائدةُ بسطه من مُلْك الجمال، أن يخضع له كلّ شيء، وكلّ حيّ. فمن شاهدَ لَـ < ـهو >[١] ذو القلب المبسوط. فإن كان من أهل السعادة أحبّه، وإذا أحبّه، أحبّه الله. وإن كان من أهل الشقاوة أبغضه، وإذا أبغضَه، أبغضه الله. كما ورد في الخبر: «رِضَى الله في رضاء سَلْمان، وسخْطُه في سخطه». فمن أحبّه صار من المُحبين، ومن أبغَضه صارَ من المطرودين، لأنّه أبغض محبوبَ الله.

وفائدةُ فنائه من مُلْك العظمة، تعظيمُ قدر قوّته عند كلّ عظيم وجبّار. لأنّ على القلب سُلْطانُ رقيب العظمة.

وفائدةُ حياته من ملك البهاء، تأثيرُ نظرِه وهمّته وكلامه في كلّ شيء، وفي كلّ حيّ. لأنّ صفةَ الحياة جاذبٌ[٢] للمَحامد ودافعٌ[٣] للمذامّ من كلّ من وقع نظرُ ذي[٤] القلبِ عليه.

وفائدةُ صدّه[٥] من ملك الهَيْبة، تفريقُ المراد على من شاء.

وفائدة أُنْسه مِنْ مُلْك الرحمة، حُسْنُ النظر إلى المُحسن والمُسيء.

---

(١) لَـ < هو >، بمعنى: فإنّه.

(٢) جاذب، في الأصل: حادثاً.

(٣) دافع، في الأصل: دافعاً.

(٤) ذي، في الأصل: ذو.

(٥) صدّه، في الأصل: ضدّه.

وحسنُ السيرة مع الضدّ كحسن السيرة مع الجنس.

وفائدةُ تفريده وتجريده من ملك الفرديّة، شدّةُ الاستغناء بالله، وشدّة الافتقار إليه. فيكون به غنيّاً وإليه فقيراً.

وفائدةُ تصرّفه من مُلْكٍ إلى المُلْك، أن يقوم ـ من عند ذي[١] القلب ـ الفقيرُ غنيّاً والغنيّ فقيراً. وهذا من أعلى[٢] وأرفع قاعدة في مقام قَلْبِ الأعيان[٣]، وهو صحّة التولية في مقام العرفان.

فصل < ٣٨: في مُنْتَهَى القلوب >

قيل: فهل للقلوب منتهىً؟[٤]

قال: قد قال الله تعالى إخباراً من الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (القرآن الكريم ٣٧/ ١٦٤)، أي عند الله. وكذلك كلّ من له عند الله حظوة، فإنّ الله يعرّفُه نهاية مقامه وحاله، وكذلك ما للقلوب، من علاّم الغيوب. فمنتهاه إلى ما يُعَلِّمُه سبحانَه؛ وما يُعَلِّمُه هو سبحانه < فـ > ـمن تفضُّله < تعالى > وإحسانه وما ادّخر في خزائنه للقلوب. فلا منتهىً[٥] (٤٥ ب) لأنعم الله، كما لا منتهى لعلمه. إذ إنّ ما[٦] عند الله غيبٌ، فإذا أظْهَرَ من ذلك للقلوب شيئاً[٧] فلا يَعْلَمُ ما مُنْتَهى ذلك إلاّ هو.

فكلّ قلب تحقّق مع الله، فله من حقائق أسمائه إدراك. لأنّ كلّ اسم،

---

(١) ذي، في الأصل: ذو.

(٢) أعلى، في الأصل: أعلا.

(٣) الأعيان: مظاهر خاصّة للأشياء، فتوحات ٢: ١٢٤/ ٢٣، وانظر بهجة ص ١٣٣/ ٢.

(٤) انظر سيرة الأولياء ص ٣٧/ ١٠.

(٥) منتهى، في الأصل: منتها؛ قارن بختم الأولياء ٣٣٣ ــ ٣٣٦.

(٦) إذ إنّ ما، في الأصل: إذ ممّا.

(٧) شيئاً، في الأصل: شيء.

له مُلْك[1]، وكلّ مُلْك[2]، له سلطان، ولكلّ قلب على قَدْره من[3] الأسماء مدخلٌ ومخرج ومورد ومصدر وتصرّف[4].

٣ ومقدار مقادير أسماء الله لا منتهىً له. فمن حيثُ القلبُ وصفتُه ونعمتُه فله منتهىً، ومن حيث الحقّ، وارتباطُه بالحقّ، وما له من الحقّ، فمنتهاه إلى ما يعلمه هو سبحانه. وما يعلمُه سبحانه لا منتهى[5] له.

٦ وآخر الأسماء الوقوف مع آخر الأمر، والدخول في مُلْك المُلْك، في مقام الفردانيّة والصمدانيّة. وبعد ذلك حصول حال ليس فيه كلام، ولا منه إعلام: خُتِم على الكلام بخاتم الاسم الأخصّ. فهناك مصير القلوب إلى ٩ مُلْك الحياة.

وسرُّ الحياة في تصرّف اسمه الحيّ[6]، فمن أُعطِيَ تصرُّفَ سرّ اسمـ < ـه > الحيّ صار حيّاً بالنفس والهمّة. وحقيقة الحياة أن يعيد الميّتَ إلى ١٢ الحياة[7]. فحقيقة الحياة لله، عزّ وجلّ. ولهذا صفتُه، عزّ وجلّ، أن يُحْيي ويُميت[8]، ولمن أدخله الله في مقام نبوّته وولايته وحقّقهم في تصرُّف إظهار

---

(١) قارن بختم الأولياء ٣٣٤/ـ ٦ وما يلي ذلك.
(٢) وكلّ ملك، في الأصل: ولكلّ ملك؛ ولقد أضيفتا في الحاشية.
(٣) من: مكرّرة في الأصل.
(٤) «لأن... سلطان»، انظر سيرة الأولياء ٣٧/ ٢، «ولكلّ... وتصرّف»، قارن بسيرة الأولياء ٣٧/ ١٣ ـ ١٤.
(٥) منتهى، في الأصل: منتها.
(٦) في تصرّف اسمه الحيّ، في الأصل: في تصرّفه اسمه للحي.
(٧) الحياة، في الأصل: الحيات.
(٨) يحيي ويميت: انظر على سبيل المثال القرآن الكريم ٢/ ٢٥٨؛ ٣/ ١٥٦؛ ٧/ ١٥٧ وغيرها.

اسمه الحيّ. فمِنْ نبيّ يُحْيي بإذن الله مطلقاً، ومِن وليّ يُحيي بإذن الله بقدر تصرّفه.

قال بعضُهم: بَلَغْنا في هذا الأمر إلى مقام، كُنّا إذا أردْنا أن نعرفَ من أمور الموتى شيئاً يُسَلِّطُ < أحدُنا > الهمّة على تلك الأرواح فيُحْضِرهم قهراً ويُنْطقهم[١] قهراً. وهذه حياة[٢] الهمّة.

وأمّا حياة[٣] النَّفْس فهي[٤] من ممازجة روح الواردات، إلى أن يصل إلى النَّفحات، فحينئذ يكون مؤثّراً، كالروح إذا دخل الجسد. كذلك كلامُ قلبه يقع في القلوب. لأنّ القلب إذا صار متصرفاً زَرع[٥] في القلوب[٦] القابلة الصافية بذر مقصوده ومطلوبه.

فربَّ صاحب نَفْس: ولا تأثير لكلامه؛ فهو من شقاوة السامع وقساوة قلبه. كما قال الله تعالىّ: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (القرآن الكريم ٣٥/ ٢٢)، أي في قبور الغَفْلة؛ هم موتى عن الهِداية.

وذو النَّفْس (٤٦ آ) الحيّة[٧]، والهمّة المتصرّفة، إنّما علامتُه أن يُسمِعَك وهو صامتٌ، ويداويَك بسكوته، كما يداويك بكلامه. فإنّ من لم ينفعْك لحظُه، لم ينفَعْك لفظُه. ومن داوى[٨] بلَحْظِه فهو من الأحياء بالله،

---

(١) ويحضرهم. . . وينطقهم: كذا، والأصحّ: يحضّرها. . . وينطقها.

(٢) وهذه حياة، في الأصل: وهذا حيات.

(٣) حياة، في الأصل: حيات.

(٤) فهي، في الأصل: فهو.

(٥) زرع، في الأصل: فازرع.

(٦) القلوب، في الأصل: القلب.

(٧) الحيّة، في الأصل: الحي.

(٨) داوى، في الأصل: داوا.

وبتصرّف الله. ومن صار بالله حيّاً، فهو ذو فناء وبقاء، لأنّه فَنِي فيه، وبقي به. فنُقِل إلى محل بروز[١] مُلْك الظاهر والباطن.

فمُلْك الظاهر ما صار نعتاً للقلب، وظهر إلى القلوب، من علاّم الغيوب، حتّى انشرحـ < ـت > صدورهم، فشاهدوا ولاحظوا مُلْك الصفات من ملك الظاهر.

ومُلْك الباطن ما صار القلب نعتاً للمرئيّ. إذ إنّ[٢] ملك الباطن ما استغرق القلب فيه ولم يَدْرِ[٣] ما وراء ذلك. ولأنّه باطنٌ[٤] خفِي كونُه، إلاّ عند انكشافه، إذ ذلك سرّ.

وإنّما نهاية القلب التخطّي من ملك إلى ملك حتّى < يـ > ـجاوز الملك إلى المالك[٥]، قال الحكيم < الترمذي >[٦]: فربّ وليّ أقيم في أوّل مُلك وأُعطيَ اسمَ ذلك المُلك. وربّ وليّ تخطّى إلى مُلك ثانٍ[٧] وثالث ورابع. فاختصّ من كلّ مُلكٍ اسماً من الأسماء. وآخر ذلك أن يصل إلى مُلْك الفردانيّة والصمدانيّة. وهذا قلبُ وليّ الله. وليس وراء هذا للأولياء نُهوض ولا سير. وهو خاتم الأولياء وسيّدهم. وهو رأس الصدّيقين، وله الدعوة والشفاعة. فأين ما كان فهو في القبضة. والقبضةُ حصنُه وحراستُه.

---

(١) بروز، في الأصل: سرور.

(٢) إذ إنّ، في الأصل: إذا.

(٣) يدر، في الأصل: ولم يدري.

(٤) باطن، في الأصل: باطناً.

(٥) قارن بختم الأولياء ٣٣٢/١ و٣٣٣/١.

(٦) قارن ما يلي: «فربّ وليّ.. خاتم الأولياء» بسيرة الأولياء ص ٧٣ / ٤ـ٨، وبختم الأولياء ٣٣٤/ـ٢.

(٧) ثان، في الأصل: ثاني.

فـ < ـهو > غير محتاج[١] إلى الإذن لكونه في القبضة. فتصرُّفُه دائم لا ينقطع، بخلاف تصرّف ذي[٢] الإذن، فإنّ تصرّفه موقوف على حصول الإذن، فإذا لم يكن إذناً لم يوجد تصرّف[٣]. ودون هذا من هو في مقام العلم، ودون ذلك من هو في مقام القهر واللُّطف. والكلّ في تصرّف خاتم الأولياء، وهو وليّ الله. ومَنْ بعده في مقام وليّ حقّ الله، وفي مقام الحقّ.

تمّ الكتاب بحمد الله تعالى

< فيما يلي تعليقات وردت على آخر ورقة في المخطوطة لا علاقة مباشرة لها بالنص، ولعلها أُضيفت من قبل بعض من امتلكها لفترة؛ نوردها هنا إتماماً للفائدة >.

١ ــ تعليق جاء في آخر ص٤٦: «للّهِ درّ كتاب لم ينـ < ـسج... > رضي اللّه عن مؤلّفه وعـ < ـن >...»

٢ ــ ص٤٦ ب، على اليمين: «... < :كلم > به ومن نعمة ربّه العليّ، محمّد سبط الراوي الحنبلي يوسف».

٣ ــ ص٤٦ ب، على اليمين: «لبعضهم:

شغلتَني بـكَ عنّي أخذتني لك مني

جذبتني فيك حتى ظننت أنـك أني

٤ ــ ص٤٦ ب، في الوسط:

أ) ليس من الصبر والفتوة أن تغلب الشهوة المروة

من فقد الصبـر والفتوة أمكـن مـن نفسه عـدوه

ب) واللّهِ ما ندري إذا ما فاتَنا طلبٌ إليكَ من الذي يتطلَّبُ

(١) محتاج، في الأصل: محتاجة.

(٢) ذي، في الأصل: ذو.

(٣) تصرّف، في الأصل: تصرّفاً.

فامْنُنْ بعادتك التي عَوّدتَنا أوْ لا ، فأرشِدْنا إلى مَنْ نذهبُ

ج) وكما ادّعيت الحبّ، قال كذبتني مالي أرى الأعضاء منك كواسيـ < ـا >

٣ فما الحبّ حتّى تُلْصِقَ القلبَ بالحَشا وتذبل حتّى لا تجيب المنـاد < يـا >

وتنحل حتى لا يُبقي لك الهوى سوى مقلةٍ تبكي بها وتُناجيـ < ـا >

د) واضْعفْ عن الشرّ، كما تـدّعي ضعفاً عن الخيرِ، وقد مكر < تَ (؟) >

٦ هـ) الصدق في أقوالنا أقوى لنا والـ < ... > في أفعالنا أفعى لنا

< توجد على هذه الصفحة ملاحظات أخرى غير مقروءة >

صوم القلب

تقديم

يختلف أسلوب عمّار البدليسي في كتابَيْهِ، عن غيره ممّن سبقه في الكتابة عن التصوّف، بأنّه يتوجّه إلى الخيال الصوفيّ المتمكّن لدى مُريديه، لكي يحفزهم إلى دراسة التصوف مُمارَسَةً وتطبيقاً (= على الحقيقة)، وليس فلسفياً وذهنياً فقط. ومع أنّه لا يضيف حقائقَ جديدةً إلى ما جاء به الأوائل من الصوفيّة المحقّقين، إلا أنّه يسْكُبُ تلك الأفكارَ في قوالب مرصّعة أحياناً بالسّجع والكلمات المتشعّبة المعاني، لكي يثير في نفوس مريديه حميّةَ التأمُّل والتَّفكُّر والذّكر، في الخلوة وخارجها. وفي أسلوبه هذا، يعطي عمّارُ القارئَ الانطباعَ بأنّه يتكلّم عن معانٍ يصعب سَبْرُ غورِها إلا بالذوق والمشاهدة، لأنّه يغترفُها من بئر أسرار عميقة. ويبدو أنّ بعض هذه السوانح كانت تجيئُهُ بغتةً أثناء الكلام، وأحياناً بعد ذكر بعض الكلمات التي تذكّره فجأةً بمعانٍ جديدة فيلحقها بجملته السابقة، ممّا يجعل فهمَ بعض نصوصه صعبَ المنال.

ثمّ إنّ كونَ عمّار شيخ تربية في الأساس، جعله يتوجّه إلى قلوب مريديه وخيالهم، ملمّحاً لهم عمّا قد يذوق بعضهم من الأحوال، وما قد يصل إليه بعضُهم من المقامات، إن هم ساروا على الطريقة التي يدرّبهم على ممارستها، وإن هم نجحوا في التخلّص من علائق الدنيا بكاملها، وواصلوا ترويض النّفس الأمّارة بالسوء إلى أن تصبح راضيةً مرضيّة، وإن هم انتصروا على وساوس العدوّ (= الشيطان) التي تأتيهم أحياناً من حيث لا يتوقّعون، وذلك بالاستقامة الحقّة ودوام ذكر القلب.

لا يسهّل لنا مثل هذا الأسلوب، الموجّه في الأساس إلى مريديه

الممارسين المتمرّسين، أن نستنتج نظاماً متشعّباً حسَنَ الحَبْك يلتقي في
النهاية في نقطةٍ واحدة واضحة المعالم. بل إنّنا نجد مفعولَ أفكاره وتأثيرَها
٣ منحصِراً في النُّخَبة القليلة المتمثّلة في دائرة مريديه ومريدي مريديه. ويبدو
أنّ صعوبةَ فَهْم ما يرمي إليه عمّار في كتابَيْه، بسبب إكثاره من استعمال
الجدل البلاغيّ المرتبط بالنّصّ إلى درجة يصعب معها استخلاص فحوى
٦ أقواله بكلمات أخرى ـ اللهمّ إلا لمن أخذها عن عمّار مباشرةً، مرفقةً
بالإيضاحات التطبيقيّة، وربّما التعليقات اللفظيّة أيضاً، في حلقات الذكر،
وحتّى في الخَلْوَة، حيث يكون المريد تحت إشراف شيخه عمّار، شيخ
٩ التربية، الذي قال لنجم الدين الكبرى، مؤسّس الطريقة الكبرويّة، حين لقيه
لأوّل مرة، وقد جاءه طالباً مريداً: «لنا في التربية ثلاث طرق، العبارة
والإشارة والغيب! العبارة للضعفاء والإشارة للمتوسّطين والغيب للأقوياء»[1].
١٢ وها نحن نلحق هذين الكتابين بأسلوب الإشارة والغيب أكثر من أسلوب
العبارة.

---

(١) انظر رسالة (بلا عنوان) لنجم الدين الكبرى ص ١٨٠آ، مخطوط شهيد علي باشا ١٣٩٥.

< صوم القلب >

(١ آ) من تأليف الإمام المحقِّق أبي ياسر عمّار بن محمّد البدليسيّ[١] نفعنا الله به آمين[٢]. ٣

اللّهمّ صلِّ على سيّدنا وشفيعنا محمّد وعلى آله وصحبه والتابعين وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين بعدد كلّ حرف وسطر في هذا الكتاب وما سُطِر ويُسْطَرُ فيه وفي غيره إلى يوم الدين والحساب آمين[٣]. ٦

قرأ هذا الكتاب المرحوم الشيخ أمين بن الشيخ خليل الفنّان[٤] على طلبة العلم في دمشق الشام سنة ١٢٢٦[٥].

(١ ب) بسم اللّه الرحمن الرحيم ٩

قال الشيخ الإمام المحقّق أبو ياسر عمّار بن محمّد البِدْلِيسيّ: الحمد لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم.

---

(١) البدليسي: في الأصل مصحّحة إلى: الأندلسي، وهو خطأ.

(٢) هذه الكلمات مكتوبة بخط جميل نحيف، وهو نفس الخط الذي كُتِبَتْ به ص ١ ب وص ١٠ آ وص ١٠ ب، ويختلف هذا الخط عن باقي المخطوطة.

(٣) كتب هذا الدعاء إلى يسار ما ورد فوق، بخط أسود بارز جميل، يختلف بدوره عن الخطّ الذي كتبت فيه باقي المخطوطة.

(٤) ؟ الفتّان.

(٥) ١٢٢٦ هـ = ١٨١١ م، ولقد كُتبت هذه الكلمات بخطّ جميل باهت جدّاً، وذلك لوصول الرطوبة إليه.

فصل < ١ >: في صوم القلب وإفطاره

اعلم، وفّقك الله لطاعته، ومعرفة[١] أحوال باطنك، والوقوف على معرفة سرّك وفترتك[٢] ونقصانك وزيادتك، أنّ علامةَ من استعمله الله تعالى في العبوديّة، بشرائط آداب أعمال القلب، حصول حسن التَّفَقُّد لأحوال باطنه. ولا يصحّ التفقُّد إلاّ بعد وجود اليقظة ــ ومعناها: معرفة سوانح ما يتجدّد من الغيوب في القلوب من صنوف الكشوف. ولهذه اليقظة عند أربابها لفظان، هما أعمّ للفائدة، وأقرب إلى[٣] المشاهدة، وهما التبصرة والذِّكْرَى. كما قال تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/٨). وقال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ﴾ (القرآن الكريم ٤٠/١٣)[٤]. ولانفكاكها عن مراتب العلوم، وإعزازها عن ذكر غير أهل الفُهوم للعلوم الفيضيّة الحقيقيّة، التي قرن الله سبحانه وجودَها بوجود القلب، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/٣٧). فلا تحصل إلاّ بعد أن لا يبقى في العبد تفرقة. فبعدم التفرقة وجود الجمعيّة، وذهاب علّةِ التّعلّل من الباطن فيما شاء وسبر. كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ (القرآن الكريم ٥٧/٢٣). لأنّ الباطن يعتلُّ ويسقُمُ بهذه المذمومات، ويعتلّ الجسم بالمُضرّ من المأكولات، وبصيرة القلب تَعْمَى كما تعمى (٢ آ) بصيرة الجسم. قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (القرآن الكريم ٢٢/٤٦). وكلّ ذلك من وقوع القلب في أودية التفرقة، فمنها يحصلُ الشَّكُّ والشِّرْك،

---

(١) ومعرفة، في الأصل: ومعرفته.

(٢) وفترتك، كذا، ولعلّه يقصد: فطرتك.

(٣) إلى، في الأصل: إلي.

(٤) وما يتذكر، ورد في الأصل: وما يذكر.

ولا تخَلّصَ[١] منها إلاّ بالجمعيّة. لأنّ منها تحصيل اليقين والتوحيد والتفويض. فمن أراد الله أن يهديَه، يشرح صدره بنور عالم التفرقة بصدّه[٢] عالمَ التفرقة وحصول الجمعيّة.

فإذا حصلت جمعيّة من مقام عين الجمع، اجتمع لله تعالى بالكلّيّة، واستقام مع الله بمعاملته وإرادته. فوقف لدى الله متبرّياً عن حوله وقوّته، مستسلماً في تصحيح عبوديّته، بحمل ما يَرِدُ عليه، مكتفياً بعلم الله فيه، في كلّ ما يوجّه إليه. فمن تجرّد في العبوديّة، وأفرد التوحيد للربوبيّة، ووحّد الرّبّ بلسان القلب، فهو الموحّدُ على الحقيقة.

وصفة توحيد الحقيقة، ذكر الحقيقة، أنّ من وحّد ومن ذكر على الحقيقة، ذُكِرَ، وهذه علامة نقليّة، ذكرها الله سبحانه، فقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (القرآن الكريم ٢/ ١٥٢)[٣]. وقال: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (القرآن الكريم ١٨/ ٢٤). كأنّه قال: إذا ذكرتني فاذكرْ ذكر شهود، ولا ذكر وجود. فذكر الشهود، ذكر العيان. وفي ذكر الشهود نسيان الوجود. فليس في الوجود إلاّ أنا وذكري، التي هي صفتي. فصفتي < هي > ذكري[٤] على لسان عبدي وقلبه. والعبد فيه تائه والهٌ. فإن لانَ القلب إذا ذكر، شرب، فطاب وقَرُب، فغابَ فشَهِد، وسمع ففَقَدَ. وعند فُقْدانه وَجَدَ. فلمّا وَجَدَ، خرج من كونه ذاكراً، فصار مذكوراً. وذكر اللسان منفكّ عن مصاحبة الأجزاء[٥] والأركان. فلأجله صار بصفة اللسان لا يتخلّى من[٦] مقام (٢ ب)

---

(١) تخلّص، في الأصل: التخلص.

(٢) بصدّه، في الأصل: بنور، والتصحيح جاء في الهامش.

(٣) فاذكروني، في الأصل: اذكروني.

(٤) ذكري، في الأصل: ذكرى.

(٥) مصاحبة الأجزاء، في الأصل مطفوسة قليلاً، والتصحيح من الهامش.

(٦) من، كذا، ولعلّ الأصحّ: عن.

عالم الأجساد إلى عالم القلب والإلهام. وهذه صفة ذكر الوجود، لأنّ ذكر الوجود تكليف، وذكر القلب تشريف. فثمرة ذكر التكليف الثواب، وثمرة ذكر التشريف الاقتراب. قال الله تعالى: ﴿فَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (القرآن الكريم ١٩/٩٦)، معناه: اسجد بقالبك، وأنِبْ واشهدْ بقلبك، واقتربْ.

والذّكرُ ذكران، والعبادة عبادتان. فذكر اللّسان وذكر القلب، وأعمال الجوارح وأعمال القلوب. وأشرفُ الأعمال عمل السّرّ، ثمّ عمل القلب، ثمّ عمل الأبدان إذا قيّدَها الإخلاصُ، وكان على وفقٍ للأمر والنهي والتقوى، لا على وفق الطبع ومتابعة الهوى. وعمل القلب أشرفُ، لأنّ القلب أشرف. وكذلك عمل كل من له قلب < شُرِّف > على عمل من لا قلب له. وقد مدح الله المؤمنين بصلاة قلوبهم، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (القرآن الكريم ٢٣/١ ــ ٢)[١]. والخشوع في القلب، ركوع للقلب. وكما أنّ للقلب صلاة، وصلاته أفضل الصلوات، فكذلك له صوم، وصومه أفضل الصيام. وكما أنّ بين القلب والقالب تباين في الصورة والمعنى، كذلك لعمل القلب تباين عن عمل البدن في الصورة، لا في المعنى. لأنّ صلاة البدن ركوع وسجود وقيام وتشهُّد، وصلاة القلب خضوع وشهود واستسلام وتجرّد. وكما أنّ صوم البدن هو الكفُّ عن المأكول والمشروب، كذلك صوم القلب كفٌّ عن كلّ فضول أو ما يوقعُ في فضول.

ثمّ إنّ[٢] أرباب صوم القلب طوائف: طائفة صوم قلوبهم ترك المحظورات قولاً وسماعاً، وهو لأهل البدايات. وطائفة صوم قلوبهم حفظُ القلوب، كيلا يوسوس فيها[٣] العدوُّ (٣ آ) بذِكْرٍ، صغيرةٍ وكبيرةٍ من الذِّكْر؛

(١) «هم» لم ترد في الأصل.

(٢) إن: أضيفت في الهامش.

(٣) فيها، في الأصل: فيه.

وهؤلاء أهل التربية والتصفية. فهم بالتربية والتصفية في حفظ وحراسة وحماية عن إلقاء العدوّ. لأنّ القلب إذا صفا، وحصل الصفاء صفةً له [فقد أن] لا يبقى عليه لغير الله حكم ولا للعدوّ إليه طريق. بل ربّما في بعض ٣
الأوقات يوقعُ في القلب شيئاً بطريق التسلّط، وذلك من أجل التنبيه، كما وقع في قلب الرسول، عليه السلام، وبعد ذلك عُصِمَ. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ ٦
(القرآن الكريم ٥٢/٢٢)، فصارَ ذلكَ قاعدة في حقّ أهل التربية والصفاء.

فإذا تفرّد الصفاء بصفته صار لا يقبل إلّا أجناس الصفاء. وكما أنّ الخُبْث لا يقبل إلّا أجناسَ الخُبث، لأنّ الصفاء نوعان: نوع من صفاء ٩
الملائكة[(١)]، ونوع من صفاء الحقّ. فمن كان صفاء قلبه من صفاء صفات الحقّ فهو الذي لا سبيل عليه للشيطان، وهو الرّبّاني. ومن كان صفاء قلبه من صفاء صفات[(٢)] الملائكة فهو صاحب المحمودات، غلبت محموداته ١٢
على مذموماته. فله جنس وضدّ: فإلى جنسه يميل، ومن ضدّه يستقيل[(٣)]. وإنّما يدخل الضدّ على ضدّه بالقهر والغلبة. فما دام حُفّاظ رُقباء الصفات يحرسون ويحفظون الصفاء عن دخول الكدورة عليه، فقد استقام الصفاء في ١٥
كماله. فإنّ العبد في تلك الحالة محفوظ بحفظ الربوبيّة. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (القرآن الكريم ٤٢/١٥). والله يتولّى صفاء أهل الصفاء بحفظه وحفظ أدلّائه وملائكته وكلامه. من ذلك ما قال ١٨
عليه السلام: «إنّه لَيُغان على قلبي»[(٤)] الحديث. (٣ ب) قال الله تعالى:

---

(١) قارن ما يلي بما ورد في بهجة الطائفة، ٢٤فصل ٨، ص٤٩/ ١٤ ــ ١٣/٥١.

(٢) صفات، في الأصل: صفاء.

(٣) يستقيل، في الأصل: المرّة الوحيدة التي يكتب فيها حرف السين بدون أسنان.

(٤) قارن بصحيح مسلم، عبد الباقي، ٤ :٢٠٧٥، رقم٢٧٠٢ ومسند الإمام أحمد =

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرةِ حِجاباً مَسْتُوراً﴾ (القرآن الكريم ١٧/ ٤٥).

٣ وطائفة صوم قلوبهم من كلّ داخل من الخطرات الحميدة الجيّدة المأمورة بالخير، المقبولة في الطريقة والشريعة، إلاّ أنّها لمّا كان[1] موردهنّ ومصدرهنّ من عند غير الله، وجب عليهم حفظ القلوب منهنّ. لأنّ قلوبهم ٦ ألفتْ واعتادتِ الشربَ من الخواطر الربانيّة، والكلمات الإلهاميّة، والنّفحات الرحمانيّة، والواردات الإلْهيّة، والإشارات الغيبيّة، وجب عليهم الصوم من خواطر المَلَك، والطَّبْع المستسلم بحكم القلب، والنفس المُطْمَئنّة الراضية ٩ المُسَلِّمة. لأنّ كلّ قلب ألفَ السّماع من الله، والقول مع الله، والنظر إلى الله، فإنّه إذا أُحِيل إلى واسطة كأنّه نقل من الزّلال العذب إلى شرب الكَدِر المالح. وكيفيّة هذا الصيام هو التحفّظ من هذه الخواطر، حيث ١٢ لا تدخل القلب. فإنّ دخول تلكَ الخواطر يُفَطِّر القلب من صومه. وصومُه دوام النظر إلى الله، ودوام الوقوف مع الله، ودوام الاستسلام لدى الله.

وكيفيّة التحفّظ في هذا المقام هو الوصول إلى مقام المراقبة. فمن ١٥ لا مراقبة له، لا تحفّظ له. ومن لا تحفّظ له، لا صوم قلب[2] له. فصوم قلوب هذه الطائفة الثالثة بشهود الله، وفطرهم عند أوان الإفطار على أنواع كشوف الله. وهو سرّ معنى الخبر: «للصائم فرحتان[3]: فرحة عند إفطاره،

= ٤ : ٢١١ والمعجم المفهرس ٥ : ٣٨ تحت: غانَ. وانظر بهجة فصل ٣٠، ص١١٨/ ١٥ وصوم ص ٩/ ١٩.

(١) كان، في الأصل: كانت.

(٢) قلب، في الأصل: القلب.

(٣) انظر المعجم المفهرس ٣: ٤٥٧، تحت: صوم.

وفرحة عند لقاء ربّه». ولهذه الطائفة، كلتا الفرحتين موجودة، لأنّهم يشهدون الحقّ ويجدون الفطور (٤ آ) من عند الحقّ، فإذا صام القلب في مقام المراقبة، فله المشاهدة، وهو في جميع اليوم مستغرقٌ هائمٌ حاضرٌ ذاكرٌ، بل مذكور، وذكره ذكرُ مذكوره إيّاه. فلأجله يكون غائباً عنه، حاضراً مع ما غَيَّبَه. وصوم هذا القلب: صوم شهود الله. كما ورد في الخبر: «أنا الله الذي اقتربت من قلبك، وبالغيب رأيت نوري».

ودون هذا الصوم، يُحْتَمل في حقّه مَعْنى الفَرْحَة عند إفطاره، التحفّظ من خواطر إلقاء العدوّ، ووساوس النفس الأمّارة. فإذا انقضى صومُه بسلامة عن دخول ما يفسد صومَه ويُفطّره عن فضيلة صومه، فلأجله فرح عند إتمام صومه له. فهذه مجاهدة عظيمة، وصاحب هذه المجاهدة مُقامُه التفكُّرُ الدائم. لأنّ التفكّر، بوجود الذوق، في آلاء الله، بذوق العبد المتفكّر لذّةً وحلاوةً، يمتلئُ صدر العبد من لذّة التفكُّر بمعرفة حقيقة ما فيه نظرٌ وتفكّر. وذلك يمنع وساوس الشيطان وإلقاء العدوّ بنزول معرفة أسرار المصنوعات في القلب.

وفطور هؤلاء الطائفة الثانية على أسرار المصنوعات بواسطة التفكّر. فلذّة كلمة حكمةٍ أشهى للقلب من حلاوة الدنيا وما فيها. وصوم هذا القلب عن المذامّ وإفطارُه بالمحامد. ومعنى هذا الصوم يكون من أجل الله تصحيحاً للعبوديّة، وتطهيراً للقلب ممّا سوى الربّ جلّ وعزّ. ويُقال لهذا الصوم: صوم الإرادة[1] والذوق، ولما هو أعلى من هذا: صوم الدُّنُوّ والقرب والمعرفة.

والفرحة الثانية تكون عند لقاء ربّه. ويحتمل لقاء الربّ لأهل صوم

(١) صوم الإرادة: موت الإرادة، راجع بهجة الطائفة، فصل ١٤، ص٦٨/ ٢.

الإرادة عند نهاية (٤ ب) مجاهداتهم، وتتمّة مقاماتهم. وهو قلب صام لأجل الله، معناه: حتّى يشهده، وآلى على نفسه[١] أن لا يُفطر إلاّ بلقاء الله، ٣ معناه: مشاهدة الله، فلمّا شاهده أفطرَ به، لا بغيره.

ونهاية مقام هذا في الفطور، عند نهاية مقام قلبه في الصوم، مثل كلّ فطورِ كلِّ يومٍ، كلِّ ليلة من صوم قلب أهل الدنوّ. إذ له الفرحتان في كلّ ٦ ليلة. وهذا له فرحة واحدة: وهو وجدان لذّة التّفكُّر، أو وجدان سرّ ما فيه تَفَكَّرَ.

والطائفة الأولى[٢] من أرباب صوم القلوب هم أهل الطلب والعلم ٩ والشوق، أوجب عليهم ذِكرُ الله نزاهةَ الصوم عن اختيار المُفْطِرات. وقد ورد: «خمسٌ يُفَطِّرْنَ الصائم»، فالذّاكرُ الصادقُ المُشْتاقُ، لمّا ذاق ثمرة الذوق، عرّفه[٣] الذكر، وكشف له عن حقيقة صوم القلب، لأنّه بعُزْلته في ١٢ الخلوة عن الناس، حصل له[٤] صوم القلب، كما حصل له ذكر القلب. ولا يحصل ذلك إلاّ بترك المحظورات قولاً وسماعاً ونظراً. ولا يحصل ذلك ــ خصوصاً للمبتدئ ــ إلاّ بالعزلة.

١٥ ومعنى العزلة، أي: في العزلة عِزٌّ له. فإذا حصل هذا، فصوم قلوبهم حفظ القلب على الذكر، ونفيُ ما سوى الذكر عن القلب. وتَرك الكلام من شرط هذا الصوم، إلاّ مع دليله، أو ربّه. وترك الكلام من شرائط صوم ١٨ القلب. وإنِ اضطُرَّ: تكلّمَ بالرَّمْزِ، كما أمر الله سبحانه وتعالى لزكريّا، عليه السلام، وقال: ﴿آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً﴾ (القرآن الكريم

---

(١) وآلى على نفسه، في الأصل: والاّ على أنفسه.

(٢) الأولى، في الأصل: الاوّله.

(٣) عرفّه، في الأصل: عزّفه.

(٤) صوم القلب. . . حصل له: أضيفت في الهامش.

٣/ ٤١). وقولُ مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ (القرآن الكريم ١٩/ ٢٦). وإنّما فائدة صوم القلب أن لا يكَلّم إنسيّاً بلسانه. < و > لأنّ اللّسان ترجمان القلب، بل باب القلب، وجب في صوم القلب غلقُه واستكانُه في عالَم الأجساد، إذ الكلام مع الإنس ينافي صوم القلب، إذ القلب من[١] عالَم الأمر، وإنّما صام في عالم الأجسام (٥ آ) عن الكلام مع غيرِ جنسه، لحصول الكلام مع أبناء جنسه من الروحانيّين، والملائكة المقرّبين. وذلك غير قادح في صومه، بل ذلك فائدة صومه. ألا ترى في شرط مريم كيف قالت: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ (القرآن الكريم ١٩/ ٢٦)؟

وذكرُ الامتناعِ عن الضِّدّ إباحاةُ المباسطة مع الجنس، إذ لا يتأتّى بين الجنسين مسافةٌ للعبادة كما يتأتّى بين القلب والملائكة ـ هذا إذا كان القلب في مقام العزلة عن الناس. إذ الناس أضداد عند القلب بالإضافة إلى الملائكة. فأمّا إذا كان القلب في قطع عالم الوجود، فإنّ صومَه العزلةُ عن الناس، وترك الكلام معهم. فإذا قطع مسافة عالم الإنسان، فإنّ المُصاحبة مع أجناس العُلى، وذلك من أجناس ما هو بصدده من مطلوبه. وصوم قلبه حتّى ينتهي أيضاً سيره في عالم العُلى. فإذا قطع عالم الأرواح والملائكة، فهناك تعيّن له وعليه العزلة عمّا سوى الله. فيكون صوم القلب فيه صوماً عما سوى الله، لشهود الله. ورؤية[٢] ما سوى الله يقدحُ في صومه في هذا المَقام، إلى أن ينتهي حاله[٣]، فيكون لله بالله، أي مع الخلق بالله، ومع الحقّ لله. فحينئذ صوم قلبه لا نقص يتطرّقُ إليه، لاستيلاء حكم قلبه على جميع حواسه: من عقله وعمله وطبعه ونفسه وشهوته، وحُكْم الله مستولٍ على

---

(١) من، في الأصل: في، ثمّ صحّحت في الهامش.

(٢) ورؤية، في الأصل: ورئة.

(٣) حاله، في الأصل: حالته.

قالبه، والقلب في حكم قبضة وقدرته. والمَقْدورات في حكم تصرّف قلبه، وقلبُه لوحٌ محفوظٌ: عِلْمُ الله وعرشُ تجليه، يراه في مشاهدته ويخبر عنه
٣ بمُحَدِّثيّه. كما ورد في الخبر عن موسى، عليه السلام، قال: «إلٰهي أين أبغيك؟ فقال: يا موسى، (٥ ب) وأيّ بيت يسعني، وأيّ مكان يحملني. فإن أردت أن تعرف أين أنا، فأنا في قلب الوادع التارك العفيف»[(١)]. وهذه
٦ الثلاثة صفة صوم القلب.

فصوم القلب دأب الأنبياء والمرسلين والأولياء الصدّيقين. ولذلك جعل الله عزّ وجلّ آية زكريّا، عليه السلام، عند إعطاء الولد صومَ ثلاثة أيّام،
٩ ثمّ أعطاه الولد، لأنّ للصيام دعوة مستجابة. ومتى صحّ صومِ القلب، صحّ صوم البدن. ومتى صحّ صوم البدن، يستجاب دُعاء العبد. وما[(٢)] لم يصحّ صوم قلبه فربّما هو مفطر بقول الغيبة والاستماع إلى الغيبة، أو بالكذب، أو
١٢ بالنَّميمة، أو بقول الزُّور، أو بتضييع الصوم بما لا يعنيه من القول، والإصغاء إلى اللَّهْو واللَّعِب. وكلّ هذا يقدح في الصوم ويذهب بفضله. وإذا ذهب فضل الصيام، لم يرتقِ إلى صوم القلب أبداً.

١٥ وإنّما أوّل شرط صوم القلب هو الدخول في صوم الفَرْض بموجب الشرائط الشرعيّة، ثمّ بالتحفّظ من حيث الجوارح والأقوال والخواطر. فإنّهم كانوا يكرهون فُضول النظر، كما كانوا يكرهون فضول الكلام. وفضول النظر
١٨ من جملة المُفْطِرات، كذلك فضول الكلام: وهو النظر بشهوة، والكلام في غير طاعة، ويعتزلون من الهموم والخواطر، كما يعتزلون بالظواهر

---

(١) انظر الحديث في ختم الأولياء ٣٣٢ وهامش ١٩٩ هناك؛ وفي المعجم المفهرس ١: ٥٣، تحت أرض: «أيّ أرض تُقلّني وأيّ سماء تُظلّني»، وانظر أيضاً بهجة الطائفة ص١٣٨/٦ ــ ٣/١٣٩.

(٢) وما، هنا بمعنى: وإنْ.

والنواظر. وإذا اجتمع للعبد فضائلُ صوم البدن، ترقّى منه إلى صوم القلب. وفي الأوّل حصول صوم القلب، ثمّ حصول فضيلة صوم القلب. ومعنى صوم القلب: الكفُّ عن معاصي القلوب بالاشتغال بطاعات القلوب. وكما أنّ لصوم البدن فضيلة، كذلك لصوم القلب (٦ آ) فضيلة.

ومن فضائل صوم القلب ظهور آية الصوم في الحال أو بعد ثلاثة < أيّام >[١]، كحالة مريم، أو كحالة زكريّا، عليهما السلام، وإنّهما يرزقان من الأنعُم الباطنيّة في قلوبهم على سبيل إظهار الكرامة والعطاء، [و] من الأنعُم الظاهرة عند الافطار مع استجابة الدعاء.

أو كحالة نبيّنا، عليه السلام، حيث كان يقول: «إنّي أبيت عند ربّي يطعمني ويسقيني»[٢]. وهذا أعلى رتبة صوم القلب. وقد أُعطِيَ < هذا الصوم > محمّد < أ >، ﷺ، وأمّتُهُ، لأنّ عبادة هذه الأمّة في مقام المشاهدة، وذلك لكون معراجه، عليه السلام، أعلى معاريجِ الأنبياء. وإنّما صار معراجُه أعلى لأنّ مشاهدته أوضحُ وأكشف: لأنّ قُرْبَه من الدُّنُوّ في حضرة العزّة كان أقربَ مقامات الأنبياء. فلأجل ذلك ظهر فضل درجات أمّته على سائر الأمم لعلوّ أحوالهم من الله ومع الله. ولهذا قال، عليه السلام: «علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل»، يعني: العلماء بالله في أمّتي بفضل الأحوال، وظهور الآيات والعلامات من خلعِ الولايات، أقاموا بعد انقطاع النبوّة على منهج النبيّ، عليه السلام، يدعون الخلقَ إلى الحقّ، إلى يوم القيامة. فكلّ عالم من هذه الأمّة، بقدر دعوته إلى الله في الأجر. والفضيلة للدعوة إلى الله بمثابة نبيّ من أنبياء بني إسرائيل. وذلك لوجود[٣] الدعوة

---

(١) ثلاثة < أيّام >، في الأصل: ثلث.

(٢) قارن بما ورد في بهجة الطائفة ص٣٩/ ١٣ وصوم ص ٢٢/ ١٠ وص ٣٤/ ١٧ .

(٣) لوجود، بمعنى: لكون.

موجودة باقية، والنبوّة منقطعة عاطلة. وهؤلاء في هذا الزمان، في الأجر
والدرجات، بإحياء سنّة نبيّهم بعده، كأولائك الأنبياء في زمانهم. إذ فعلهم
٣ في الدعوة كفعلهم. فأشبهوا الأنبياء بأفعالهم ودعوتهم وحسن سيرتهم
وطريقتهم وسمعتهم وهَدْيهم. كما شُبِّه عليٌّ، عليه السلام، بنوح النبيّ،
عليه السلام. وشُبِّهَ بعضُهم بالخليل. (٦ ب) وكلّ ذلك الشرف لأمّته على
٦ سائر الأمم لوجود[1] شرفه، عليه السلام، أعظمَ وأشرف وأجلَ عند الله من
الأوّلين والآخرين، ولأنّ حالته عند الله بمقام الإخلاص من المشاهدة: لم
يعادله مثله لا ملكٌ مقرّبٌ ولا نبيّ مرسل. كذلك أهل الأحوال من أمّته:
٩ أحوالهم خيرُ أحوال الأمم، لأنّهم خير الأمم عند الله.

فصل < ٢: في فتوح السالك >

قيل للجنيد: هل في القرآن[2] شيء يدلّ على فتوح السالك؟[3]

١٢ فقال: نعم. ثمّ قرأ: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ
فُؤَادَكَ﴾ (القرآن الكريم ١١/ ١٢٠).

ففي الفؤاد خزانة سرّ الكشف والإشهاد، والمحبّة والوداد، وسرّ ما
١٥ ظهر من العدم إلى الإيجاد، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو
حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القرآن الكريم ٤١/ ٣٥)، هم الذين رزقهم الله التبصرة في
قلوبهم، على نفوسهم، فلا يتحرّكون في حركة إلاّ ببرهان بصيرة. < و >
١٨ لم يزالوا في طلب الأدلّة فيما يسنَحُ لهم ويُحَدِّثُ فيهم، حتّى وقفوا على

---

(١) لوجود، بمعنى: لكون.
(٢) القرآن: أضيفت مطفوسةً في الهامش.
(٣) قارن بهجة الطائفة ١/١٥ ــ ٥.

معرفة كلٍّ شيء وضدِّه. وبذلك تكلّموا في علوم المعاملات، وحلّوا منها عُقَد المُشْكِلات، وبيّنوا فيها عن كيفيّة مواطن الآفات. وذلك بحصول نور الله في القلب، فكانوا بذلك على بيّنة من ربّهم. والبيّنة من الله < هي > صفتهم، بها يعرفون الآفات، ويفرّقون بها بين الخيالات والمشاهدات، ويُبَيّنون عمّا يُلقَى إلى الباطن من إلقاء العدوّ والنَّفْس من النَّزَعات، وما يكون من إملاء القلب، أو المَلَك، أو الطَّبْع، أو الحقّ جلّ وعلا من الإشارات والخطرات. وهذا هو معنى الدليل، < ا > لموصوف به كلّ من ﴿لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/ ٣٧). فصاحب القلب هو المُحَدَّث من قِبلِ قلبه عن ربّه، ويلقي «السَّمْع»: هو المصغي إلى قلبه وقلبُه المصغي إلى الغيْب.

فصل < ٣: في حقيقة الصوم >

(٧ آ) وإنّما صيّر القلوبَ، مجالَ نوازل الغيوب، حسنُ التصفية، والتطهير، والتربية والتنوير. وكيفيّة تلك التصفية والتطهير للقلوب هي حقيقة الصوم في ذوق الحقيقة عن أستاذ التربية، وهو الصوم عن الآثام، ثمّ عمّا لا يعنيه من الكلام، ثمّ عن[1] مخالطة مَنْ[2] لا يأمن منه السلامة من الأنام. فتصويم جميع الجسد، هو بداية تصويم القلب، وهو الصوم على الحقيقة. < و > بذلك وصلوا إلى الصوم عن كلّ محظور، ثمّ إلى الصوم عن كلّ نظرة بغفلة، أو إرادة بشهوة، أو حركة في غير طاعة، ثمّ إلى الصوم له به، وهو صوم الحالة: صوّمهم الوقتُ الغالبُ عليهم عن رؤية ما سواه، أو النظر إلى ما عَدَاه. وهذا هو صوم قلب، هو في تصرُّف الحال، غلب عليه ذكر

---

(١) عن، في الأصل: من.

(٢) من، في الأصل: ما.

المذكور، حتّى سلب شعوره بكلّ موجود سواه، جميع نهاره، فلمّا آن أوان
انقضاء صوم العموم شرعاً، ورد إليه وعليه من ملاحظة نظر العناية، سرٌّ[١]،
٣ تبدّى[٢] له من ثمرة الصوم: إمّا علماً من علوم حاله، أو كشفاً من مشاهدة
سرّ حاله، < أو شيئاً من > غرائب أجناس العُلى. وذلك فطور جسمه من
الأنعم الظاهرة.

٦ فمن حَسَمَ عنه موادّ الحواس، ولزم العزلة عن الناس، ونزّهَ صومَه عن
الأدناس، والأنجاس، وصل إلى رُتْبة الاستئناس. ففي الصوم مجاهدات
عظيمة، وفيه أيضاً مشاهدات جسيمة. قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
٩ وَالصَّلاَةِ﴾ (القرآن الكريم ٢/ ٤٥ و١٥٣)[٣]، يعني به الصومَ والصلاةَ.
فالاستعانة بالصوم لما فيه من المنافع والفوائد والثمرات. ولهذا ورد في
الخبر: «صوموا تصحّوا»، يعني من عِلَل الباطن. لأنّ صوم البدن إنّما زاد
١٢ في الغفلة (٧ ب) علةً من حيثُ الحرارةُ واليبوسة. وإنّما أراد به العلَل
الباطنة. وإنّما يُزيل العلل من الباطن إذا كان صوماً قلبيّاً. فصوم القلب
شرطه الصِّحّة، والصحّة شرطها[٤] صوم القلب. ومعنى الصحّة من سَقَم
١٥ الذنوب، وقساوة القلوب. لأنّ مرض[٥] القلوب يمنع القلب من وجدان
فائدة الصوم وثمرته، كما يمنع المرض المريض من وجدان لذّة الطعام الذي
هو غُذّتُه وقوتُه. وكذلك للقلب من الصوم قوّة وطهارة وتصفية.

---

(١) سرّ، في الأصل: سرا.
(٢) تبدّى، في الأصل: تبدا.
(٣) والصلاة، لم يوردها عمّار.
(٤) شرطها، في الأصل: شرطه.
(٥) مرض، في الأصل: مرضى.

فصل < ٤: في أنّ الصيام ثلاثة أنواع >

والصيام ثلاثة أنواع: نوع للبدن، ونوعان للقلب.

فالأوّل من صيام القلب خُصَّ بالثمرات واللذَّات، ترد إليه من دوام الذِّكر والفكر، من الله، في مقام المحاسبة. وفطور هذا الصوم على الإنعام. ومعنى الإنعام: وجدان اللّذات والمؤانسات. وصاحبه من خواصّ العبيد. فصومه صوم الخُصوص.

الثاني من صوم القلب خُصَّ بالمشاهدات والواردات. ففطوره على الإلهام، لأنّه في مشاهدة الحالات، في مقام الاقتراب. وقد قال الله تعالى: «الصوم لي، وأنا أجزي به»[١]. وكلّ الصيام له، كما أنّ كلَّ العبيد له. بل له عبيد على التخصيص والاقتناء، هم أقرب إليه، وأرفع عنده من سواهم. كذلك له من الصيام صوم هو منحة من مِنَحِهِ وهديّة من هداياه، إلى الأخصّ من عبيده. وصاحب هذا الصوم من أخصّ العبيد، فصومه صوم خصوص الخصوص. فمن عبد صوّمه الله بهذا الصوم، فقد أدخله في حقيقة العبوديّة، وارتضاه عبداً، واقتناه حُرّاً، وتولاّه خلاًّ، وخلع عليه بخلعة أهل المزيد والإلهام. لأنّ سرَّ قوله عزّ وجلّ: «الصوم لي» يقتضي فيه سرّاً خفيّاً، كأنّه يقول: إنّ في الصوم (٨ آ) سرّاً هو لي، لا يطّلعُ عليه غيري؛ من رُزِق ذلكَ الصوم، جازيتُه بالقرب. «وأنا أجزي به» معناه: كما أفرد لي سرَّه، وأخلى لأجلي قلبه، وجعلني قصده، فإنَّ جزاءَه: بأن أُقرّبَه، وأقتربَ منه، وأُسِرَّ في

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ١: ٣٤٦، تحت جزي وانظر صحيح البخاري، د.البغا، توحيد٧٠٥٤و٧١٠٠ وكذلك مسلم، عبد الباقي، صيام ١١٥١ وابن ماجة، عبد الباقي، صيام ١٦٣٨، أدب ٣٨٢٣.

سرّه، وأَبُثَّ في قلبه. وقد قال الله تعالى: «أنا الله الذي اقتربتُ من قلبك، وبالغيب رأيت نوري».

وأمّا صوم البدن < فـ > ـخُصّ بالثّواب من الله تعالى، وفطوره على الطعام، ولا فطور لقلبه. فكما لم يكن له صوم، لم يكن له إفطار. وظاهر الصوم ما ستَرَكَ وحماك من[1] الذنوب. وسرّ الصوم ما سيّرك ورقّاك إلى مشاهدة القلوب من الغيوب. وقد قال، عليه السلام، بمقتضى ما ذكرناه: «الصوم جُنّة»[2]، وظاهرها ما حفظك على الطاعة من المعصية، وباطنها ما حفظ القلبَ كيلا يطّلع على سرّه غيرُ الربّ.

فمتى حُفِظَ القلب، حُفظ سرُّ القلب. فمن لم يتحفّظ لا بظاهره ولا بباطنه، فلا فائدة لجُنَّتِه. فكأنّه لم يستتر بالجُنّة بموجب الاستتار. وكذلك من يصوم بغير موجب الصيام، لم يَحْظَ[3] لا بالإنعام ولا بالإلهام[4]، ولا بالثواب ولا بالاقتراب.

فصل < ٥: في موجبات الصيام >

وموجباتُ الصيام نوعان: نقليٌّ وذوقيّ.

فظاهرُ الجُنّة[5] هو واجبات النَّقْل. فمن لم يلتزم ذلك فقد خرّق جُنّة

---

(١) من، في الأصل: عن.

(٢) انظر المعجم المفهرس ٣: ٤٥٩، تحت: صوم؛ وانظر حلية ٩: ٢٧.

(٣) يحظ، في الأصل: يحظا.

(٤) بالإلهام، في الأصل: بالهَام.

(٥) الجنة: الجُنّة هي الوقاية، ويقال: «الصوم جُنّة»، أي يقي صاحبَه ما يؤذيه من شهَوات؛ «الإمامُ جُنّة» لأنّه يقي المأمومَ السَّهْو والزَّلَل، انظر البستان ١: ٤١٧، وانظر أيضاً البخاري، د. البغا، رقم ٧٠٥٤ وابن ماجة، عبد الباقي، فتن ٣٩٧٣.

صومه، وهَيْهات أن يصل إلى وقاية جُنّة صوم قلبه. قال عليه السلام: «رغم أنف من أدرك شهر رمضان ولم يدخل الجَنَّة».

فحظُّ الذَّوْق من أسرار الخَبَر < فـ > ـكما أنّ للبدن من شرائط الصوم جُنّة كذلك للقلب من حقيقة الصوم في كلّ يوم وساعة من الله سبحانه وتعالى حضورٌ وشهودٌ وجُنّة. لأنّ لذّة ثمرة حقيقة الصوم في ذوق القلب عند (٨ ب) مشاهدة غيب صَحْوِ الحالة أطيبُ عند الصائم لله بقلبه وكُلِّيَّته من جَنَّة عَدْن. فمن لم يدخلْ في جَنَّة جُنَّة حقيقةِ صومه، رُغِمَ أَنفُه. إذ فائدة جُنَة الصائم لحاظ[١] للقُرْب من الربّ. إذ صوم القلب إذا كان لشهود الله، ففطورُه وإفطارُه عند لقاء الله على شهود شاهد الله أو شواهد الله. وكما أنّ أوان إفطار الأبدان، وُرودُ الأذانِ إلى الآذان، كذلك أوانُ إفطار القلوب، عند ورود الأمر والإذْن من عند الملك الدَّيّان. وكان بعضهم يقول: أقومُ ولا إله إلاّ الله، وأقعدُ ولا إله إلاّ الله، وآكلُ ولا إله إلاّ الله. معناه في الحقيقة عند أربابها، أي: بالله أقومُ، وبالله أقعدُ، وبالله آكلُ. ومعنى هذا: الإذن والأمر على الخصوص، لا تصرّف القدرة على العموم. وفي معناه ورد في الخبر: «فبي يسمع، وبي يبصر»، أي: بالأمر والإذن من الله لأنبيائه وأوليائه.

فإذن الأنبياء بالوحي الظاهر والوحي الباطن. وإذن الأولياء بالقذف والإلهام.

فالقذف قد يكون من داخل، وقد يكون من خارج. ومنه الهاتفُ الذي يُسْمَعُ صوتاً ويُشْهَدُ شخصاً.

---

(١) حاظ: هي صيغة اسم الفاعل لفعل «حَظِيَ».

وقد ورد في الخبر: «للجَنّة باب يُقالُ لها الرَّيّانُ[١]، لا يدخل فيه إلاّ الصائمون». وعند أهل الذوق والحقيقة والكشف والمشاهدة مثل ذلك الباب من الغيب إلى القلب، منه ينزل للقلب من الربّ النَّظَرُ إليه، والسماعُ منه.

والدليل القاطع على أنّ ثمرة الصوم القلبيّ هي المشاهدة، أنّ الله تعالى أمر لموسى، عليه السلام، بالصيام، ثمّ لمّا انتهت[٢] مدّةُ صومه، دعاه إلى الكلام، فخلع عليه بالمكالمة (٩ آ) وذلك لتخصيص الصوم بالمشاهدة، دون غيره من العبادات. وقد كان رسول الله، ﷺ، يصوم ويواصل في صومه، فاسْتَنَّ به جماعة من الصحابة، وكانوا يستضرّون من ذلك. ففطن لذلك رسول الله، ﷺ، فنهاهم. فقالوا: يا رسول < الله >، نراك تواصلُ. فقال: «لستُ كأحدكم، إنّي أبيتُ عند ربّي فيطعمني ويسقيني»[٣]. معناه: إنّ للقلب من الربّ قُرْباً وشُرْباً، ورَوْحاً وذَوْقاً، ليست لقلوبكم. فلم يتركْهم يتحمّلون[٤] من المجاهدات إلاّ بقدر شُرْب قلوبهم من الصوم.

فصل < ٦: في نهاية صوم القلب >

فأمّا نهاية صوم القلب أنّه إذا صام، استغرق وهام، واستوى عند الراحات والآلام، وانقطع لسانه عن الكلام، وشَغَلَه وجدان اللّذّة عن أن يخطر[٥] بباله الطعام، وذلك لاستطعام القلب من طعام الإلهام. فلا يجدُ القلبُ الذوق في الصوم إلاّ بعد إفناء الحظوظ وإبقاء الحقوق. ولا يصير

---

(١) انظر المعجم المفهرس ٨: ٣١٨، تحت: الرّيّان.

(٢) انتهت، في الأصل: انتهى.

(٣) قارن بالمعجم المفهرس ١: ٢٣٥، حيث جاء: «وإنّي أبيت يُطعِمني ربّي ويسقيني»، وانظر بهجة الطائفة ص ٣٩/ ١٣ وصوم ص ١٥/ ٩ ــ ١٠ وص ٣٤/ ١٧.

(٤) يتحمّلون، في الأصل: أن يتحمّلوا.

(٥) يخطر، في الأصل: يخطره.

بالحقوق قائماً وعن الحظوظ فانياً إلاّ بعد انعدام تصرُّف البشريّة، وحصول التصرّف جميعاً في القلب للربوبيّة. وعلامة ذلك أن يكون القلب في المملكة. والنّفسُ في الخدمة، راضيةً مُطمئنّة. فهناك الشرع والعقل والحقيقة من حجاب القلب، والغيبُ حاكمُه، وعند النهاية محكومُه، ومقعد الصدق مقرُّه، والمليكُ المقتدرُ سبحانَه جليسُه وأنيسُه.

فصل < ٧: في الصمت وثمرته >

فمن عزَّ لَهُ أن يصل إلى هذا الصوم، فليجتهد في التحفّظ من الآثام، وترك أكل الحرام، والفرار من جميع الأنام، بالتوجُّه في أداء حقوق عبادة الملك العلاّم، بجمع همّ[1]، وفراغ قلب، وتوحّد خاطر، وصحّة (٩ ب) قصد، وحُسن نيّة وطويّة. ثم يلزم السكوت ويسكن قعر البيت. ويجتهد في استقامة اللّسان ـ ولا يستقيم إلاّ بالصمت، ولا يصمت إلاّ بالتكلّف والمجاهدة. فإذا داوم على ذلك، ربّما ذاق ثمرة الصمت. فبذلك يأخذ بالاستقامة: وهو أن يصير الصمت اختياراً له، محبوباً عنده، عزيزاً عليه، لا يَسْمَحُ بنَفَس أو كلمة ولو في حقٍّ. خافَ على نفْسِه من لسانه الجاري، كما يخاف من عدوِّه السَّبُعِ الضاري.

وللصمت فائدة عظيمة. وفيه منفعة جسيمة. ولهذا قال، عليه السلام: «الصمتُ حُكْمٌ، وقليلٌ فاعلُه»، معناه، واللّهُ أعلم: لو فعله واختاره[2] كلّ الخلق، لاعتدلوا واستقاموا. لأنّ الصمت الدائم يصفو[3] اللّسان، ويستقيم به الإنسان. وفيه معنىً آخرُ: بالصمتُ حُكْمٌ، أي: مقوِّم وحَكَمٌ في تقويم

---

(١) همّ، هنا بمعنى: هِمّة.

(٢) فعله واختاره، في الأصل: فعلوه واختاروه.

(٣) يصفو، في الأصل: يصفوا.

اللّسان، فتقويم جميع الجوارح من الإنسان. وفي اعوجاجه اعوجاج سائر الجوارح من[١] الإنسان. ومنه يسري الاعوجاج إلى القلب، فيعوج، وباعوجاجه يسري النقص إلى الإيمان. وقد ورد في الخبر، عن سيّد البشر، ﷺ، أنّه قال: «لا يستقيم إيمان امرئ حتّى يستقيم قلبُه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانُه»[٢]. وهذا هو فائدة الصوم وثمرته.

فصل < ٨: في الاستقامة وأنواعها >

فإذا تحقّق العبد في الصمت حصل بين ثلاث استقامات[٣]: استقامة اللّسان، ثمّ استقامة القلب، ثمّ استقامة الإيمان.

كلّ الاستقامة في استقامة القلب. والمراد من استقامة القلب، الاستقامة في توجّهه إلى الله، بحقيقة الإقبال على الله، بترك الالتفات إلى ما سواه، في جميع الأحوال. وهذا هو استقامة الحالة والاتّصاف. فمن لا يكون في جميع الأحوال مقبلاً على الله (١٠ آ) بالكلّية، مُعْرضاً عمّا سواه في جميع الأحوال، فإنّه قد يكون في استقامة التّوَقّي والسير والترقّي، فتارةً يُعْرِض وتارةً يُقْبِل. وعند ورود الإعراض، يُقالُ له: فاستقمْ كما أُمرْت. فإنّه كان قد أُمر بحقيقة الإقبال عليه، في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ (القرآن الكريم ٢٥/٤٥)، وفي قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (القرآن الكريم ٥٢/٤٨)، حتّى وصلت الاستقامةُ إلى حالة الاتّصاف، من مقام النهاية، قيلَ في حقّه، عليه السلام: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (القرآن الكريم ٥٣/١٧).

ومعنى حقيقة الاستقامة، هو شرح الصدر، ورفع الذكر، ودعوة العباد

---

(١) من، في الأصل: مع.

(٢) انظر المعجم المفهرس ٥: ٤٩٧، تحت: قوم، وانظر بهجة الطائفة، فصل٢، ص ٢٠/١ ــ ٢.

(٣) قارن ما يتبع بما ورد في الفصل ٢ من بهجة الطائفة، ص ١٨ وما يليها.

إلى التقويم، والصراط المستقيم، ولا يصلُحُ للدعوة والتقويم إلاّ كلٌّ كامل مستقيم.

وأمّا استقامة الإيمان فهو نوعان: نوع لموجب[١] الأعمال، ونوع بموجب الأحوال.

فالذي لموجب[١] الأعمال: الاتّصاف بمكارم الأخلاق، وجميع الآداب، وأسنى الطرائق، وأزكى الأعمال. كما قال، عليه السلام: «المؤمن كَيِّسٌ فَطِن حذر ألفٌ مألوفٌ غرّ كريم[٢] وقّاف في[٣] الأمور غير عجول»، إلى غير ذلك من الأوصاف المَرْضِيّة: فرّار من المناهي والمكروهات كالفرّار من النار، فعّال لزّام للأوامر والنوادب والواجبات والمستحبّات والمسترغبات[٤] في قدم المجاهدات والرياضات. هذا فيما بينه وبين الحقّ سبحانه. وأمّا ما بينه وبين الخَلْق < فـ > بمحاسن الأدوات، واتّصال الراحات، والمعاونة في المهمّات، وبذل المجهود معهم في الملمّات، والمشاركة لهم في المسرّات والمضرّات، حتّى يسوءه ما يسوءُ [لـ] عدوه، (١٠ ب) عن[٥] صديقه، ويسرّه ما يسرّ [لـ] عدوّه، ليكون مؤدّياً لشرائط أخوّة الإيمان، وكذا < لك > حقوق الأُخوّة من استقامة الإيمان، وترك حقوق إخوان الإيمان من ضدّ الاستقامة. ولا[٦] كلّ إيمان في مقام الاستقامة، ولا كلّ مؤمن مستقيم.

---

(١) لموجب: كذا، والأصحّ: بموجب.

(٢) قارن بالمعجم المفهرس ١ : ١١٣، حيث ورد: «المؤمن غِرّ كريم».

(٣) في، في الأصل: قي.

(٤) والمسترغبات، في الأصل: والمستربات.

(٥) عن، في الأصل: من.

(٦) ولا، بمعنى: وليس.

وأصل الاستقامة: العدل، فمتى كان الإيمان في حدّ الاستقامة، ظهر العدل بين الطبع والشرع والجهل والعلم. وإذا ظهر البُعاد بين الأضّداد في ٣ العبد، فذلك من علامة استقامة الإيمان.

ومن أوصاف استقامة الإيمان استواء السرّ والعلانية، كما ورد في الخبر: «لا يؤمن أحدكم حتّى يكون قلبُه ولسانُه شيئاً واحداً[١]، وحتّى يحبّ ٦ لأخيه ما يحبّ لنفسه»[٢]. وليس المُراد به نفي الإيمان بالكُلّيّة، وإنّما أراد به كمال الإيمان وحقيقة الإيمان[٣]. فكما بالطاعة والمحامد يزداد[٤]لك، بالمعصية والمذامّ يَنْقُص.

٩ وأمّا النوع الذي هو بموجب الأحوال، فهو الإيمان في رتبة المعاينة والعرفان والإيقان. فإذا استقامت[٥] رُتْبَتُه في الأعمال، نُقِلَ إلى الأحوال. كما ورد: «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحِبّه»[٦]، الحديث. ١٢ والمحبّة من الأحوال. والطريق إلى الأحوال هو الأعمال. فما كان في مقام العمل عاملاً له، موقناً به، ففي مقام الحال يكون مشاهداً له، ناظراً إليه. يَدُلُّ عليه قول حارثة[٧]: أصبحت مؤمناً حقّاً[٨]. قيل له: وما حقيقةُ

---

(١) شيئاً واحداً، لم ترد في النصّ، بل أضيفت في الهامش هكذا: شيء واحد.

(٢) قارن بالمعجم المفهرس ١:١٠٨، تحت: أمن.

(٣) وحقيقة الإيمان: أضيفتا في الهامش.

(٤) يزداد، في الأصل: يزاد.

(٥) استقامت، في الأصل: استقام.

(٦) قارن بالمعجم المفهرس ٦:٥٢٩، وقارن ببهجة، فصل ٣، ص ٢٨/ ١٠ ــ ١٢.

(٧) حارثة: هو الصحابيّ حارثة بن مالك الأنصاريّ.

(٨) انظر إحياء علوم الدين، طبعة مصر ١٣٤٨، ٤ : ١٩٠، وكتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ص ١٠٦، حديث رقم ٣١٤، وانظر أيضاً عوارف المعارف ٦٤، ولقد ورد=

إيمانك؟ فذكر المشاهدة، فقال: كأنّي أنظر إلى عرش ربّي بارزاً[١]. ونُقِلَ من العلم إلى المعرفة.

فصل < ٩: في أنّ المعرفة مشاهدة ومعاينة >

والمعرفة مشاهدة ومعاينة. فالمشاهدة في مقام القُرْبة والمحبّة.

فأوّل الاعتدال، استقامة كسب ومجاهدة في قدم الأعمال، وآخر الاعتدال، استقامة قرب ومشاهدة في قدم الأحوال. ونهاية استقامة[٢] الإيمان في الأحوال اتّصاف القلب بالمشاهدات، والقالب بالآيات والكرامات. فيكون العبد بإيمانه مستقيماً، وبعرفانه على صحّة العبوديّة مقيماً. فمن استقام إيمانُه، تَمَّ عيانُه وعِرْفانُه، وأثمرت حركاته وأثَّرت إشاراته. حكي عن إبراهيم بن أدهم[٣]، رحمه الله، (١١ آ) أنّه كان قاعداً في الحرم تجاه الكعبة، فجاءه رجل، فقال: يا شيخ، ما علامة الرجل المستقيم؟ فقال: أن يتحرّك لإشارته هذا الجبل. وأشار إلى جبل أبي قُبَيْس، فتحرّك الجبل. فقال: اسْكُنْ، فما لك أعني، فسكن[٤]، هذه علامة نهاية الاستقامة.

وأمّا استقامة اللّسان فنوعان: نوع ظاهر بموجب العلم، ونوع باطن بموجب المعرفة.

= خطأً في فهرس الترجمة الألمانيّة لعوارف المعارف للأستاذ غرامليش ص ٤٨٨، بدل: حارثة بن مالك الأنصاري، حارث بن بدر بن حسين التميميّ، وانظر أيضاً قوت القلوب ٢: ١٧١.

(١) انظر إحياء علوم الدين، طبعة مصر ١٣٤٨، ٤: ١٩٠، وقوت القلوب ٢: ١٧١ وقارن ببهجة الطائفة، الفصل ١٥، ٧٣/١ ــ ٣.

(٢) استقامة، في الأصل: الاستقامة.

(٣) انظر طبقات الصوفيّة، تحقيق شريبة، ٢٧ ــ ٣٨ والمصادر المذكورة هناك.

(٤) انظر بهجة الطائفة، فصل ٢، ص ١٩/ ١٣ ــ ١٥.

فالاستقامة بموجب العلم أن لا ينطق إلاّ بإذن العلم، فيما له فيه[(١)] الإذن، صامتاً ساكتاً عن أن ينطق بهواء نفسه البتّة، ما دام هو في تصرّف العلم. فإذا جاز إلى تصرّف القلب، فيصير باباً مغلقاً للقلب، لا ينفتح إلاّ بإذن القلب. قال بعضهم: كنت ثلاثين سنة يسمع لساني من قلبي، ثمّ صرت ثلاثين سنة يسمع قلبي من لساني[(٢)]. مثالُه مثال التعلّم في حضرة العالم: ما دام العالم يتكلّم فهو المُصْغَى إليه؛ فإذا سكت العالم، نطق المتعلّم. كذلك حكم على اللّسان بالسكوت. ولمّا كان القلب في تربية الاستقامة، قيل[(٣)] للّسان: اصْغ إليه لتستقيم. فلمّا حصل له الاستقامة، قيل للقلب: اصْغ إليه. ومثله مثل الصبيّ، يُصْغي إلى أستاذه ليسمع منه ما يتعلّم. فإذا تعلّم، أصغى إليه الأستاذ ليسمع منه ما حفظ.

فصل < ١٠: نوع ثالث من الاستقامة >

وفي الاستقامة نوع ثالث، وهو أن لا ينطق إلاّ عند إجازة النطق. وجواز النطق له شيئان[(٤)]: أحدهما بإشارة العِلْم، والثاني بإشارة الحال. ولا يجوز له الحال إلاّ بعد التحقّق في السكوت، وهو أن لا يبقى في اللّسان صفة يكرهها القلب. فإذا تكلّم بإذن القلب، فعلامته أن لا ينطق إلاّ عن حال، ولا يُعَبِّر[(٥)] إلاّ عن مشاهدة، ولا يخبر إلاّ عن فعل وذوق، فيسلّم إليه (١١ ب) التكلّم. ويجوز له الكلام، عند استقامة اللّسان. وإذا استقام

---

(١) فيه، أضيفت في الهامش.

(٢) «... ومكثتُ عشرين سنة لا يسمع لساني إلا من قلبي، ثمّ حالت الحال فمكثت عشرين سنة لا يسمع قلبي إلا من لساني»، التعرّف لمذهب أهل التصوّف ١١٥.

(٣) قيل، في الأصل: وقيل.

(٤) شيئان، في الأصل: شيئين.

(٥) يعبّر، في الأصل: يغيّر.

اللّسان، فشرطه استقامة القلب، وإذا استقام القلب، فشرطه استقامة الإيمان. وإذا استقام الإيمان، فشرطه استقامة جميع الأركان. وإذا استقام الأجزاء والأركان، فشرطه استقامة الطبع والإسلام والعقل والإيمان. كما ورد في الخبر: «إنّ في جسد ابن آدم مُضْغَةٌ، إذا صلُحت صلُح لها سائر الجسد، ألا وهي القلب»[1].

وباب الاستقامة: اللّسان. ومحلّ الاستقامة: القلب. وشرط الاستقامة: حصول حقيقة الإيمان، ومعناه: اليقين.

فصل < ١١: في أنّ الكلام مع عدم الاستقامة حرام >

فإذا كان اللّسان بحكم القلب، والقلب بحكم الرّبّ، فقد استقام القلب واللّسان والإيمان. فعند ذلك يجوز له التكلّم على الناس. ومعنى اليقين: المعرفة. وحاصل الأمر أنّ التصدّي للكلام مع عدم الاستقامة حرام ووبَالٌ على المتكلّم، وحاصلُه مُحال. إذ لا يصلح لمرتبة التكلّم على الناس إلاّ عالمٌ مستعملٌ لعلمه، أو عارفٌ ينطق عن حقيقة حاله، أو رجلٌ قائم لله بلا سبب، أو مريد زال عنه الطَّمَع. فهؤلاء من[2] أهل تصفية القلوب، والمُجْتنين لثمرات أسرار الغيوب، بعد أن هذّبوا النفوس، وأدّبوا الجوارح، وصاموا عن الدنيا وما فيها. فكان فطورهم على وجدان اللّذات، من أسرار المعاملات، وصفاء الأوقات.

وهذا الصوم بموجب الأعمال. فلعلوّ هممهم، وصفاء قلوبهم، عرفوا أنّ الصوم بموجب الأحوال أزكى عند الله، وأرفع عنده. فاختاره موت

---

(١) قارن بالمعجم المفهرس ٦: ٢٣٥، تحت: مضغ، وانظر أيضاً بهجة فصل ٢، ص ٢٦/ ١٥ ــ ١٧.

(٢) من: مكرّرة في الأصل.

الإرادة بالدخول (١٢ آ) في الزاوية كالدخول في الحافرة[1]. وقاسوا شدّة تصفية الوجود، لحصول أنوار الشهود. وفي حقّهم قيل: «إنّ لربّكم في أيّام ٣ دهركم لنفحات، ألا فتعرّضوا لها»[2]. ولأجلها اختاروا الممات، عن الرسوم والعادات، وانفردوا بصدق الإرادات، تصحيحاً للعبوديّة والمعاملات.

٦ فصل < ١٢: في الوحدة والخلوة >

فعلى الحقيقة: من ذاق لذّة أنس الوحدة، عرف أنّ المتفرّد لأجل الحقّ، كالميّت عن الخلق. وإنّما اختاروها، لأنّهم صادفوها دواءً لعلل ٩ النفوس، وأنفع احتماء في المحسوس. وكيف لا يكون كذلك، وهو دأب الأولياء، وقد كان قبلهم من سنن الأنبياء؟ وقد اشتهر عن النبيّ، ﷺ، أنّه تخلّى في غار حراء. وكان في بدء الأمر قد حُبِّبَ إليه الخلاء، وظهر عليه ١٢ تأثير الذكر، حتّى قال العرب: إنّ محمّداً عشق ربّه.

وأوّل الأمر خَلْوَة، ثمّ آخرها جَلْوَة. وقد يكون للمجذوب جلوة ثمّ خلوة، ومشاهدة ثمّ مجاهدة. وقاعدة السلوك: في الأوّل خلوة ثمّ جلوة، ١٥ ومجاهدة ثمّ مشاهدة. فالخلوة صوم القلب، وفطورُه الجلوة. وكما في صوم الجسد يحصل للجسد ضعف وجوع، فمن صوم القلب يحصل للقلب حزن وانكسار. وكما أنّ إفطار صوم الجسد مُحالٌ إلى الطّعام، كذلك إفطار ١٨ صوم القلب مُحالٌ إلى الإلهام. وقد قال، عليه السلام، مخبر< اً > عن الله: «إنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين، وأنا عند المنكسرة قلوبهم»[3]. فصار إفطار القلب الحزين على فطور الأنس، وإفطار القلب المنكسر على

---

(١) الحافرة: هنا بمعنى القَبْر.

(٢) قارن أيضاً ببهجة فصل ٤، ص ٢٩/ ١٢.

(٣) قارن ببهجة، فصل ٥، ص ٣٣/ ١٤ ــ ١٥.

فطور القرب. لأنّ الأنس[١] من أوصاف المحبّة، كما أنّ القرب من أوصاف العِنْدِيّة.

فصل < ١٣: في صوم الحقيقة، وتفاوت القلوب > ٣

فالصومُ الواجبُ عبارة عن منع النفس عن (١٢ ب) وَطَرِها وعادتها، حلالها وحرامها، إلى وقت معيّن من آخر النهار وأوّل اللّيل. فهناك يحلّ عليه المباشرة إلى قضاء وَطَرها وتناول عادتها بسبب يحِلُّ ويُحْمَد. لأنّ ٦ المحرّم شرعاً يُفْسِد الصوم ويُذْهِب فضلَه، ويحكم عليه بالكفّارة والقضاء.

< علماء الحقيقة يؤسّسون صوم الحقيقة >:

ومن هذا الباب دخل علماء الحقيقة إلى مقعد صدق التَّحَقُّق. فأسّسوا ٩ صوم الحقيقة، وصوم الحواسّ أجمع، عن المباحات، فضلاً عن المكروهات والمحرّمات، في صوم الجوارح، وزعموا أنّ كلّ شيء فيه للنفس حظٌّ وشهوة فهو مُبْطِلٌ لفضل الصوم، ومُعْدِم لتأثير فائدة القلب من ١٢ الصوم، وإن كان ذلك مباحاً في الشرع. إذ وإن كان مباحاً، فيه حظُّ النَّفْس، فهو نوع من المعصية. لأنّ ذلك عندهم من جملة المحرّماتِ التي يجب عليهم تركها[٢]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ (القرآن ١٥ الكريم ٦/ ١٢٠). قال بعض الصحابة: «كنّا نضع سبعين ضعفاً من الحلال مخَافةَ أن [لا] نقع في الحرام». لأنّ الحلال عندهم ما ليس للنفس فيه حظّ، وللقلب فيه فائدة وزيادة. وهو ما كان معاوناً على البرّ والتقوى، ومَرْضِيّاً ١٨ عند الله: وذلك ما يقبله القلب وينشرح به. وأمّا ما كان للنفس فيه تقويَة، فذلك عندهم ممقوت متروك. لأنّ ذلك عند الله مبغوض مكروه. فكان حكم

---

(١) وإفطار القلب... لأنّ الأنس: أضيفت في الهامش.

(٢) تركها، في الأصل: تركه.

القوم في الحلال والحرام محبوبَ القلب والنفْس. وذلك من مادّة الحقيقة عند انكشاف أنوار البصيرة. فصار عندهم الأعمال ظاهراً وباطناً. لأنّهم لمّا حفظوا لوازم الشرع في الأعمال، ودقّقوا النظَرَ في طريق طلبٍ له أحوال، كشف الله لهم عن باطن أسرار الأحكام، وعرّفهم علومَ الآفات، وجعلهم من علماء المعاملات، < و > حصل لهم في الأحكام تصرّف ونظر، (١١٣آ) فما من حكم من أحكام الشرع إلاّ ولهم فيها باطن وحقيقة وأسرار. فالصوم[1] عندهم كذلك، إذ لهم[2] صوم وحقيقة صوم. فالصوم هو الواجب الشرعيّ على ظاهر العبد وباطنه.

وحقيقة الصوم هو صوم القلب، وهو عبارة عن التزام طلب مطلوب واحد، وهو الله تعالى. فإذا صام لأجله عن جميع ما سوى الله، شاهد بقلبه الله[3]، ولأجل ذلك حَفِظَ الله قلوبهم عن الآثام الباطنة. إذ < إنّ > قلوبهم محلّ نظره، وموطن أنسه. وكما حفظ قلوبَهم عَن الآثام الباطنة، حفظ جوارحهم عن الآثام الظاهرة.

فالقلوب متفاوتة، وصوم القلوب متفاوتٌ، ومعاصي القلوب متفاوتة. وسنذكر تفاوت القلوب في ثلاثة أصناف من أهل الحقيقة: أهل الإرسال، وأهل الأحوال، وأهل الأعمال.

< صوم قلوب أهل الإرسال >:

فقلوب أهل الإرسال من الأنبياء أقرب وأرقّ وأصفى وأصلب.

وأقرب إلى الله لتقدُّمِه موجوداً في علم الله على سائر الموجودات. كما

---

(١) فالصوم، في الأصل: فلصوم.

(٢) من كلمة «وحقيقة» إلى «لهم صوم» أضيفت في أعلى الصفحة وكُتِبَت بالمقلوب.

(٣) الله، في الأصل: لله.

قال، عليه السلام: «كنت نبيّاً وآدمُ بين الماء والطين»[١]، وقوله: «أوّل ما خلق الله نوري»[٢]. وأرقُّ لديه، لوفور معرفته وخوفه. وقال، عليه السلام: «أنا أعرَفُكم بالله وأشدُّكم له خوفاً»[٣]. فلرقّة قلبه شدّةُ خوفه، ويمقتضى ٣ خوفه زيادةُ معرفته. وأصفى لله في شهود أنوار الربوبيّة من كدورة الطبع والبشريّة. وأصلب في دين الله ودعوة الخلق إلى الحقّ. والشركُ مشتهِر، والتوحيد عندهم مستنكر. والرسول، ﷺ، بقوّة الإرسال عليهم مستظهِرٌ ٦ منتصِر، مع عدم كثرة شوكته من البشر. فلم يمتنع ولم يرتدع عن قول الحقّ وإظهاره، حتّى أُوضِحَ الحقّ وأُظْهِرَ، وأُضْحِضَ الباطِلُ ودُمِّر. وأزال بقوّة معروفه المُنكَر، وقيل في مشارق الأرض ومَغاربها: اللّهُ أكبر، (١٣ ب) اللّهُ ٩ أكبر. ما ذاك إلاّ لقوة قلبه من ربّه، وعدم خوفه من غيره. وقد ورد: «إنّ لله في الأرض أوانيَ، وهي القلوب. فأحبّها إلى الله أرقّها وأصفاها وأصلبها»[٤]. فيظهر من الرِّقّ الخوف، ومن الصفاء المعرفة، ومن الصلابة ١٢ اليقين. فيكون بالخوف مع الله، بصحبة العبوديّة، عبداً على الحقيقة، ومع الخلق بغاية الشفقة، وبالمعرفة مع الله بدوام الرضا في كلّ حال، ومع الخلق بسلامة الصدر. وباليقين مع الله بدوام الاسترسال، ومع الخلق بدوام ١٥ الاحتمال. فصحّة العبوديّة، وصحّة المعرفة، ودوام الاسترسال هو صوم القلب.

وصوم هذا القلب يعلو رتبةَ الإرسال: أعلى، وأخصّ، وأكثر فائدة، ١٨

---

(١) انظر هذا الحديث أيضاً في بهجة الطائفة، فصل ٣٣، ص ١٢٩/ ٢ ــ ٣، وفي الدرّة اليتيمة ٦/٣٣.

(٢) انظر هذا الحديث أيضاً في بهجة الطائفة، فصل ٣٣، ص ١٢٩/ ٢.

(٣) انظر أيضاً بهجة الطائفة، فصل ٥ ص ٣٤/ ١٣!.

(٤) انظر أيضاً بهجة الطائفة، فصل ٢، ص ٢١/ ٩ ــ ١٠.

وأطيب ثمرة. وكلّ ذلك سرّ قوله، عليه السلام: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسَل»[١]. أخبر، صلوات الله عليه وسلامه، بخلوة قلبه مع ربّه، ثمّ قيّدها بالوقت، لأنّه حال يحلّ ثمّ يحول. ففي وقت حلوله لم يسعه إلاّ الامتناع عمّا سواه. وهذا هو حقيقة الصوم للقلب، وهو أمرٌ ربّاني بوقتٍ معيّن: إذا حلّ، لم يسع العبد إلاّ الامتناع عن ضدّه. وكما أنّ وجوب الصوم إذا حلّ، أُشْغِلَ به عن غيره، كذلك حقيقة الصوم: إذا حلّ بالقلب أُشْغِل القلبُ عن غيره. ولا[٢] كلّ من صام بجوارحه صامَ بقلبه. ومن لم يصم بقلبه لم يجد سرّ الصوم في قلبه. وانعدام ذلك لقوم بانعدام القلب، ولقوم مع وجود القلب، لاستيلاء الغفلة. فعلى قدر زوال غيم الغفلة من وجود القلب تظهر شمسُ يقظة القلب، فيظهر فيها وجود الحالة بحُسْن القلب حينئذ، بفائدة الصوم: إمّا بوجدان رقّة، أو وجدان خوف، أو وجدان خشية (١٤آ) أو خشوع، أو وجدان لذّة وحلاوة وأنس وفرح، أو كشف عن سرّ، أو شهود لأنوار، أو استغراق في حالة قبض أو بسط. وكلّ هذا، وأضعاف هذا، من إمارات صوم القلب. وذلك للقلب بمثابة فطور الجسد. وكما أخبر، عليه السلام، بحالة قلبه مع الله بالانفراد ممّا سواه، بمثابة امتناع الصيام عن ضدّ صومه، أخبر عن ثمرة حاله من الله بمثابة فطور الصائم، فقال: «لست كأحدكم، إنّي أبيت عند ربّي فيطعمني ويسقيني»[٣].

---

(١) انظر بهجة الطائفة، فصل ٥، ص ٣٢/٦ ــ ٧ وفصل ١٨ ص ٧٩/١٢ ــ ١٣ حيث يختلف النصّ في بعض الكلمات.

(٢) ولا، كذا، ولعلّ الأصحّ: وما.

(٣) ينْسُبُ هذا الحديثَ إلى الرسول الكريم، أبو بكر دُلَف بن جَحْدَر الشِّبْلي المتوفَّى سنة ٣٣٤ هـ/ ٩٤٦ م، انظر طبقات الصوفيّة للسُّلَمي، تحقيق شَرِيبَة، ٣٣٩ ولواقح الأنوار للشعرانيّ ٢ : ٨٩/ ١٣ ؛ أبيت : أظلّ؛ وانظر أيضاً بهجة الطائفة الفصل ٥، ص ٣٢/ ٧ ــ ٨، والفصل ٦، ص ٣٩/ ١٣، حيث يبدأ الحديث بدون كلمتي : «لست كأحدكم».

أي: قلبي يبيت[١] عند ربّي كضيف نزل بقوم وهو جائع عن[٢] الطعام، عطشان إلى الشراب. كذلك القلب يبيت عند الربّ، من مسافة قطع سفر سير وجوده، وهو جائع إلى شهود الله، وذلك طعامه، وعطشان إلى أُنْس السماع من الله، وذلك شرابُه. فليعلم من لا ذوق له من الصوم، أنّ صومَ القلب وإفطارَ القلوب، على أسرار الغيوب، على هذه الحالة المنقولة إليه من حاله، عليه السلام. فهذا الجنس < هو > صوم قلوب أهل الإرسال. وصوم قلوبهم أعلى الصيام، إذ قلوبهم أَصْبَغُ القلوب، وفطور صوم قلوبهم أخصّ الفطور. لأنّهم في أوّل الصفّ من العزّة، فقلوبهم مُحاذية لأنوار العزّة، وأنوار العزّة ساطعة إلى قلوبهم، ثمّ من قلوبهم يسطع إلى الآفاق، ومن الآفاق يسطع إلى باقي[٣] القلوب. وأيّ قلب يُطيق أشعّة أنوار العزّة إلاّ قلوب الأنبياء؟ فقلوبهم مرآة بين الحقّ والخلق. فلولا وجودُهم، وشهودُ قلوبهم، وحالُهم مع الله، ووحيُهم من الله، لقلّ أن توجدَ شريعة، أو حقيقة، أو أعمال، أو أحوال، كما كانوا هم أعزّ الخليقة وأقدمهم مع الله. كذلك قلوبهم أقرب القلوب إليه، وأحوال قلوبهم (١٤ ب) أشرف عنده. فكذلك ذنوبهم وآثام قلوبهم أدقُّ وألطف، وعتابهم من الله على جنس ذلك. كما قيل: حسنات الأبرار سيّئات[٤] المقرّبين. وكلّ من لقلبه حال مع الله، فلقلبه صوم لله. وعلى قدر صومِه فطورُه.

< صوم قلوب أهل الأحوال > :

وأمّا صوم قلوب أهل الأحوال، فصوم قلوبهم بالمراقبة والجمعيّة.

---

(١) يبيت: أضيفت في الهامش.

(٢) عن: كذا في الأصل.

(٣) باقي، في الأصل: باق.

(٤) سيّئات، في الأصل: سيآت.

فالمراقبة للقلب كالعُزْلة للجسد. والجمعيّة للقلب كالصمت للّسان عن قول الزُّور. فكما أنّ قول الزور يُفطر البدنَ عن صومه، كذلك التفرقة ٣ يفطر القلبَ عن صيامه. وكما أنّ المخالطة مع الناس تفسد العزلة، كذلك ترك التفقّد وعدم التذكّر يفسد المراقبة. إذ ليس ضدّ المراقبة إلاّ التغافل عن القلب، والتشاغل عن الخواطر. وإنّما صوم الأحوال محافظة[1] القلب عن ٦ ذكر ما يفسد الصوم، كمحافظة الجوارح عن فعل ما يُفسد الصوم[2].

< معصية القلوب > :

ومعصية القلوب هو ذكر المعصية، خصوصاً إذا كان قصداً واهتماماً. ٩ كما ذكر الله، جلّ وعزّ، في حقّ يوسف، عليه الصلاة والسلام، في قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ (القرآن الكريم ١٢/ ٢٤)، ذكر ذلك في معرض التوبيخ بقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ (القرآن الكريم ١٢/ ٢٤). وكان ١٢ ذلك في حقّه من الذنوب القلبيّة، وذلك لعلوّ شأنه معما[3] أنّ الشرع قد عفا عن حديث النفس، ما لم يعمل أو يتكلّم به. إلاّ أنّ الأكابر لا يُسامَحون بالخطرات، كما لا يُسامَح الأصاغر بالحركات. وأيضاً، فإنّ القلب بذكر ١٥ المعصية يتوسّخ، كما بذكر الطاعة يتنوّر. فمؤاخذات أهل القلوب على معاصي القلب، لا على معاصي الجوارح، لأنّهم عن ذلك في حفظ. وإنّما اجتهادهم مكابدتهم في تصويم القلب عن معاصيه وآثامه، ليكونوا من حيث ١٨ القلوب محفوظين، (١٥ آ) كما من حيث الجوارح. إذ كما له طاعات وعبادات ومعاملات شريفة خفيّة، كذلك له ذنوب وسيّئات دقيقة خفيّة.

---

(١) محافظة: هنا بمعنى: حِفْظ.

(٢) كمحافظة... الصوم: أضيفت في الهامش.

(٣) معما: كذا في الأصل، ولعل الأصحّ أن تسقط «ما».

قال، عليه السلام: «الشرك في أمّتي أخفى من دبيب النّمل»[١].

< أنواع القلوب > :

أمّا قلب عُزل عن مراتب الأعمال والأحوال فليس له ذكر في مراتب القلوب. وإنّما ذلك مسخّر لخدمة النفس الأمّارة بالسوء. فمعاصيه جليّة ظاهرة.

وقلب، هو مستقيم في مراتب الأحوال، متحقّق بالأحوال في الأحوال، فالأحوال صفته. فصومه عن مشاهدة، لا عن مجاهدة، كصوم حارثة < بن مالك الأنصاريّ >، حين قال: «أَسْهَرْتُ ليلي، وأظمأت نهاري»[٢]. ثمّ ذكر المشاهدة.

وقلب ثالث هو في طريق الاستقامة، متحفّظ بالأحوال. فالأحوال حفظته وحَمَأَته[٣]. فصومه عن مجاهدة وثمرة ولذّة، لا عن مشاهدة ومعاينة.

وقلب رابع، ليس بمستقيم، ولا في طلب أن يكون مستقيماً. فأغلب الظنّ أنّ هذا: كما < أنّ > لا طريقَ له إلى الأحوال، لا طريق له إلى الأعمال. فصومه صوم الجوارح. وعنه قوله، عليه السلام: «رُبَّ صائم ليس له من صومه إلاّ الجوع والعطش»[٤]. فهذا إن سلم له جوعه وعطشه من

---

(١) انظرِ المعجم المفهرس ٢: ١٠٧، تحت: دبيب، وبهجة الطائفة، فصل ٣١، ص ١٢١/١٣ ــ ١٤، ١٢٢/١٢.

(٢) انظر كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ص ١٠٦/٦، حديث رقم ٣١٤.

(٣) حمأته: بمعنى طهّرته، والفعل من الأضداد؛ «حمأ البئرَ يحْمَؤُها حَمْأً: أخرج حَمْأَتها وترابَها، وحمأ ألقى فيها الحمْأَة (ضدّ).

(٤) انظرِ المعجم المفهرس ١: ٤٠٢، تحت: جوع.

الآفات، انحظى[١] بالثوابِ على جوعه وعطشه. وإن خالط ذلك شيء من الآفات صار محروماً: فلا ثواب، ولا اقتراب. ولَيْتَه خلُص من الحساب والعذاب. وأعظم الخطر في أعمال البدن إذ< ا > لم يتابعه القلب إبطال[٢] العمل. وليتَه إذا بطُل ثوابُه بطل عقابُه وحسابه.

< شرائط صوم القلب >:

وكما أنّ لصوم القلب شرائط لا يجب إلاّ بها، كذلك لصوم القلب شرائط لا تصحّ إلاّ بها.

١ ــ وأوّل الشرائط وجود القلب متيقّظاً، كوجود الصبيّ بالغاً مسلماً. ومع كونه متيقّظاً، أن يكون متحفّظاً أو طالباً في طريق التحقّق. لكون المسلم البالغ (١٥ ب) أنجب.

٢ ــ وأن يكون عالماً بواجبات الصوم، أو متعلّماً. لأنّ اليقظة والطلب من مقام البداية. والتحقيق في الصوم من مقام النهاية. فأهل البداية، بعد التيقّظ، من شأنهم الطلب، بوجود المجاهدة، كوجود الطلب[٣] للبالغ، بالعلم أو بالتعلّم. فالقلب شرط، والتيقّظ فيه شرط ثانٍ، والمجاهدة، بمثابة العلم، شرط ثالث، ثمّ الأحوال، بمثابة الإسلام، شرط رابع.

فالمراد من إيجاب الأعمال، تعبّد القلب، ثمّ تعبّد الجوارح. كما قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ٥٠). والتقوى من تعبّد القلب. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾

---

(١) انحظى، كذا، والأصحّ: احتظى، بمعنى: حَظِيَ.

(٢) إبطال، في النصّ: ابطل، والتصحيح من الهامش.

(٣) الطلب: أضيفت في الهامش.

(القرآن الكريم ٩٨/ ٥)[١]. والإخلاص من أعمَال القلب. إذ لا مُرادَ للقلب إلاّ الربّ، ولا مطلوب له سواه. فما من عمل من الأعمال أمر الله القيام بذلك، إلاّ وصفة ذلك[٢] العمل من وظائف القلب. كما أنّ صورة العمل من وظائف القالب.

والمراد من وضع التكاليف تهذيب النفوس، وتصفية الجوارح، وتزكية القلوب، ولأجل المعرِفة. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (القرآن الكريم ٥١/ ٥٦). وهيهات أن يحصل تهذيب وتصفية بدون تزكية القلوب. والمراد من ذلك حصول الاعتدال والاستقامة للطبع والنفْس البشريّة. وكلّ ذلك موقوف على وجود القلب. فإذا وُجِد كمالُه وتصرّفُه ظهر الاعتدال والاستقامة.

ثمّ إن نظرت في أصل الإيجاد للموجودات، وفي سرّ مُراد الله في إظهار الموجودات، عرفتَ أنّ المراد من خلق الجميع: إيجاد القلب. وهو مُضمَر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (القرآن الكريم ٤٩/ ١٣)، ولا تقوى[٣] إلاّ بالقلب. فلمّا كان هوَ الأصل من المخلوقات ـــ وهو المراد من تكوين الأجساد ـــ بمثابة الدُّرّ في باطن الصَّدَف. والمراد من تكوين (١٦ آ) الصدف: الدرّ. ثمّ المراد من خلق الدرّ نفع العالم. والمراد من خلق العالم حصول المعرفة لقيمة هذا الدرّ. فالقلب هو الدرّ فِي صدفِ الوجود، وهو من أعزّ الموجودات عند الله. فمن كان عند الله عزيزاً، جعل ذلك الموجودَ العزيزَ خلعةً له منه. لأنّه هو الطريق إليه، والدليل عليه. إذ هو لوح محفوظه، وعرش تجلّيه. ولذلك قال < تعالى >: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

---

(١) ليعبدوا، في الأصل: ليعبد.

(٢) ذلك، في الأصل: تلك.

(٣) تقوى، في الأصل: يقوى.

لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/٣٧)، معناه: من كان له قلب، فله منّا ذكرى. لأنّ القلب هو المُخْبِر والمحدّث عن الله، ومن الله.
٣ كما ورد في الخبر عن الله تعالى، يقول: «أُقبِل عليهم بوجهي؛ أترى أنّ من واجهتُه بوجهي يعلمُ أحدٌ أيَّ شيء أريد أن أُعطيَه؟» ثمّ قال: «أوّل ما أعطيهم، أن أقذفَ نوري في قلوبهم، فيخبرون عنّي كما أخبر عنهم».

٦ < البِدْليسي يتحدّث عن هذا الكتاب > :

قال الشيخ[١]: وقد أشرنا بطريق التلويح، لصغر حجم هذا الكتاب، من مبادئ ما أخذ الذوق من وجدان الثمرات من أعمال القلوب. ولم يكن
٩ الغرض إلاّ الكشف عن حقيقة صوم القلب فحسب. وقد ذكرنا من ذلك نُبَذاً في جميع الكتاب، وأنّ للقلب أعمالاً وأحوالاً، وأنّه هو المراد للعبادة المَحْضة بقوله عزّ وجلّ: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ (القرآن الكريم
١٢ ٥٨/٢٢)، ثمّ زيّن الإيمان، بالإتقان والعرفان، ثمّ خصّص العرفانَ، بالمشاهَدَة والعيان. فقال عزّ وجلّ: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (القرآن الكريم ٥٠/٢٢). فالأعمال تكليف عليه، والأحوال تشريف
١٥ من الله إليه. ومن وصلَ إلى قلبه، وصل إلى ربّه. ومن عرف لقلبه، عرف لربّه. وعلى من فُتِحَ الطريق إلى عالم القلب، فُتِحَ له إلى حضرة[٢] الربّ. فهو تارةً في شهود الصفات، وتارة في شهود صفات الذات. ومن عرف
١٨ (١٦ب) طريق مناسبة الأعمال من الأحوال، يوشك أن يقع من أعمال الجوارح إلى أعمال القلب، لِمَن يعلم حقيقة العبوديّة. ومعنى حقيقة العبوديّة[٣] أن يعبد الله تعالى بكلّيّته: بظاهره وباطنه وقلبه وسرّه وخواطره.

---

(١) الشيخ: هو عمّار البدليسيّ.
(٢) حضرة، في الأصل: حضرت.
(٣) ومعنى حقيقة العبوديّة: أضيفت في الهامش.

وثمرة ذلك أن يجد في كلّ تعبّد فضلَ الربوبيّة، بطريق الذوق والمشاهدة، بعد التحقّق في المجاهدة.

فأوّل الأمر العلم بأعمال القلوب. ثمّ الاستعمال لأعمال القلوب بالرياضات والمجاهدات. ثمّ الذوق للذّة ثمرات أعمال القلوب. ثمّ المشاهدة لمراتب أعمال القلوب بالزيادة والنقصان، والردّ والقبول، والصفاء والكدورة. ثمّ الوجدان لشراب القلوب من الأعمال. ثمّ معرفة ما يُلقَى إلى الباطن من نزغات العدوّ[1]، من خفايا الاغترارات، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (القرآن الكريم ٧/ ٢٠١)[2].

فصل < ١٤: في الفرق بين معاملة أهل الأعمال أو التعبّد وبين أهل الأحوال أو السلوك >

قال الشيخ[3]، رضي الله عنه: وإنّما صوم الحقيقة والأحوال صوم عن أشياء لأجل أشياء. كما أنّ صوم الشريعة والأعمال صوم عن المنهيّات لأجل المأمورات، فكذلك القلب يصوم عن الدخول في المعاملات بموجب الأمر والتقليد، بل بموجب الأمر والمشاهدة. وهذا هو الفرق بين معاملة أهل الأعمال ومعاملة أهل الأحوال. فأهل الأعمال هم أهل التعبّد، وأهل الأحوال هم أهل السلوك. ومعاملة المتعبّد الواقف لا ترقّي لعمله، بل هو واقف مع صورة المعاملة، لا جواز له إلى صفة المعاملة. إذ لو جاز لوصل

---

(١) نزغات العدوّ: فيها إشارة إلى القرآن الكريم ٧/ ٢٠٠ و٤١/ ٣٦: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾.

(٢) طائف، في الأصل: طيف.

(٣) الشيخ: هو عمّار البدليسيّ.

إلى الأحوال. ومن وصل إلى الأحوال، تحقّق في الأحوال. والتحقّق في الأحوال، هو نهاية الكمال.

٣ فلمّا لم يكن للمتعبّد (١٧ آ) الواقف تخطٍّ[١] من[٢] أوّل رتبة التوبة إلى آخر رتبة التوبة، سمّي ذلك المقام تعبّداً لإحاطة التقليد به. ولهذا قيل[٣]: «المتعبّد يبقى سبعين سنة على فرد قدم، والسالك يتلوّن في كلّ يوم سبعين ٦ قدماً». ولأنّ المتعبّد محبوس في الوجود، فلأجله حُرِمَ الشهود. والسالك خارج عن الوجود، راغب عن كلّ موجود، فأُنْعِم عليه بالشهود. وسمّي سلوكاً لأجل الترقّي، إذ له في كلّ خطوة ونَفَس سيرٌ ووجدانٌ فائدة وخير. ٩ ولأنّ له[٤] مباينة ثمّ معاينة، وفقدان ثمّ وجدان، وانفصال ثمّ اتّصال، ومجاهدة ثمّ مشاهدة، وتلوين ثمّ تمكين، إلى غير ذلك. وسمّي تعبّداً لانعدام الثمرات في العبادات والزيادات في الأوقات. بل يستوي آخر القدم ١٢ مع أوّل القدم. ونهاية التعبّد تيقّظ بالجهد والتكلّف. يقال للسالك المريد: احذر من يقظتك وصفاء وقتك. كما يقال للمتعبّد: احذر من غفلتك وتكدُّر وقتك. ونهاية يقظة السالك الهربُ من اليقظة إلى الغفلة. ونهاية المتعبّد ١٥ الهربُ من الغفلة إلى اليقظة. قال الشيخ[٥]، رضي الله عنه: سمعت شيخ الإسلام[٦]، رضي الله عنه، يقول، في وقت سماعه ومجلسه: «اللّهمّ ارزقنا

---

(١) تخطٍّ، في الأصل: تخطّي.

(٢) من، في الأصل: في، ثمّ كُتب فوقها: من.

(٣) قيل: القائل بحسب عمّار نفسه هو الجنيد، انظر بهجة الطائفة، فصل ٣٠، ص ١١٨/١ ـ ٤.

(٤) ولأنّ له، في الأصل: ولانه.

(٥) الشيخ: هو عمّار البدليسيّ.

(٦) شيخ الإسلام: هو شيخُ عمّار، أبو النجيب عبد القاهر السُّهْرَوَرْديّ، وانظر تسميته بشيخ الإسلام في عوارف المعارف ١١.

غفلة نعيش بها». والأعمال بدايات الأحوال، والأحوال ثمرات الأعمال. والمحافظة على الأوقات ولزوم الخلوات، بدايات المشاهدات. والمشاهدات نهايات المقامات.

فصل < ١٥: في الفرق بين التعبّد والسلوك >

فاعلم أنّ التعبّد أعمال مجرّدة، لا أحوال فيها. فهي بمثابة جسد لا روح فيه. لأنّ الحال روحُ العمل. فإذا (١٧ ب) فُقد الحال سمّي تعبّداً، لا سلوكاً. إذ عبادة السالك مع فائدة وثمرة. ألا ترى إلى قوله، عليه السلام: «إذا زهد أحدكم»، وقوله: «من أراد علماً بغير تعلّم، وهدي بغير هداية، فليزهد في الدنيا». فانظر الآن، وتأمّل ببصيرتك، وقِسْ بقياس ذوقك، لا عقلِك، واجعل المطالعة إلى مرآة قلبك وواقعك، لا إلى دفترك وتعليقك.

إنّ الفرق بين التعبّد والسلوك، بقول رسول الله، ﷺ: «زهده، بإفادة علم وحكمة، من غير تعلّم وتقليد». وهذا زهد السالك. وأمّا زهد المتعبّد، فهو ما أفاد عجزاً وافتقاراً إلى تعلّم وتقليد. وفرق ثانٍ، أنّ كلّ عملٍ أوصلَ إلى حالٍ، أوجدَ استغناءً بالله وافتقاراً إليه. وكلّ عمل تجرّدَ عن حالٍ أوجدَ افتقاراً إلى الخلق، وطمعاً فيه.

قال الشيخ، رضي الله عنه: سمعتُ شيخَ الإسلام، رضي الله عنه، يقول: «أوّل فتوح السالك من هذا الطريق الاستغناء بالله». قيل: فما نهايته؟ قال: «حصول الغناء عن طلب الاستغناء». معناه: حصول التصرّف بالله، ورؤية الله في كلّ حال. وسياق الكلام إلى أنّ صوم القلوب والإفطارَ على أسرار الغيوب ووجود الأحوال في قلبه. فمن لا حال في قلبه، لا صومَ لقلبه. وقد قيل في الأثر: «صُمْ بقلبك عن الدنيا، واجعل فطرك الآخرة». فهذا صوم قلوب أهل البدايات والحالات.

وأهل التلوين في النقصان إلى الزيادة، وكلّ ما في الدنيا مذامّ في حقّهم. وإنّما العيشُ عيشُ الآخرة. وهذا عند أوّل الكشف وأوّل المعرفة للدنيا والآخرة. وقد ورد في الخبر مقتضى هذا، وهو قوله، عليه السلام: «تفرّغوا من هموم الدنيا ما استطعتم». وقال بعضهم: «صُمْ عمّا سوى الله، واجعل فطرك على لقاء الله». (١٨ آ) فهو سرّ قوله، عليه الصلاة والسلام: «لا راحةَ للمؤمن دون لقاء ربّه». وهذا يكون عند الكشف الثاني والمعرفة الثانية لله وما سوى الله. وإنّ كلّ ما هو دونه وسواه فهو قاطع وحجاب ومذموم، بل في طريق الحقيقة شِرْك. وقد قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ (القرآن الكريم ٥١/ ٥٠)، وهو فرار القلوب إليه ممّا سوَاه.

ومعنى فرار القلب إليه، إنّما هو من حيث الهِمَم، حتّى تتّحد. ويتوحُّد فيكون همّاً واحداً. كما ورد في الخبر: «طوبى لمن كان همّه همّاً واحداً»[١].

فصل < ١٦: أنواع الهموم >

والهموم ثلاثة أنواع، كما أنّ الطلاّب ثلاثة أصناف: همّ المعاد، وهمّ المعاش، وهمّ لله وفي الله: وطالب الدنيا، وطالب الآخرة، وطالب الله. وقال الله تعالى: ﴿مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ (القرآن الكريم ٣/ ١٥٢)، وقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ (القرآن الكريم ٣٠/ ٣٨). وقد ورد: «للدنيا قوم، وللآخرة قوم، وللمجالسة قوم آخرون»[٢]. وفي

---

(١) قارن بالمعجم المفهرس ٧: ١٠٧، تحت: هم.

(٢) قارن ببهجة الطائفة، فصل ٦، ص ٤٠/ ١٦ ـ ١٧، وفصل ٩، ص ٥٢/ ١٤، حيث جاء: وقد قيل: «للجنّة قوم، وللنار قوم، وللمجالسة قوم آخرون»؛ صوم القلب ثمّ قارن ببهجة الطائفة، فصل ٢٤، ص ٩٨/ ٣ ـ ٤، حيث لُخّصَ القولان بقول واحد: «خلقَ اللَّهُ للدنيا قوماً، وللآخرة قوماً، وللجنّة قوماً، وللنار قوماً =

الخبر: «الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، والدنيا والآخرة حرام على أهل الله»[١].

والهمّ الواحد على التحقيق، لا يكون إلاّ لأهل الله. لأنّ أهل الآخرة لا يخلون من همّ طلب الكفاية، وما لا بدّ لهم منه. أمّا أهل الله < فـ >ـهم قوم اجتمعوا به عمّا سواه. ثمّ لمّا جمعهم في عين الجمع إليه، فرّقهم لأجله فيه. فاستغرقوا في بحر التيه والتحيّر. فلا خبر عندهم من سوى حالهم. لبّسوا كلّ سرور بسروره من تجريدهم، وكلّ لذّة بلذّتهم من شربهم في مقام قربهم، حتّى نسُوا مصالحَ تدبير الأجسام، إذ الهمم اتّحدت على معرفة مطلوبٍ واحد، فأُنسِيَتْ ما سواه، لأنّ الهمم له، لا لهم، وبحكمه، لا بحكمهم. فصار مقامُ العبد عند همّته، وهمّتُه عند جمعيّته، وجمعيّتُه بِيَد قبضة قدرته، لوقوف القلب في مقام النظر إليه، (١٨ ب) شاخصاً، مراقباً لملاحظات نَفَحَات نظره. كما قال < تعالى > في حقّه، عليه السلام: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (القرآن الكريم ٥٢/٤٨)، أي بمرأى[٢] منّا. فمن كان مطلوبه واحد < اً >، فهمّه واحد. وهذا لا يوجد إلاّ لأهل الذوق والشوق والمزيد والتحقّق والتجريد. وكلّ صادقٍ متحقّقٍ مُرِيدٍ، استغرقت همّته في الملكوت. فأغناه لذّةُ المشاهدة عن همّ القوت. بل همّه في الاقتراب وخوفه من وقوع الحجاب. وهذا صفة صوم قلوب أهل الأحوال.

= وللمجالسة قوماً وللمشاهدة قوماً»، وذلك بإضافة «للمشاهدة قوماً».

(١) قارن ببهجة، فصل ٢٤، ص ٩٨/٧.

(٢) بمرأى، في الأصل: بمرءا.

وأمّا صفة صوم قلوب[١] أهل الأعمال، فعليهم التحفّظ بموجب الحقيقة، لأنّهم في طريق الحقيقة. فصومهم التحفّظ من الغفلات، من ٣ صرف نفَسٍ في غير ذكر، وخروج كلمة في غير منفعة وفائدة، ثمّ الصمت عن الكلامِ فيما لا يعنيه ولا يليق بحاله أو يكون بغير مقامه. فعلى الجملة والتفصيل، عند أهل الاستقامة والتعديل، المتصرّفين في الأعمال ٦ والأحوال، بإطالة النَّفَس والتفصيل. كذا زعموا في حقّ صوم أهل الأعمال، إذ ليس لقلبهم صوم منفرد، لأنّ ذلك من شرط أهل الأحوال. فدوام التحفّظ من الآفات، مع دوام الذكر والفكر، صفةُ صوم قلبه، مع دوام الصمت. فإنّ ٩ في صمت اللّسان، حفظُ جميع الأركان. كما ورد في الخبر: «من صمت نجا»[٢].

والسالك في بدء أمره متعبّد. إلاّ أن بينه وبين متعبّد لا جوازَ له من ١٢ التعبّد، فرقاً[٣]. وعلامةٌ لتعبّدٍ[٤] بين تعبّدٍ، هو من مقام السلوك والأحوال، وبين تعبّدٍ، هو من مقام التقليد والأعمال، أن يجد متعبّدُ السلوك والأحوال، ثمراتِ الأعمال. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ١٥ وَالْمُنْكَرِ﴾ (القرآن الكريم ٢٩/ ٤٥) وكما قيل لرسول الله ﷺ: «إنّ فلاناً كثيرُ الصلاة، حسن العبادة، لكنّه يسرقُ». فقال: «ستنهاه صلاتُه عمّا يقولون». فظهر أنّ (١٩ آ) تأثير الأعمال، من مبادئ الأحوال. وهذا هو الفرق الثاني ١٨ بين التعبّد والسلوك، وبين المتعبّد المقلّد والمتعبّد المُقْسِط[٥] السالك. لأنّ

(١) قلوب: أضيفت في الهامش.

(٢) انظر أيضاً بهجة الطائفة، فصل ٢، ص ١٧/٢٣، وهامش ٥ هناك.

(٣) فرقاً، في الأصل: فرق.

(٤) لتعبد: أضيفت في الهامش.

(٥) المقسط، في الأصل: المسقط.

تعبّد التقليد[١] تعبّدٌ من غير تَربية وتصفية، كمن شرب شربةً من غير احتماء، ولا بقانونِ معرفة مزاجٍ، بل على وجود جهلٍ وتخليط. كما لم تؤثّر تلك الشربة في غُلَّته، كذلك لم تؤثّر تلك العبادة في تصفيته. وقد ثبت بقول الله ورسوله أنّ للعبادة تأثير في قمع المذموم ودفع المنهيّ < عنه >؛ فإذا لم يوجد فهو عبادة تعبّد، لا عبادة سلوك.

وقد يوجد في الناس من المتعبّدين ذو عبادة واجتهاد، وما زالت مذموماتُه والاستنارة باطنه[٢]، ليعبد الله على غفلة وسهو وكدورة. وهو أن يتعبّد ويجتهد وأمله طويل، وحرصه زائد شديد، وحبّه للدنيا والدرهم متجاوز الحدّ، إلى غير ذلك. فعليه، < تكون > تلك العبادة، أنّه تعبّد بنفسه وإرادته وتدبيره لنفسه، فلم يؤثّر فيه لوجود نفسه ما بينه وبين عبادته، وكأنّه شرب الدواء ولم يؤثّر في معالجة الداء، وهو يظنّ أنّه زال عنه الداء، وأثّر فيه الدواء. فكذا، هذا يظنّ أنّه بعيد عن الآفات، والآفات محيطة[٣] به. فمَنْ حُرِمَ لذّات الأعمال، ونسيم صفاء الأوقات[٤]، تواترت عليه [وِفادة] الآفات، وهو لا يشعر. إذ ليس فيه مفرّقٌ يفرّقُ بين الحقّ والباطل. كما قال، عليه السلام: «واعظُ الله في قلب كلّ[٥] امرئ[٦] مسلم»[٧]. وإذا لم يكن في قلبه آمرٌ وزاجر من الله، ولم يكن له دليلٌ يرجع إليه ويحكم

---

(١) في الأصل: للتقليد.

(٢) مذموماته والاستنارة باطنه: كذا، ويبدو أنّ النصّ هنا مشوّش أو ناقص.

(٣) محيطة، في الأصل: محاط.

(٤) الأوقات: وردت كلمة «الأوقات» في الهامش، تصحيحاً لكلمة مشوّشة.

(٥) قلب كلّ، في الأصل: كلّ قلب.

(٦) امرئ، في الأصل: امراء.

(٧) «واعظ الله قلب كل مسلم»، مسند أحمد. مسند الشاميين (ترقيم العالمية) ١٦٩٧٦.

عليه: إمّا من علم نافعٍ، أو عالمٍ ربّانيّ، يتحفَّظُ به عن سبيل الغَيّ، ويهتدي
به إلى سبيل الرشاد، فعمل هذا، كما قال الله تَعالى: ﴿وهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّـهُمْ
٣ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ (القرآن الكريم ١٨/ ١٠٤). وقد ندب الله ذلك لأهل البداية
والطلب، وأكّد عليهم وحذّرهم، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (القرآن الكريم ٩/ ١١٩). (١٩ ب) وقال أيضاً:
٦ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (القرآن الكريم ١٦/ ٤٣)، أي أهل
الفهم في آفات المعاملات.

فالمتحفّظ لقلبه في عبادة قالبه صادقٌ طالب: مقصودُه من العبادات
٩ والمجاهدات < هو > تصفية وجوده وقلبه. وقد عرف أنّ دواء التصفية هو
المجاهدة والعبادة. وعرف مع ذلك أنّه في ذلك محتاج إلى أطبّاء الأديان في
مداواة أمراض القلوب. إذ لو كان كلّ إنسان في مرض قلبه وظلمة باطنه
١٢ ومعالجة علل نفسه طبيبَ نفسه، لكانوا عن الرسل والأنبياء والأولياء في
غُنْيَة، ولَمَا بعث الله بشراً رسولاً. وإنّما لاحتياج الخلق إلى الرسُل لمعالجة
أمراض القلوب، وتركة[1] الغفلات على القلوب، واستِيلاء القساوة والظلمة
١٥ في الباطن، وظهور سلطنة النفس والشيطان على القلوب، بحيث أظلم نهارُ
الإيمان، وظهرَ ليلُ الشّرْك، فلمّا أراد الله تعالى سبحانه إصلاح العالَمين،
وإظهارَ الإسلام والمسلمين، وإطلاق القلوب من رقّ تصرّف الشياطين،
١٨ بعثَ الرسلَ، عليهم السلام، بأدوية قَمْع النفوس، وتصفية القلوب. فثبت به
الدين واليقين، وصار في الناس مؤمنون وموقنون ومتّقون عارفون[2]، على
منهاج سُنَن النبيّين. كلّ ذلك من أجل معالجة القلوب.

٢١ ولا بدّ من أطبّاء الأبدان لمداواة الأجسام. كذلك لا بدّ من أطبّاء

---

(١) وتركة، في الأصل: تركه.

(٢) متّقون عارفون، في الأصل: متقين عارفين.

الأديان لمداواة القلوب، من أمراض الذنوب، وهم العلماء بالله، والعرفاء بأيّام الله، والأولياء لله. وبحقّ الله، وبعلم الله، وبعلم أمر الله، جعلَ اللّهُ لهم الولايةَ، على أهل الطلب والإرادة: يتصرّفون فيهم وعليهم. بصحّة دلاله[١] أعطاهم، نوراً[٢] وهدايةً أولاهم، وتصرّفَ دعوةٍ خصّهم. ولهذا قيل: «الشيخ في قومه كالنبيّ في أُمّته». فجعل لهم في بواطنهم وقلوبهم تبصرةً ونوراً، وبالنور جعل لهم فراسةً، وجعل لهم من الهمّة جاسوساً يتجسّس في القلوب. فهي[٣] للقلوب، بمثابة الساعي للملوك، (٢٠ آ) تخبر القلوبَ بخطرات قلوب المريدين، بتأييد حال السفير والمعبّر، لأنّها للقلب سفير ومعبّر، ولها مقام الحراسة والحفظ. فإلى من وجّهوها، وبمن وكّلوها، وعلى أيّ أمر سلّطوها، أظهرت قوّتها، وأتمّت فعلَها، وأنفذت بحفظها وحراستها، لأنّها الهمّة الفعّالة، خصّها الله لقلوب الأنبياء والأولياء، لأجل الامتثال والخدمة والسمع والطاعة. فهي في تصرّف القلب كالمملوك في تصرّف المالك. فهي صاحب خبر القلب من القلوب.

فصل < ١٧: في الهمّة >

فإن قيل: ما الهمّة؟

قيل: سيّار القلب، ومعنًى من توابع القلب. فحيث وُجِد القلب وُجِدَت. وبقدر علوّ[٤] القلب تكون عاليةً[٥]، وبقدر تصرّف القلب تكون

---

(١) دلاله، كذا، ولعلّ الأصحّ: دليله.

(٢) نوراً، في الأصل: نورٌ.

(٣) فهي، في الأصل: فهم.

(٤) علوّ، في الأصل: غلوّ.

(٥) عالية، في الأصل: غالية.

متصرّفة. فهي في النفاسة والخساسة موقوفة عند صفات القلب. وإن كان القلب موصوفاً بمقامات الأحوال، فالهمّة بِسعة تصرّف القلب متصرّفة فعّالة على الإطلاق. لأنّ القلب مشغول بالله، مستغرق في الله. فالهمّة متصرّفة، موكّلة ـ بقيادة الله ـ لأجل التولية والولاية، ووصول الحال إلى النهاية. وإن كان القلب موصوفاً بمقامات[1] الأعمال، فالهمّة لأجل عبوديّة القلب، وطاعة القلب طائعة عابدة[2]، لشغل القلب بنفسه. كذلك الهمّة مشغولة بنفسها. كما لا تصرّف للقلب، إذ لا ولاية له. فكذلك لا تصرّف للهمّة، إذ لا شغل لها. بل إن كان القلب سالكاً، فعليه للغيب تولية، وإن كان متعبّداً، فعليه للعلم تولية. فإن كان سالكاً، لا يزال الغيب يتصرّف فيه وعليه، بقانون ما وُضِع له فِي الأزل، بواسطة الأعمال من اللّذّات والراحات والثمرات، ووجدان خفّة أثقال المعاملات، فيتيسّر عليه الدخول في كلّ مخوف مُهْلِك، من غير جزع، ولا فزع، مع ازدياد صدقه وإرادته، مع معارضة الفترات والآفات. بل كلّما كثُرَ عَناؤه وبلاؤه، كثُرتْ (٢٠ ب) بقوّة هذه، إلى غير هذه الأعمال / تأثير وشرب والتأثير في الأعمال ومشارق الأحوال/[3] وإن كان القلب متعبّداً لم يجد من الأعمال شرباً ولا تأثيراً، لأنّ أعماله[4] لا ارْتِباطَ لها بالأحوال. وذلك لأجل أنّ القلب[5] لا تصرّف عليه من الغيب، ولا هو من أدلاّء الولاية. وذلك لأجل أنّه ما وضَعَ في خزانة الغيب الأعمالَ المجرّد< ة > عن الأحوال. فأعمال المتعبّد أعمال مجاهدة، لا أعمال مشاهدة. في عمل المجاهدة، التصرّفُ للعلم، وفي عمل

---

(١) بمقامات، في الأصل: بمقاماة.

(٢) طائعة عابدة: لعلّه يعني: طاعة عبادة.

(٣) الجملة السابقة بين الخطّين المائلين غير مفهومة للمحقّق.

(٤) لأنّ أعماله، في الأصل: البت عماله.

(٥) لأجل أنّ القلب، في الأصل: لاجل للقلب.

المشاهدة، التصرّف للقلبِ. ألا ترى كيف قال، < عليه السلام، > في عمل المشاهدة: «يا وابصة، استفتِ قلبَك، وإن أفتاك المُفْتون»[١].

لأنّ لعمل القلب علماً باطناً خفياً. من كان الغالب عليه الأحوال، فالحكم عليه للعلم[٢] الباطن، والفتوى فيه للقلب. فإن كان القلب في العمل في هذا المقام، فقلبه في العمل من تصرّف الغيب بابٌ مفتوح، وإليه من تصرّف الغيب واردُ علم من علم الحقيقة. فلمّا قال للرسول، عليه السلام، أجابَه من مقام أهل العزيمة، وقال: «استفت قلبك». ولم يُحِلْه إلى حُكْم ظاهر الفتوى والرُّخْصة، بل أجابَه على باطن الفتوى والعزيمة، فقال: «جئتَ تسأل عن البرّ والإثم: فالبِرّ ما اطمأنّ إليه القلب، والإثم ما حاك في نفسك»[٣]. ولأنّ قلبه كان مخصوصاً بنزول وارد الحقّ، محلاًّ لقذف العلم القلبيّ الذوقيّ، فمن أجل ذلك أحاله إلى استفتاء القلب. وهذا سبيل كلّ سالك من البداية إلى النهاية: لا يعوّل على فتوحه حتّى يعرضه على دليله، كما فعل وابصة.

الفائدة الثانية، أنّه إذا كمُلَ القلبُ، ووصل إلى حدّ الكمال، يجب

---

(١) انظر بهجة الطائفة، فصل ٢٠، ص ٨٨/ ١٣، حيث جاء: ولهذا قال، عليه السلام: «اسْتَفْتِ قلبَك»، ثم قارن بالمعجم المفهرس ٥ :٦٨ حيث جاء: «يا وابصة استفت نفسك/ استفت قلبك». وابصة: هو أبو سالم ــ ويقال أبو الشعثاء ويقال أبو سعيد ــ وابصة بن معبد بن عُتْبة بن الحارث بن مالك بن الحارث الأسديّ، أسد خزيمة، وَفَدَ على النبيّ، ﷺ، سنة تسع للهجرة، ثمّ رجع إلى بلاد قومه، ثمّ نزل إلى الجزيرة، انظر تهذيب التهذيب للعسقلانيّ ١١ : ٨٩.

(٢) للعلم، في الأصل: للقلم.

(٣) قارن بمسند أحمد، مسند الشاميين (ترقيم العالمية) ١٧٣١٣و ١٧٣١٥ و١٧٣٢٠، ثم بسنن الدارمي، بيوع (ترقيم العالمية) ٢٤٢١.

القبول منه، لقوله، عليه السلام: «استفت قلبك»، أي عوّل على قوله فحسب. وحدّ كماله أن لا يبقى له ضدّ.

٣ الثالثة، أنّ المريد يَسْلَمُ له ــ عند كماله ــ القبول من قلبه، من غير حكم دليل، وهذا إذا كان قد عرف (٢١ آ) الفرقَ بين[1] كلام القلب، وبين خاطر النفس والشيطان. فكلّ قلب يكون من هذا الوصف، فهو محلٌ

٦ للحكمة والمعرفة، بصحّة[2] العلم من الله، لأنّه بلغَ الأخذَ من الله، وذلك نهاية القلب.

فصل < ١٨: في ضعف الأحوال وقوّتها >

٩ ومن حفظ قلبه عن المذمومات، بالمجاهدات القلبيّة والمجاهدات البدنيّة، إلى أن يقع في أعمال القلوب، فإذا حصل له أعمال القلوب، بذلك يصل إلى أحوال الغيوب. قال الشيخ[3]، رضي الله عنه: وقد شرحنا طرفاً

١٢ من أعمال القلوب، بالتلويح والاختصار. فإذا تحقّقَ في أعمال القلوب، فحينئذ ينتقل من الأعمال إلى الأحوال. فتكون الأحوال تشريفاً له، كما كانـ< ـت > الأعمال تكليفاً عليه. فهذا هو الفرق بين القلوب الثلاثة.

١٥ وصوم كلّ قلب على جنس القلب وحاله ومقامه.

والأحوال تُعْرف بالضعف والقوّة، بحدَّيْن: الأوّل بحدّ الضرورة، لدخول الرخصة فيها، وذلك لضعفها. والثاني بحدّ العزيمة، لدخول اليقين

١٨ والتوكّل فيها، وذلك لقوّتها. وقد يستوي في حال ذي[4] اليقين والمعرفة،

---

(١) بين، في الأصل: من.

(٢) بصحّة، في الأصل: بصحت.

(٣) الشيخ: هو عمّار البدليسيّ.

(٤) ذي، في الأصل: ذو.

العسرُ واليسر، والوجدُ والفقد، والسَّفَرُ والحَضَرُ[١]، لوجود اليقين. والتوكّل صفةٌ لقلبه، لا يفارقه. فهو بهما في سعة، لا في شدّة. فلأجله: لا ضرورةَ له، ولا رخصة له. وعلى هذا القلب الأكل بالعزيمة، وتفتّش[٢] ٣ الحلال بالعزيمة، بمعرفة القلب، لا بمعرفة العلم.

فلمّا كان حال وابصة من أحوال القلب، لا من أحوال الجوارح، وقلبُه من قلوب أهل الأحوال، لا من قلوب أهل الأعمال، رَدَّهُ ـ في معرفة ٦ الحلال والحرام وأشبهه ـ إلى معرفة القلب. إذ كان من أهل العزائم، لا من أهل الرُّخَص.

فصل < ١٩: في نوعي الحلال > ٩

فالحلال نوعان: نوع يدخل فيه الشبهة، فيتطرّق فيه[٣] الرخصة، ولا تدخله العزيمة. ونوع تدخل فيه العزيمة، ولا تدخله الرخصة. لأنّ الحلال (٢١ب)...[٤] قلوبهم وخوفهم وخشوعهم. فلو كان...[٥] تلك الشبهة ١٢ حال قلوبهم، فوجب عليهم ترك ما غيّر قلوبهم. فإنّ ذلك عندهم بمثابة الحرام المحض فكما...[٦] ترك الحرام المحض وجب على أرباب القلوب ترك المكروه والشبهة. لأنّ الذي أبيح لغيرهم من أجل الضرورة، حُرِّم ١٥

---

(١) الحضر: هنا بمعنى: عدم الغيبة.

(٢) تفتّش: صيغة غريبة، لم أعثر على مثلها في كتب اللّغة.

(٣) فيتطرّق فيه: كذا في الأصل، والصحيح: فتتطرّق إليه.

(٤) ...: أربع كلمات مطموسة بفعل الرطوبة.

(٥) ...: ثلاث كلمات مطموسة.

(٦) فكما... ترك الحرام المحض: أضيفت هذه الكلمات في الهامش واثنتان منها مطموستان، ولذا أضفت في مكانهما ثلاث نقط.

عليهم من أجل العزيمة والطمأنينة. لأنّ الله عزّ وجلّ، لمّا شرّف القلب
بالأحوال، شرّفه بالقوت الحلال. إذ لا يليق بمن يأكل من موائد الغيب، أن
٣ يأكل من موائد الشُّبَه والرِّيَب. فكما أُعطِيَ القلب بسبب الأحوال، أعطي
الأحوال بسبب الحال. وإنّما خُلع على القلب بالأحوال، ثمّ بالطَّلَف[١] من
الحلال، لأنّه صام لأجل الله عمّا سوى الله، واشتغل بذكر الله عن ذكر ما
٦ سواه، فجازاهُ بما يحبّه ويرضاه. إذ من ترك لأجل الله هواه، ملك من الله
رضاه، فكفاه العبادة شغلاً، والصوم عمّا سوى الله عملاً وفعلاً.

فأوّل الأمر الصوم عن الدنيا وما فيها. وهو الخروج من التسبّبات
٩ والأسباب، على شرط سرّ قوله، عليه السلام: «كفى بالعبادة شغلاً»[٢]،
ومعناه: أنّ من جُعِلَ له العبادة شغلاً، جُعِلَ لقلبه في العبادة شغلاً: وهو
الذوق والمشاهدة. < فـ > ـأغناه وكفاه ذلك عن الأسباب والاكتساب.
١٢ لأنّ العبادة من أجلّ الحِرَفِ والصناعات، لما فيها من الثمرات
والمشاهدات. فمن ذاق من ثمرة كسبه من عبادات، قَطَعَهُ ذلك إلى الله
وأشغله بالله، فصار بما يأتيه من كسب عبادته مستغنياً عن[٣] كسب الدنيا:
١٥ من شرقها إلى غربها. وقد قال أبو الدرداء[٤]: «ما يسُرُّني أن أكسب كلّ يوم
ثلاثمائة دينار أنفقها في سبيل الله» فقال: «ولِمَ؟» قال: «يشغلني عن

---

(١) الطلف: يعني «العطاء».

(٢) قارن بالحديث: «إنّ في الصلاة شغلاً»؛ المعجم المفهرس ٣: ١٤٦.

(٣) عن، في الأصل: من.

(٤) أبو الدرداء: هو عُوَيْمر أو عامر بن زيد بن قيس بن عائشة بن أُميّة بن عديّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث؛ اختلُفَ في اسم أبيه؛ تُوُفّي حوالي سنة ٣٢ هـ/٦٥٢ م في دمشق، حيث يوجد قبره وقبر زوجته أمّ الدرداء، انظر دائرة المعارف الإسلاميّة الجديدة، النسخة الإنجليزيّة، ١: ١١٣ ـ ١١٤.

التفكّر». إذ كسبُه من التفكّر. فَرَدٌ[1] ساعة يساوي الدنيا والآخرة. وهو تفكّر الاستغراق في تعداد الأنعم الظاهرة والباطنة. وهو سرّ قوله، عليه السلام: «تفكّر ساعة، (٢٢ آ) خير من عبادة سنة»، وسرّ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (القرآن الكريم ٦٥/ ٣)[2]، كفاه العبادة شغلاً. صام عن الدنيا فلم يتولّه في حظوظها...[3] الحقوق من الدنيا أغناه وكفاه. فهمّتُه وبهمّته في الطاعة...[4]، وبقرّة عينه فيها عاجلاً، كما قال رسول الله، ﷺ، «وقرّة عيني في الصلاة»[5]، وآجلاً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (القرآن الكريم ٣٢/ ١٧).

فمن صام عن قرّة عين الدنيا، صار قرّةَ عين الآخرة جزاؤه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ (القرآن الكريم ١٧/ ١٩)، الآية. ومن كانت العبادةُ مطيّته، صام عن الآخرة، لأنّ الصلاة صلةٌ القلب ووصلُه واتّصالُـ < ـه >. فحظّه من السجود: شهود، ومن الركوع: خضوع وخشوع. وكذلك الصوم، تأثيره في القلب: نسيان وهيمان وغيبة، هي بصفة هيبة. والعبارة عنه في الحقيقة، أخذاً بزمام القلب إلى مقام العنديّة والمعيّة. فأُعطي المحبّة، وسقي في مقام القرب حقيقة ثمرة الصوم، ومن قوله < تعالى >: «الصوم لي». وما كان له، كان طريقاً إليه[6].

---

(١) ردّ، هنا بمعنى: مردود.

(٢) وكلمة: «حسبه»، مطموسة في الأصل.

(٣) ...: كلمتان مطموستان، لعلّهما: لأنّ كَسْبَ

(٤) كلمة مطموسة، لعلها: «الصلاة»، أو «العبادة».

(٥) انظر المعجم المفهرس ٥: ٣٣٦ تحت: قرّ.

(٦) في أول السطر التالي من المخطوطة كُتبتْ كلمتا «له صوم» ثمّ شطبتا، ويبدو أنّ ذلك من أخطاء النسخ.

ومن كانت العبادةُ مشاهدتَه وواسطتَه، فالصومُ له، صوم عمّا سوى الله، فجميع ما يرد إليه، وعليه، من النازلات والواردات، لم يشغلْه
٣ عن الله طرفة عين، بصفة قوله تعالى، في حقّ نبيّه، عليه السلام: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (القرآن الكريم ٥٣/١٧). لأنّ الصائم في الحقيقة، هو المستغرق الصائم. فإذا صام القلبُ هام، وإلاّ فهو بدون ذلك في صوم
٦ العوامّ والخواصّ.

الصوم مفتاح الإلهام، ولَمْواح[١] الأنعام، وليلة القدر من جملة ثمرات الصيام، وكذلك جعلت في شهر الصيام. معناه، أنّ من صام على
٩ الحقيقة أدركها ووجدها. فمن أدرك حقيقة الصيام، أدرك ليلة القدر. فمن الناس من حظّه منها (٢٢ ب)...[٢] في المنام، وذلك من مُجازاة[٣] الأعمال، وصحّة الصيام والقيام. ومن الناس من حظّه ما يجد في قلبه لذّةً[٤]
١٢ وصفاءً وعلماً ورقّةً وخوفاً وخشوعاً واخاناً (؟) وتسكناً[٥] وافتقاراً وتضرّعاً وغير ذلك من الآيات والعلامات، ممّا لا يجدها في سائر الليالي. وهذا من البركات، لا من الحالات والمشاهدات. ومنهم من تجري عليه خوارقَ
١٥ الكرامات، ويصحّ له نظر الفراسات[٦]، ويشهد نوعين[٧] من المغيّبات. ومنهم من يزداد بكاؤه، ويَخْلُص لله دعاؤه، وتصدق في الله رغبتُه، ومنه[٨]

---

(١) لمواح: صيغة غريبة، بمعنى: لمّاح.
(٢) ...: كلمتان مطموستان، لعلّهما: أن يراها.
(٣) مجازاة، في الأصل: محازات.
(٤) لذّةً...، كذا، والأصحّ: مِنْ لذّةٍ...
(٥) وتسكناً، كذا، ولعلّ الأصحّ: وتَمَسُّكُناً.
(٦) الفراسات: للسجع، والمقصود: الفراسة.
(٧) نوعين، في الأصل: نوعان.
(٨) منه، يعني: من الله.

رهبتُه، ولا يشهد شيئاً. وهذا من تأثير نزول الملائكة، وبركة دعائهم وسلامهم. ومنهم من يسمع كفاحاً، ويشهد إيضاحاً، ويغشاه صباحاً، ويفجؤه روحاً، فيقضي حاجاته، وتستجاب دعواتُه. وهو يدركُ الكيفيّة ٣ موصوف[١]، وحقيقة الأمر له مكشوف، لكنّه عن الإخبار عنها ومنها مصروف، لا إذن له في القول.

وقد رآها النبيّ، عليه السلام، ثمّ لمّا[٢] أراد أن يخبر القوم بذلك، ٦ دُفع، فنسي وأُنسِيَ. فقال: «إنّي أُريتُ ليلةَ القدر[٣]، فخرجت وأنا أريد أن أخبركم، فتلاحى[٤] رجلان فرُفِعَتْ». فصار لحاهما سبباً لاستخفائها، لتكون ذاتُها في الخلق موجودة[٥]، وحقيقتها غير مشهودة. وإنّما شرب ٩ القلوب منها ضروب، وأسرارها إلى القلوب غيوب، والقلب عن كيفيّتها محجوب، وعن حقيقتها مسلوب. فمن وجودها للقلب منافع، ومن شهودها إلى القلب سواطع ولوامع. ولذلك صارت مطلوبةَ الخواصّ، من أهل ١٢ الاختصاص، ومرغوبةً لجميع الأشخاص، من العامّ والخاصّ، وهي من أحبّاء أهل الجدّ والإخلاص، وأخلاّء أهل البحث والإفحاص[٦]. تتقرّب إليهم ببرّها، وتتحبّب إليهم بسرّها، وتلاحظهم بنظرها، وتَغْمُر[٧] القلوبَ ١٥ بأنوارها، وتُغمِرُها بأسرارها. فيسترق القلب (٢٣ آ) منها الفوائد من وراء

---

(١) موصوف، كذا، للسجع.

(٢) لما، في الأصل: إذا لما، و «إذا» مشطوبة.

(٣) انظر المعجم المفهرس ٥: ٣١٥، تحت: قَدْر.

(٤) تلاحى، في الأصل: تلاحا، والمعنى: تخاصم.

(٥) موجودة، في الأصل: بوجوده.

(٦) الإفحاص، كذا للسجع، والصحيح: الفحص.

(٧) وتغمر، في الأصل: وبغير، ثمّ شُطبَتْ، وأُضيف تحتها التصحيح: وتغمر.

ستر رقيق، ويذوق منها الزوائد على...[١] والتحقيق. ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (القرآن الكريم ٢/ ١٠٥)، ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (القرآن الكريم ٢/ ١٨٧)[٢]. و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (القرآن الكريم ١/ ١)، وصلى الله على محمد،...[٣] خَلقِهِ، وآله وأصحابه أجمعين.

وفُرِغَ[٤] من كِتْبَتِه[٥] في غرّة شهر ذي القعدة من سنة ثلاث وستمائة، < الموافق ٣٠ أيار/ مايو سنة ١٢٠٦ م >.

< إجازة >:

قرأ عليّ الولد الأعزّ الأكرم، شمس الدين، جمال الإسلام، مجد الفقهاء، زين الطائفة، أبو إبراهيم إسحاق بن محمّد بن أبي لكوية البروجرديّ، كتاب صوم القلب، بتمامه وكماله، وسماعي من مصنّفه الشيخ الكبير وشيخ الشيوخ وضياء الدين، مرشد السالكين الصوفيّ، سمع من ابن الوقت أبي ياسر عمّار بن محمّد بن عمّار بن مطر بن سحاب الشيبانيّ البدليسيّ[٦]، نوّر الله مضجعه، في تاريخ سنة تسعين وخمس مائة، وأجاز له رواية ذلك، بشرط الصّحة، وقتَ العصر، يوم الخميس من سلخ صفر سنة أربع وستّمائة. كتبه بخطّه أبو النجيب محمّد بن محمّد بن أبي عليّ اللُّرّيّ

---

(١) ...: كلمة مطموسة، لعلّها: الفتح.

(٢) وفي الأصل لم يورد كلمة: «اللَّهُ».

(٣) ...: كلمة مطموسة، لعلّها: خير.

(٤) فرغ، في الأصل: فرع.

(٥) كتبته، يعني: نسخه.

(٦) البدليسيّ: في الأصل مصحّحة إلى: الأندلسيّ، وهو خطأ.

(؟) الوجيهيّ اليافتيّ (؟). والحمد لله وحده، وصلّى الله على محمّد وآله أجمعين.

< تعليق على الهامش الأيسر للصفحة > : ٣

اللّهمّ صلّ[١] على محمّد وعلى آله وأزواجه وذرّيّته وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. الحمد لله على كلّ حال. طالع هذا الكتاب من أوّله إلى آخره، أقلّ عبيد الله وأحوجهم إلى مغفرته، محمّد بن يوسف الميدوميّ (؟) ٦٠ العُمَريّ، غُفِرَ له ولوالديه ولإخوانه في الله ولوالديهم ولجميع المسلمين آمين آمين آمين.

< ثم يليه بخط مغاير > : ٩

سمر[٢] يوسف بن محمّد سبط الراوي الحيل[٣]، عامله < الله > بلطفه، ورحِمَ سلفه.

(٢٣ ب) < نجد على هذه الصفحة أيضاً شرحاً لاستعمال الحروف ١٢ على ترتيب الأبجدية، بدلاً من الأرقام، مع قائمة بالأحرف تقابلها القيمة العددية لكلّ حرف على حساب الجُمَّل > .

---

(١) صلّ، في الأصل: صلي.

(٢) سمر، كذا، ولعلّه: سميّ، أو سُمّيَ؟

(٣) الحيل، كذا، ولعلّه يقصد: الجليل.

سرد مصادر التحقيق

ابن حنبل= المسند، لأحمد بن حنبل، القاهرة ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦، (انظر أيضاً: مسند أحمد بن حنبل).

ابن سعد، طبقات= انظر: طبقات ابن سعد.

إحياء= إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمّد بن محمّد الغزّالي، المتوفّى سنة ٥٠٥ هـ/ ١١١١ م، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمّد بن محمّد الغزّالي، عيسى البابي الحلبي، مصر، في سنة ١٣٤٨ هـ/ ١٩٢٩ م.

أسد الغابة= أُسْد الغابة في معرفة الصحابة، لعزّ الدين عليّ بن محمّد بن الأثير، القاهرة ١٢٨٠ هـ/ ١٨٦٣ ـ ١٨٦٤ م.

الإصابة= الإصابة في تمييز الصحابة، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ، القاهرة ١٣٥٨ هـ/ ١٩٣٩ م.

الألف المختارة من صحيح البخاريّ، (ت. ٢٥٦ هـ/ ٨٦٩ م) اختيار وشرح عبد السلام محمّد هارون، ١ ـ ١٠، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩ م.

Badeen, Edward: Die Sufik nach ᶜAmmār al-Bidlīsī, von Oriens 33, pp. 86-93. E.J. Brill, Leiden 1992.

بهجة= بهجة الطائفة بالله العارفة، لعمّار البدليسيّ، مخطوطة برلين (أهلوارت) رقم ٢٨٤٢.

البستان= البستان، وهو معجم لغويّ، تأليف الشيخ عبد الله البستانيّ اللّبنانيّ، المطبعة الأمريكيّة، بيروت ١٩٣٠ م.

تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن عليّ الخطيب البغداديّ، المتوفّى سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ ـ ١٠٧١ م، مصر ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣١ م.

تذكرة= تذكرة الأولياء، لفريد الدين العطّار، تحقيق رينولد نيكولسون، لندن ـ لايدن ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ م.

تذكرة الحُفّاظ، لشمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ، المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨ م، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، بدون تاريخ.

تذكرة المشايخ، لعلاء الدولة السِّمْنانيّ المتوفَّى سنة ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٦ م، وهي مخطوطة فارسيّة.

التعرّف= التعرّف لمذهب أهل التصوّف، لأبي بكر محمّد بن إسحاق البخاريّ الكلاباذيّ، المتوفّى على الأرجح سنة ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م، تحقيق آربري، مصر ١٣٥٢/ ١٩٣٣ م.

تهذيب التهذيب= كتاب تهذيب التهذيب، للحافظ شهاب الدين أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ، المتوفّى سنة ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨ م، دار الفكر، بيروت ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

الجمع بين رجال الصحيحَيْن = كتاب الجمع بين كتابَيْ أبي نصر الكلاباذيّ وأبي بكر الأصبهانيّ في رجال البخاريّ ومسلم، لأبي الفضل محمّد بن طاهر بن عليّ المقدسيّ، يعرف بابن القيسرانيّ الشيبانيّ المتوفَّى سنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

حلْيَة= حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للحافظ أبي نُعَيْم أحمد بن عبد الله الإصفهانيّ، المتوَفَّى سنة ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨ ــ ١٠٣٩ م، مطبعة الخانجي ومطبعة السعادة، القاهرة ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م.

ختم الأولياء= كتاب ختم الأولياء، تأليف أبي عبد الله محمّد بن عليّ بن الحسن الترمذيّ، تحقيق عثمان إسماعيل يحيى، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت ١٩٦٥ م.

خزينة الأصفياء، لغلام سَرْوَر لاهُوْري (ألّفه سنة ١٢٨٠ ــ ١٢٨١ هـ/ ١٨٦٣ ــ ١٨٦٥ م) طبع في لاهور ١٣١٢ هـ/ ١٨٩٤ ــ ١٨٩٥ م.

دائرة المعارف الإسلاميّة، الطبعة الجديدة: The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Leiden & London, 1960... .

الدرّة اليتيمة= الدُّرّة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة، وهي الجزء الثاني من كنز الدُّرَر وجامع الغرر، لأبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدّواداريّ، المتوفى بعد سنة ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٦ م، تحقيق إدوارد بدين، بيروت ١٩٩٤ م.

الذهبيّ= تذكرة الحفّاظ، لشمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد الذهبيّ، المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨ م، حيدر آباد ١٣٣٣ هـ/ ١٩١٥ م.

رسالة (بلا عنوان)، لنجم الدين الكبرى، المتوفّى سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١ م، مخطوطة شهيد علي پاشا ١٣٩٥.

رسالة (بلا عنوان)، لعلي الهمداني، المتوفّى سنة ٧٨٦ هـ/ ١٣٨٥ م، مخطوطة آيا صوفيا ٢٨٧٣.

الرسالة القشيريّة= الرسالة القشيريّة في علم التصوّف، لأبي القاسم

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوريّ، المتوفّى سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢ م، مصر ١٣٣٠ هـ/ ١٩١٢ م.

سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمّدبن يزيد القزوينيّ المتوفّى سنة ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨ م، تحقيق محمّود فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٣ م.

سنن الترمذيّ= الجامع الصحيح للإمام أبي عيسى محمّدبن سورة الترمذي، المتوفّى سنة ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م، تحقيق عبد الرحمن محمّد عثمان، ط ٢، بيروت ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م.

سنن الدارمي للحافظ أبي محمّد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، المتوفّى سنة ٢٥٥ هـ، وتخريج الدارمي وتصحيحه وتحقيقه للسيد عبدالله هاشم يماني المدني، المدينة المنوّرة ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م.

سيرة الأولياء= كتاب سيرة الأولياء، ضِمْنَ: ثلاثة مصنّفات للحكيم الترمذي، القسم الأوّل، النصوص العربيّة، باهتمام بيرند راتكه، بيروت ١٩٩٢، النشرات الإسلاميّة جزء ٣٥/ أ.

شذرات الذهب= شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحيّ بن العماد العَكَريّ الحنبليّ، المتوفّى سنة ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٩ م، القاهرة ١٣٥٠ ــ ١٣٥١ هـ.

شرفنامه، لشرف بدليسيّ، تحقيق V. Véliaminof-Zernof, Bd. 1, Petersburg 1860.

صحيح البخاريّ، للإمام أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ، تحقيق مصطفى ديب البُغا، دمشق ــ بيروت ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ٢٠٦ ــ ٢٦١ هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث

العربي، الطبعة الأولى (القاهرة) ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م.

صوم القلب، لعمّار البدليسيّ، مخطوطة برلين (آهلوارت) رقم ٣١٣٣، وهو الكتاب الثاني المحقَّق هنا.

طبقات ابن سعد= كتاب الطبقات الكبير، لمحمّد بن سعد، المتوفّى سنة ٢٣٠ هـ/ ٨٤٥ م، بيروت ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ م.

طبقات الصوفيّة، لأبي عبد الرحمٰن السُّلَميّ، المتوفّى سنة ٤١٢ هـ/ ١٠٢١ م، تحقيق نور الدين شَرِيبَة، القاهرة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م. طبعة لايدن ١٩٦٠، تحقيق پيدرسن.

طرائق الحقائق لميرزا معصوم علي شاه، طهران ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م.

عفيفي= أبو العلا عفيفي، The Mystical Philosophy *of* Muḥyid Dín-Ibnul ᶜArabi, Cambridge 1939.

عوارف= عوارف المعارف، لأبي حفص عمر بن محمّد بن عبد الله السُّهْرَوَرْدِيّ، المتوفّى سنة ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٤ م، بيروت ١٩٦٦ م.

غولدتسيهر، المجموعة الكاملة= **Goldziher, Ignaz:** Gesammelte Schriften 1 - 5, Darmstadt 1967 - 1970.

الفتوحات المكّية= الفتوحات المكّيّة، لابن العربيّ، محيي الدين أبو بكر محمّد بن عليّ بن محمّد، المتوفّى سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ م، بولاق، القاهرة ١٢٩٣ هـ/ ١٨٧٦ م.

الفتوحات المكيّة، لمحيي الدين بن عربيّ، تحقيق د. عثمان يحيى، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، السفر ٢ ـ ١٤، القاهرة ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م.

فضل الطريقة= لعلاء الدولة السِّمْنانيّ المتوفَّى سنة ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٦ م،

مخطوطة، Fayzullah. Istanbul, 2135. 46b - 117a.

فوائح= فوائح الجمال وفواتح الجلال، لنجم الدين الكُبْرَى، المتوفّى سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١ م، تحقيق وتقديم (بالألمانيّة) فرتس ماير، ڤيسبادن ١٩٥٧ م.

قوت القلوب: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لأبي طالب محمّد بن عليّ بن عطيّة الحارثيّ المكّيّ المتوفّى سنة ٣٨٦ هـ/ ٩٩٦ م، القاهرة ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م.

كتاب الزهد: كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق، لعبد الله بن المبارك المروزيّ المتوفّى سنة ١٨١ هـ/ ٧٩٧ م، تحقيق حبيب الرحمن الأعظميّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، بدون تاريخ.

كشف المحجوب، لأبي الحسن الجُلاّبيّ الهُجْويريّ، المتوفّى بين سنة ٤٦٥ و٤٦٩ هـ/ ١٠٧٢ ــ ١٠٧٧ م، تحقيق V. Shukowsky. Teheran 1336/transl. by R.A. Nicholson, London 1959.

لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرّم، ابن منظور الإفريقيّ المصريّ، المتوفّى سنة ٧١١ هـ/ ١٣١١ م، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ م.

اللُّمع = كتاب اللُّمَع في التصوّف، لأبي نصر عبد الله بن عليّ السرّاج الطوسيّ، المتوفّى سنة ٣٧٨ هـ/ ٩٨٨ م، تحقيق R.A. Nicholson. Leyden - London 1914. «E.J.W. Gibb Memorial» Series, 22.

لواقح الأنوار = الطبقات الكبرى، المسمّاة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، لعبد الوهّاب الشَّعْرانيّ، المتوفّى سنة ٩٧٣ هـ/ ١٥٦٥ م، وبهامشه: كتاب الأنوار القدسيّة في بيان آداب العبوديّة، للشعراني أيضاً،

مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، القاهرة ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦ م. مشكاة الأنوار= مشكاة الأنوار لأبي حامد الغزالي، المتوفّى سنة ٥٠٥ هـ/ ١١١١ م، تحقيق أبو العلا عفيفي، القاهرة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤ م.

مايِر، أبو سعيد بن أبي الخير = **Meier, Fritz:** *Abu Saʿīd Abū l-Ḥayr* (357-440/967-1049). Wirklichkeit und Legende. Acta Iranica 11, Leiden 1976.

مرآة الجنان وعبرة اليقظان، لعفيف الدين محمد بن عبد الله اليافعيّ، المتوفّى سنة ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٧ م، حيدر آباد ١٣٣٩.

مسند أحمد بن حنبل = مسند الإمام أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل، المتوفّى في بغداد سنة ٢٤١ هـ/ ٨٥٥ م)، وبهامشه منتخب كنز العمّال في سُنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامي ودار صادر، بيروت (بدون تاريخ).

معجم طبقات الحفّاظ والمفسّرين، إعداد عبد العزيز عزّ الدين السيروان، بيروت ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م.

المعجم المفهرس = المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ، لايدن ١٩٣٦ ــ ١٩٦٩ م.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ، المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٨ م، تحقيق علي محمّد البجاوي، القاهرة ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م.

نفحات الأنس = نَفَحات الأُنْس من حَضَرات القُدْس، لنور الدين عبد الرحمان جامي، المتوفّى سنة ٨٩٨ هـ/ ١٤٩٢ م، تحقيق م. توحيديبور، طهران ١٣٣٦ هجريّة شمسيّة (١٩٥٧ م).

الفهـــارس

فهرس آيات القرآن الكريم لبهجة الطائفة وصوم القلب

فهرس الأحاديث التي وردت في بهجة الطائفة وصوم القلب

حرف الألف

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الأعلام وأسماء الكتب والأماكن والبلدان(١)

(١) ملاحظة: الأرقام التي تسبق [صوم] تشير إلى «بهجة الطائفة» و «...» تعني أكثر من مرّة في نفس الصفحة؛ «الـ» التعريف لا تعتبر في هذا الترتيب الألفبائي.

فهرس بعض الكلمات والمصطلحات

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف السين

س ب ب

س ب ح

س ت ر

س ر ر

حرف الشين

حرف الطاء

ع م ل

ق و ي

حرف الكاف

ك ب د

ك د ر

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

ن ب أ

حرف الهاء

هـ ت ف

هـ ل ك

هـ م م

حرف الواو

و ب ق

و ج د

و هـ ط

حرف الياء

ي ق ظ

ي ق ن

فهرس المحتويات

بهجة الطائفة بالله العارفة

صوم القلب